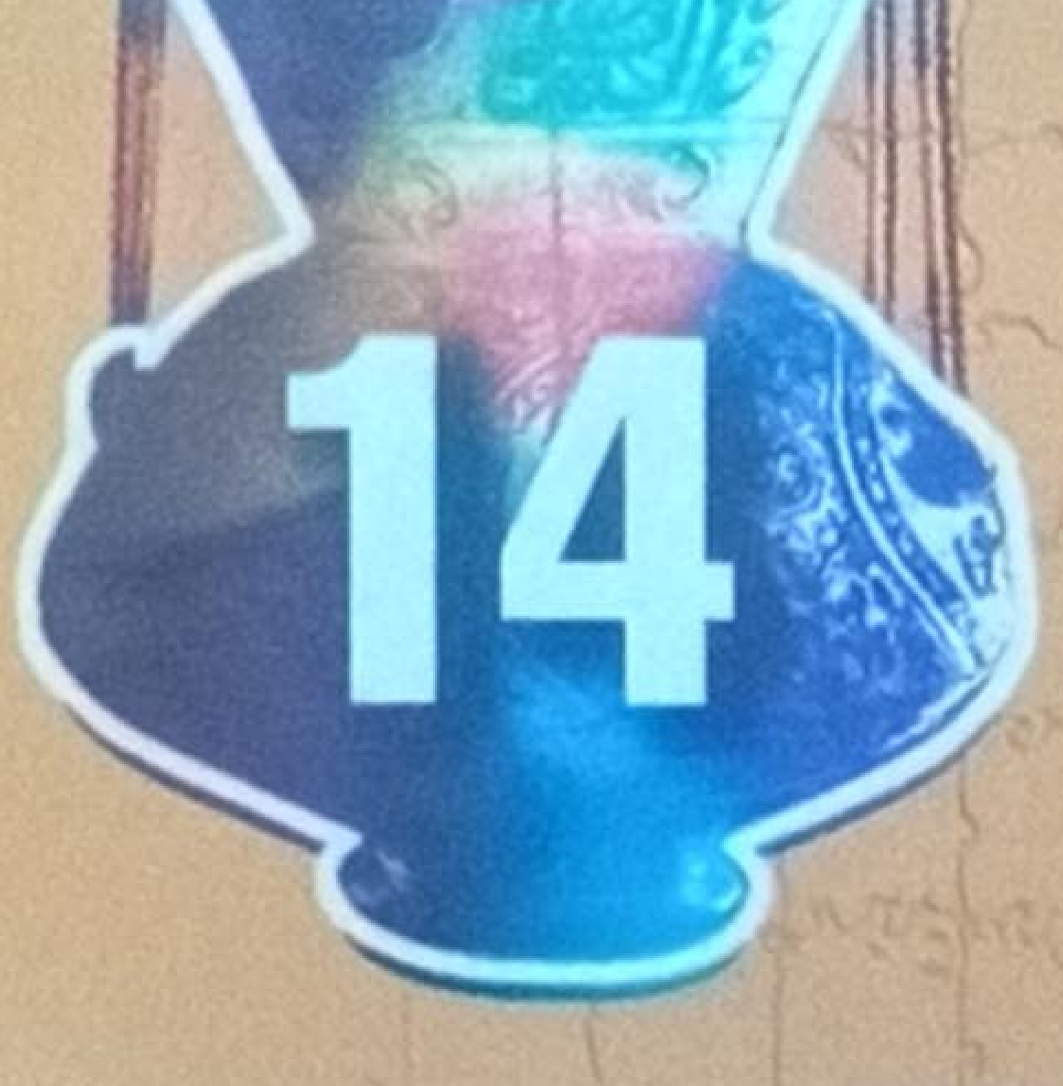
محمد الغزالي

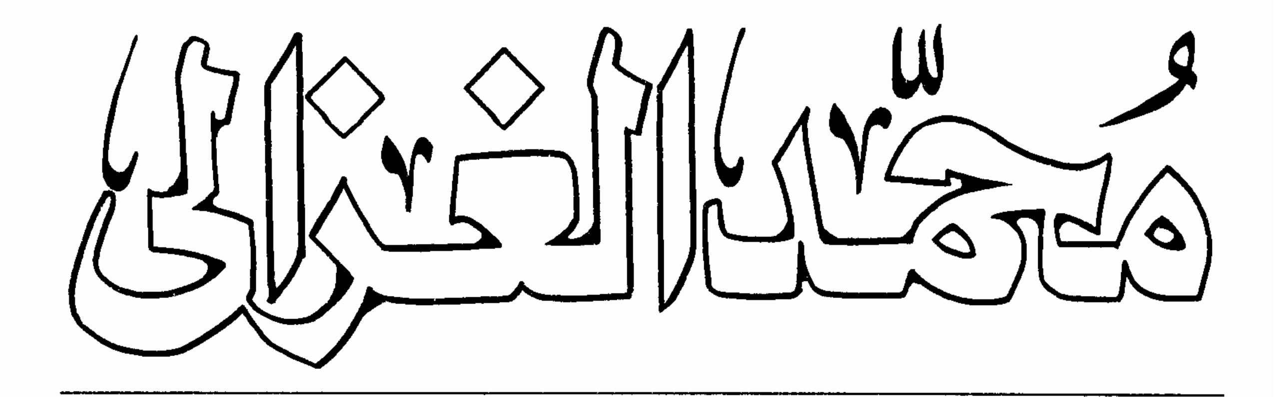
جرعات جديدة من



الحق المر

(الجزء الرابع)





جرعات جديدة من



14

«الجزء الرابع»



العنوان: جرعات جديدة من الحق المر «الجزء الرابع»
المؤلف: الشيخ/ محمد الغزالي .
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم .
تاريخ النشر: الطبعة السادسة يناير 2005م .
رقم الإيداع: 2002/1695
الترقيم الدولي: ISBN 977-14-1748-7

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 3466434(02)–3472864 (02) فاكس:3462576 (02) ص.ب:21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة ـ مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) ـ 8330289 (02) ـ فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص . ب : 96 الفجالة - القاهرة.
ت : 5909827 (02) - 5908895 (02) ـ فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: sales @nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدى)
ت: 5230569 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



مقدمـــة

فى المرصد الذى نقف فيه نرقب كل ما يقع على المسلمين من عدوان ، وما يقع بينهم من أخطاء وما يُثقل ميزانهم أو يخففه من أعمال ثم نصوغ ذلك كله فى سطور معدودات نواجههم به ونسائلهم عنه . . .

إننا نجتاز مرحلة صعبة من تاريخنا ، وقد لحقت بأمتنا خسائر مادية وأدبية فادحة ونحن محكومون بالقانون الإلهى «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» .

ولذلك لم نجبن عن تسجيل الجليل والتافه من شؤوننا والتعليق عليه بما يجب . . .

والإيجاز مقصود فى هذه الكلمات المرسلة ، ولكن المعانى المخبوءة ضافية الذيول ، وقد قلدنا «ابن الجوزى» فى كتابه صيد الخاطر ، وتمشينا مع طبيعة القراء فى هذا العصر ، فالملاحظة السريعة أحب إليهم من المقالة المسهبة سيما والأحداث متتابعة والأعباء ثقيلة . . .

وفى حياتنا قد تلقى الكلمة الكلمة كما تلقى فى الأفق سحابة سحابة ، فينشأ من تلاقيها مطر يهمى وبرق يضىء ، فلنطالع هذه الفصول من «الحق المر» ففيها إن شاء الله ما يكفى ويشفى ، إنها حلقة من سلسلة تمتد ما بقى الأجل لعل فيها بلاغاً للناس .

محمد الغزالى

٢٧ من صفر ١٤١٦ هـ

٢٥ من يوليو ١٩٩٥ م

النيّة الصالحة

القلب الموقن بالله الراكن إليه جدير بالتوفيق والاهتداء إلى الصواب قال تعالى : «وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ . .»[1] أما القلب الفارغ من ربه المليء بالأهواء فهو يخبط في الحياة خبط عشواء مصداق قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ . . .»[2] .

وعامة الناس يعرفون أن النية الصالحة تنقذ صاحبها من ورطات شتى ، وأن النية المدخولة يصحبها العثار والشرود ، وقد وعد الله المؤمنين الأتقياء بأنه جاعل لهم نورا يمشون به ، فمن أدركه شعاع من هذا النور لزم الصراط السويّ ، وتجنَّب المزالق المخوفة «وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ »[3] .

وقد أوضح النبيُّ ﷺ أن المؤمن الصالح يضاء من داخله فقال : «**التقوى ها هنا**» مشيرا إلى صدره ، أى أن التقوى ليست شقشقة لسان ، ولا براعة تمثيل ، ولا طول ادعاء ، إنما هى قلب مُخْبِت ، مفوِّض إلى الله ، متشبِّث به . .

وعدد من الناس يجيد تقليد الصالحات وإتقان أدائها ، ولكنه محجوب عن معناها ، محروم من آثارها الطيبة ، والسبب قسوة قلبه ، وانشغاله بأعمال دون ذلك . . .

وقد كنت أجْفِل من أناس فى أفئدتهم غلظ ، وفى أخلاقهم قسوة ، وإن أتقنوا بعض الفرائض ، لأن حسن الظاهر لا يغنى عن طهارة الباطن ووضاءته . . .

وعند التأمل أشعر بأن بعض الساسة أو الرؤساء يعبد نفسه ، وهو يتظاهر بعبادة ربه ، وقد يدور حول مآربه وهو يباشر أعمالا عامة ، وهذا القصد المغشوش من وراء أخطاء هائلة تدفع ثمنها الشعوب . .!

كان أبو جهل يستطيع العودة بقومه دون أن يمرغهم فى هزيمة بدر ، وما كان لهذه المعركة معنى بعد أن نجت القافلة التى هرعوا لاستنقاذها ، ولكن ميل أبى جهل للزعامة والظهور جعله يقول لن نبرح حتى نشرب الخمور ، وننحر الجزور ، وتغنى القيان . فكان هذا الغرور هو الذى قاده وقومه إلى الهلاك . . .

---

(١) التغابن : ١١ .　(٢) النحل : ١٠٤ .　(٣) النور : ٤٠ .

إن كثيرا من العقد النفسية يكمن وراء المسالك المشئومة والمقررات الدامية ! ولو اجتهد كل إنسان فى إصلاح باطنه وتطهيره من العلل الخفية - أو من الشرك الخفىّ كما وردت التسمية فى بعض الآثار - لنجت البلاد والعباد من مآسى كبرى . . .

ومعروف فى ميدان التدين أن الله ينظر إلى البواطن لا إلى الصور ، وأن مكانة العابد تتقرّر له من استقامة سريرته ، وصفاء قلبه ، وصدق معاملته لربه « أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ »[1] .

وقد تدبرت الآية التالية لهذه الآية فوجدتها تنوّه بالعاطفة الوجِلة ، والمشاعر الرقيقة ، والإنسان المتحرك بخشية الله ، البعيد عن الأثرة وحب العاجلة « ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ »[2] . . .

ذكر لى شخصان نزلا بإحدى المدن ، أحدهما له دقة فقيه ، وفكر فيلسوف ، ولكنه أنانى شحيح ، والآخر محدود المواهب ولكنه بشوش سمح اليد !

فقلت : سوف ينهزم الفقه ، ويضيع الفكر مع الضيق والكزازة ، وسوف يغلب القصور مع بشاشة الوجه وبسط الكفّ !!

وفى معركة الإيمان مع الكفران ألحظ أن بعض الكهان فدائى ، وأن بعض العلماء أنانى ، فأتشاءم من سوء العاقبة ، وأعلم أن الدائرة سوف تدور على الحق . .!!

إن الدين أبعد شىء عن القسوة والفظاظة والكبرياء والحرص ، هذه خصال ما وضعت فى كفة إلا هوت بها ، وعندما أتأمل فى سيرة محمد ﷺ أرى تجسيدا للتواضع والإحسان ، والمرحمة والإنصاف ، وحبٍّ كل شىء ، إنه «**عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم**» فهل نأخذ الأسوة الحسنة من الإنسان الكامل الذى قيل له : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » ؟؟[3]

---

(١) الزمر : ٢٢ . (٢) الزمر : ٢٣ . (٣) آل عمران : ١٥٩ .

قلة النظر.. والإغماء

راقبْت المركبة الفضائية التى ترصد كوكب الزهرة ، وتأملت فى الصورة التى رسمتها لسطح الكوكب وقد شقه أخدود طويل عميق ، قال العلماء : إنه حديث ، وإنه يدل على أن الكوكب يتعرض لهزات الزلازل والبراكين !!

وشعرت بخشوع تجاه عمل القدرة العليا ، وقلت أين الأرض من الزهرة ؟ وأين أنا من الأرض ؟ وأين هذا الأخدود من الكوكب الذى وقع فيه ؟ إن الأسرة الشمسية شىء عظيم ، وإن أجرامها بالغة الضخامة ، وإن نظامها بالغ الدقة ، وسبحان الله العظيم . . .

ثم نظرت فى الجهة المقابلة ، تركت ناحية الكبر إلى ناحية الصغر ، فإذا أنا أمام مقال علمى للدكتور مصطفى محمود ، يسجل ما تقرر بإجماع من أن الإنسان مخلوق من حيوان منوى شديد الصغر ، أقل ألف مرة من الهباءة التى قد ترى مرتعشة فى ضوء الشمس !

وأن هذا الحيوان المتضائل الذى لا يكاد يبين ، يحمل كل الخصائص التى تمتاز بها البشرية ، وتبت فى مصيرها المادى ، والأدبى ، وتقرر أن الذكورة والأنوثة هندسة وراثية و «جينات» وتعليمات وأوامر مكتوبة بحروف شفرية سابحة فى دماغ الحيوان المنوى !!

ثم قال : لا أحد يفكر من هو الذى كتب تلك «الشفرة» ؟ وكيف أودعها فى تلك الصحيفة المتناهية فى الصغر ، إن مجموع «الجينات» لكل البشر من أيام آدم إلى الآن لا تملأ نصف فنجان !!!

وعدد الجينات فى كل فرد منا يتجاوز التسعمائة ألف ، تحمل فى طياتها أكثر من تسعمائة ألف معلومة ، عن بنائنا الإنسانى ، بناء كل واحد منا وصفاته ! فهى مجلد ، أو عدة مجلدات ، أو مكتبة فى حجم أصغر ألف مرة من الهباءة . . .!!

مَنْ الكاتب الذى سطر أقدارنا وأوصافنا وسيرتنا وحياتنا داخل هذا اللوح الأسطورى ؟ بأى يد تقدست وتباركت وتعالت فى قدراتها ومهاراتها وعلمها وعدلها تم هذا التسجيل المتناهى فى الصغر ؟

وبعد أن عاب الدكتور مصطفى محمود على الغرب أنه عرف الكتابة ولم يعرف الكاتب ! وطالع المجد ولم ينْحَنِ لصاحبه ، قال : لماذا لم يلهم الله المسلمين شيئا من هذه المعرفة الثمينة ؟ لماذا خرجت هذه المنجزات العالية من نصف الكرة الآخر ولم تنبت فى بيئاتنا نحن ؟ ثم أجاب على هذا التساؤل راداً العيب إلى المسلمين أنفسهم وإلى حالة الإغماء والغيبوبة التى تسود عالمهم الكسول . . .

وهذه إجابة صادقة ، أحب أن أضم إليها شيئا مهما . إن القرآن الكريم أمر بالبحث فى المخلوقات «أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ من شَيْءٍ »[1] ولكن جمهرة من علماء العقيدة لن تتعرف على الخالق من النظر فى ملكوته ؛ بل من البحث فى ذاته !! فزاغوا وأزاغوا . .

يقول الله تعالى : « قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ . . »[2] ولكننا ما سرنا ولا نظرنا ، بل استوردنا مقولات إغريقية انشغلنا بها سنين عددا : هل صفات الله زائدة عن ذاته أم هى عين ذاته أم لا عين ولا غير ؟؟

وهذا الأسلوب لوا اتجه إلى دراسة الإنسان نفسه ما أفاد شيئا ! فكيف إذا اتجه إلى دراسة البارئ الأعلى ؟ وقد اعترض هذا المنهج علماء آخرون من المسلمين المحافظين فكان منهجهم جدليا سلبيا لا يقل عن صاحبه سوءا .

ولم نجد من وجّه الهمم إلى دراسة الكون ذاته كما أمر الله فى كتابه ، مع أن بناء الإيمان فى ديننا - كما تهدر آيات القرآن - يقوم على النظر العميق المتفحص المعتبر « وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ »[3] .

إن الأسلوب الذى سار عليه علم الكلام فى تراثنا أساء إلى ثقافتنا الإسلامية وأصابها بالعقم ، ويجب أن نعود إلى منطق القرآن الكريم نفسه ، فهو يستنقذ المسلمين من غيبوبتهم الحاضرة والغابرة ، إن منطق التجربة والملاحظة والاستقراء هو المهاد الحقيقى للعلم ، وهو الطريق الوحيد للسيادة والقيادة وهو وحده منطق القرآن الكريم .

أما الاشتغال بالجدل والتقعر فيما وراء المادة ، والقول على الله بغير علم فذلك طريق الضياع . .

---

(١) الأعراف : ١٨٥ . (٢) العنكبوت : ٢٠ . (٣) يوسف : ١٠٥ .

خلايا الهدم والفرقة

من عدة قرون فقد المسلمون شعورهم بأنهم أمة ذات رسالة يحملونها للعالمين ويُسألون عن حسن أدائها أمام الله والناس ! وشغلوا عن هذا الواجب بخلافات فرعية ونزاعات كلية وأهواء شخصية أو قومية أو هنت قواهم وأذلت جانبهم . . .

وخلال هذا الأسبوع قرأت فتوى للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر عن حكم الصلاة مع قبض اليدين أو سدلهما إن هذه القضية اختلفت فيها مذاهب أهل السنة كما اختلف فيها الشيعة مع السنيين ! وقد أفتى الشيخ الأكبر بصحة الصلاة على الحالين وحمدت الله أن القضية لم تحوّل إلى محكمة العدل الدولية ، وأن الشجار حولها وقف عند حدّ . . .

إن المسلمين لديهم استعداد غريب للجدل والمنافرة ، وهم يسوّون بين الزكام والسرطان والشحم والورم ، كما أن لديهم قدرة غريبة على تجاهل الأركان والتخّفف منها ولا أدرى حتى متى تبقى هذه الحال ؟

ولكنى أدرى أن أعداءهم يتربصون بهم ويحكمون المؤامرات حولهم ، ويهددون حاضرهم ومستقبلهم . إن الخلاف فى الفروع الفقهية قد يشبه فى بعض وجوه الخلاف بين العمال والمحافظين ، أو بين الديمقراطيين والجمهوريين ، والخلاف بين هذه الأحزاب الغربية يتلاشى وحده أمام قضايا «الوطن» الكبرى فيتقارب المتباعدون ، وتصبح الأمة كلها جبهة واحدة .

أما نحن المسلمين فالأمر عندنا يحتاج إلى مصارحات ومكاشفات . وأرى أن الخلاف الفقهى قديم قدم الإسلام ، ولكنه كما قيل خلاف تنوُّع لا خلاف تضاد ، وأن لجميع المختلفين أجورهم عند الله .

وعندما كنا طلابا فى الأزهر كان الحنفى والشافعى يصليان فى جماعة وأحدهما يرى القراءة وراء الإمام محرمة ، والآخر يراها واجبة ! أو هذا يرى لمس المرأة ناقضا للوضوء والآخر لا يرى فيه شيئا والوضوء كما هو ! !

وقد كان الشيخ «محمود شلتوت» والشيخ «محمد المدنى» رحمهما الله طليعة هذا التسامح الجميل . . فكل مجتهد مأجور أخطأ أم أصاب ، وإطفاء نار الفتنة فى جميع الخلافات المذهبية لابد منه ودائرة الإسلام الرحبة ينبغى أن تشمل الجميع ، بيد أن هناك أمرا آخر يتجاوز الفروع إلى الأصول والتنبيه إليه مطلوب لحماية أمتنا ورسالتنا ، لقد ظهرت تجمعات كما تكونت سلطات تقوم على العلمانية والقومية وتتجهم للدين وتراثه وقيمه وقد رأيت الشيوعيين القدماء يختبئون فى هذه القيادات الجديدة ، ويصارحون بأن رفع مستوى الشعوب أهم من إحياء الشريعة وأن السير فى موكب الحضارة الغربية أجدى من إحياء التراث الإسلامى .

وعند التأمل وجدت أن حكومة «السودان» تحارب لأنها تنادى بإحياء الشريعة الإسلامية ، وأن حكومة «إيران» تُحارب لأنها ترفض الارتداد الدينى وتتمسك بالكتاب والسنة . . .

وظاهر أن الغرب لا يوارب فى عدائه للإسلام ، ولا فى مساندته للتيارات الإلحادية التى خلقها فى بلادنا . . .

والأوضاع الجديدة التى تواجه المسلمين توجب علينا أن نحدد الأصول والفروع فى ديننا ، أى نحدد ما يمكن التسامح فيه وما لا نقبل خلافا عليه إن هذا الموقف يغلق الطريق أمام الختل والخداع والمناورات الخبيثة . . .

فى هذا العصر يوجد من يريد الحديث عن الإسلام وهو لم يدخل مسجدا ولم يقدم لله شيئا ويوجد من يصارح بطرح الفقه الإسلامى كله ومع ذلك يقول إنه مسلم ويتهمك بالخروج على الإسلام .

وأرى أن الأوان قد آن لعقد هدنة عامة فى ميدان الفقه الفرعى ، وعقد تحالف مشترك للدفاع عن أصولنا الفقهية فى ميادين التربية والأخلاق والفقه الجنائى والدولى والدستورى . .

إن حضارة الغرب تكره الله وتنفر من الحديث عنه وعن لقائه فى يوم جزاء . كما تكره ربط القانون بمواريث الدين إجمالاً . . وهى تتظاهر بأنها تجافى الأديان جملة وهذا كذب فهى ناشطة فى محاربة الإسلام وحده ، وقد أقامت هيئة الأمم دولة لليهود على أنقاض العرب المسلمين ، كما أن النشاط الاستعمارى العالمى يقوم على نشر المسيحية ! إن التهديد يتجه للإسلام وأمته ونهضته ، وإذا لم نستيقظ على عجل هلكنا .

أزمة شهامة

شعرت كأن هناك «أزمة شهامة» بين أبناء البلد ؛ لم تكن تعرف فيهم قديما ! كان اللص إذا اختطف شيئا من أحد تبعه المارّون بالشارع ، حتى يمسكوا بخناقه ويوسعوه لكما ويسلموه لرجال الشرطة ! .

وكانت صيحة «حرامى» لا تكاد تسمع حتى تهرع الجماهير إلى مصدر الصوت لنجدته . . .

أما الآن فقد تغيرت الحال ، يهجم لصان على سيارة ملأى بالرجال والنساء ، فيباشر أحدهما السرقة ، ويشهر الآخر سلاحه حاميا له ! والناس سكوت ، والأنظار تائهة ، إلى أن تتم الجريمة ويختفى اللصان فى أقرب محطة ! .

ماذا لو علت صيحات الاستنكار ؟ ونهض أهل الجراءة بمقاومة المغيرين ولو تعرضوا لبعض الأذى ؟ إنهم منتصرون عليهم يقينا ، فلن يغلب اثنان عشرين أو ثلاثين من الركاب ، ولكن «أزمة الشهامة» استحكمت ، فقوى اللصوص ، وضرى شرهم !

ولو قذفوا باللص المغير من السيارة المنطلقة لطُلَّ دمه ، وذهب غير مأسوف عليه ، ولكن الناس من خوف الذل فى ذل . . ! ! .

إن «أزمة الشهامة» هذه هى التى تسوِّل للص أن يمتطى دراجة ويخطف قلادة من عنق فتاة أو أسورة من يدها ، ويمضى فى طريقه غير آبه لشىء ! ! .

ولو أن جمهور الشارع كان يقظا لتابعه بصراخ الإنذار ، حتى ينزله من فوق دراجته ، ويسترد المسروق ويسلم المجرم لرجال الشرطة . .

لا أدرى هل سيطرت على الناس غيبوبة ؛ ففقدوا الإحساس بما حولهم ، أم هم يحسون به ولكن الأمر لا يعنيهم و لا يوقظ انتباههم ؟؟

من تعاليم الإسلام الأولى **«المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره»** وروى أبو داود عن جابر وأبى طلحة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **«مامن مسلم يخذل امرءاً مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته ، وينتقص فيه من**

عرضه ، إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته . وما من مسلم ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته» .

وروى أيضا : **«وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ، ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل»** .

لماذا لم يفعل ؟

قلة اكتراث بالجريمة ! قلة عطف على المهان ! قلة شعور بالأخوة المشتركة !

إن المواقف قصاص ، والأعمار ممتدة ، وستشعر يوما بالوحشة وأنت تبحث عن نصير فلا تجد ، لأنك فعلت ذلك يوما مع غيرك . .!

كان الناس قديما لا يتكلفون الاشمئزاز من منكر يقع ، وأذكر وأنا طالب أننى كنت فى الترام ذاهبا إلى الدراسة ، فرأيت شابا يلكز غلاما قريبا منى ، فنظرت إلى الضارب مستنكرا فقال على عجل : إنه يغازل الآنسة التى أمامه فى الكرسى ، فسكتُّ وسكت الركاب مقرِّينه على ما فعل . ! !

وكانت السيدة إذا دخلت عربة مزدحمة قام لها فورا من يجلسها مكانه من الرجال ، احتراما للأنوثة وتكريما للأعراض . .

أما الآن فنسمع قصص الاغتصاب الخسيس ، والاحتيال على فتاة ضعيفة ، واستغلال محنتها بنذالة هائلة للإيقاع بها .

إن أزمة الشهامة دليل على فتور روح التدين والرجولة ، وانطلاق السعار الحيوانى دون قلق ، والأمر يحتاج إلى معالجة سريعة ، فإن استقرار المنكر على هذا النحو إيذان بالانحدار ، والضياع ، وتتابع الهزائم المذلّة .

* * *

هل نفر من القدر؟

لم أشهد الزلزال الذى وقع فى مصر أخيرا ، ولكنى رأيت آثاره وسمعت أخباره ، فلم تعجبنى الروايات التى بلغتنى وأحسست أن نقصا كبيرا قد أصاب عقائدنا وأخلاقنا ، قالوا هذا مدرس فى فصله ما إن شعر بالزلزال حتى كان أول اللائذين بالفرار !

وهذا إمام فى مسجده رئى أول الخارجين منه حين اهتزت الأرض تحته !

قلت : ماهذه مسالك أهل الإيمان ، إن الفزع لا يفقد الناس عقولهم ولا يَقينَهم !

كان يجب أن يبقى المدرس بين تلامذته يشرف على خروجهم فى صفوف عجلة ولكنها منتظمة ، ويعلو صوته حينا بعد حين يحذر من فوضى الزحام وغلبة الهلع ! أليس ذلك أجدى وأشرف من موت العشرات تحت الأقدام اللاهثة ، ومرور الجبناء بنعالهم على جباه إخوانهم الواقعين ؟

والإمام الذى هرب من المسجد أليس الأشرف له أن يبقى رابط الجأش نابض اليقين يوصى الصفوف بذكر الله ووحدة الأجل وغلبة القدر ؟

إن غريزة النجاة معروفة لكن المؤمن يتحرك بعقل الواثق فى الله الراضى بقضائه فلا يهلع ولا يطيش . وقد مضت سنة الرجولة أن يكون الربّان آخر من يغادر سفينته ، إنه لن يتركها حتى يطمئن إلى نجاة الركاب أجمعين ، وقديما قال «على بن أبى طالب» .

أىّ يومىّ من الموت أفرّ   يوم لايقدر ؟ أو يوم قدر ؟
يوم لا يُقدر لا أحذره !   ومن المقدور لا ينجو الحذر !

إن الأمة قد تدخل فى عراك مع أعدائها فتصاب فى البر والبحر والجو ، فيجب أن نتماسك لا أن ننهار ، وأن نتعلم الصبر على الآلام لا الضراعة أمامها والوجل منها . وعند وقوع النائبات تتحامل الأمة كلها على جراحاتها لا يبقى لغنى غناه ولا لفقير فقره .

وعلى المسئولين أن يواجهوا المأساة ، فلا يترك أحد ينام فى العراء أو يبيت على

الطوى ، إن روح الجماعة تظهر فى هذه اللحظات ، وتجعل القوى يحمل الضعيف والغنىّ يحنو على الفقير ، وتملى على الحاكم أن يترك ديوانه ليتجول فى المدن والقرى باحثا عن خلل يسدُّه ، أو شارد يؤويه .

وقد تابعت آثار الحروب فى أوروبا فوجدت القوم أسرع الناس إفاقة من مصيبة وأوشكهم كرة بعد فرة كما جاء فى الحديث !

إنهم يبنون ما تهدَّم بجلد وينتصرون على أوجاعهم برجولة ، فإذا كنا لم نتعلم من ديننا فلنتعلم من غيرنا . .

إننى خبير بالزلزال وفزعه لأنى عشت فى الجزائر بضع سنين ، ومرت بى ليلة كئيبة تقلبت فى فراشى وأنا أحس كأن السقف يريد أن ينقضّ وسمعت له صوتا حملنى على الوقوف ، وما كدت أقف حتى دارت بى الأرض فعلمت أن هناك زلزالا .! وتحركت نحو باب الدار التى كانت خالية إلا منى وفتحته لأتعرف ما هنالك فسمعت ضجيجا عاليا ينبعث من كل ناحية . .

ووقعت خسائر وزهقت أرواح ، وتركت زمامى للأقدار حتى انجلت الغمة ، وسيجعل الله بعد عسر يسرا .

* * *

نفس مقهورة..!!

كنت كسير النفس وأنا منطلق مع معجبى من «زغرب» إلى مخيمات اللاجئين من أهل البوسنة والهرسك ، إننى أحمل مقدارا من الآلام لا أحتاج معه إلى مزيد !! ولكن ما بدّ من هذه الزيارة حتى نشعر المسلمين هنا بأن وراءهم إخوة يدعمون جانبهم وَيَأسوْن لقضيتهم ، ومررنا فى أول الطريق بميدان رحب يتوسطه مبنى فخم فقال السائق : هذا ميدان الجامع !

قلت : فأين الجامع ؟

قال : كان هنا فهدم «تيتو» مآذنه الأربع وحوّل صحن المسجد إلى متحف هو ما نراه الآن . . !

وشعرت بضيق خانق ! وقلت وأنا أهمس : إن «تيتو» الذى منح نفسه لقب ماريشال هو أحد زعماء عدم الانحياز بين القوى العظمى ، ويظهر أن ضرب الإسلام من مظاهر عدم الانحياز ، ، فإنى ما استعرضت تاريخ أحد من قادة هذه الحركة إلا رأيت موقفه من الإسلام بالغ السوء ! .

وشقت سيارتنا طريقها حتى بلغنا مساكن اللاجئين ، كان حشد من الرجال والأطفال ينتظرنا ، ماذا أقول لهؤلاء الناس ؟ كانت معنا بعض الحلوى سرعان ما تلقفها الجياع ، وتذكرت ما جاء فى السنة أن عائشة أم المؤمنين أعطت امرأة تمرة ، وكان معها ابنتاها فقسمت المرأة التمرة نصفين ، وأعطت كل بنت نصفا . .

رأيت بعض الأمهات يفعل هذا ، ورأيت بعضا غلبه الجوع فالتهم ما نال !! كانت عليهم ثياب خفيفة هى ما أمكن أن يفروا به من بيوتهم ، وهم يوجسون خيفة من الشتاء القادم فإن درجة الحرارة هنا تبلغ أحيانا ٣٠ تحت الصفر !!

ووعدناهم بإرسال بطاطين يقاومون بها البرد . .

وأحسست غضبا يملك علىَّ حواسّى وأنا أتذكر أن هيئة الأمم المتحدة من وراء هذه النكبة ، فقد كانت قادرة على تأديب وحوش الصرب ، ولكنها لم تفعل عمدا . .

هل هذه أول فعلة لها ؟

من خمس وأربعين سنة أرسلنى الأزهر لأعيش بين اللاجئين الفلسطينيين فى قطاع غزة ، ما أشبه الليلة بالبارحة ! الجموع الهائمة تتضوَّر وليس أمامها إلا مستقبل مبهم ، وكنت أعلِّلهم بعودة قريبة ، لكن الذى حدث أن ألوفا مؤلفة من يهود روسيا وسائر العالم جاءوا ليحلّوا محلّهم فى ديارهم ، تمهيداً لإقامة اسرائيل الكبرى !!

لماذا لا نقول صراحة : إن مواثيق حقوق الإنسان مصونة فى كل مكان إلا حيث يكون المسلمون ؟؟

إن المسلمين وحدهم طريدو هذه المؤسسات العالمية . .

والمضحك فى هذه المصيبة أن مجلس الأمن قرر عدم تزويد أحد الفريقين بالسلاح ، وهو يعلم أن الصربيين ورثوا جيشا من أقوى جيوش أوروبا ، وأن المسلمين كانوا عمالا وفلاحين لا يملكون شيئا يدافعون به عن أنفسهم ، فلما وقعت المعركة كانت أشلاؤنا تملأ البقاع وكان أعداؤنا يملون شروطهم !!

إذا لم يعد إلينا وعينا الدينى فستتكرر المأساة فى أقطار أخرى فلنصحُ قبل فوات الأوان .

* * *

رفقا بالخلق

الإسلام يرحم الضعف البشرىّ ويتيح فرصا شتى للمخطئ حتى يتوب وللعاثر حتى يستقيم ، إن تقنيط الناس من رحمة الله جريمة ، والمربِّى الصالح يفتح نوافذ الأمل للمنحرفين حتى يعودوا إلى ربِّهم . . .

وبعض الدعاة كأنما هو مُوَكّلٌ بأهل الخطأ يعذلهم ويكشفهم ويضيق عليهم الخناق !! وخير له أن يرفق بهم حتى يهديهم طريق النجاة فى الله وفى طاعته ، فإن الله أهل لكل حبّ .

روى النسائى أن رجلا لم يعمل خيرا قط ، وكان يداين الناس فيقول لرسوله - عامله - خذ ما تيسّر ودع ما تعسّر ، وتجاوز لعلّ الله يتجاوز عنا !!

فلما هلك قال الله تعالى له : هل عملت خيرا قط ؟ قال : لا ، إلا أنه كان لى غلام وكنت أداين ، فإذا بعثته يتقاضى قلت له خذ ما تيسّر ودع ما تعسّر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا !! قال الله تعالى : قد تجاوزتُ عنك . . .

وفى رؤيا صدق للنبى عليه الصلاة والسلام **«أن ملكين أتياه وهو نائم فذهبا به إلى مدينة فاستفتحنا فَفُتح لنا فدخلناها فتلقّانا رجال ، شَطْر من خَلْقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشطر كأقبح ما أنت راءٍ ، فقال الملكان لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر ، وإذا نهر معترض كأن ماءه المحض من البياض ، فذهبوا فوقعوا فيه ، ثم رجعوا وقد ذهب ذلك السوء عنهم ، فصاروا فى أحسن صورة . . . ! ! »**

وفسَّر الملكان للنبى ما رأى فقالا إن هؤلاء القوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم ! !

والحديث من رواية البخارى ومسلم وقد رأيت مصداقه فى مواضع شتى من كتاب الله « وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . . »[1] والرجاء فى جنب الله متحقق . . !

وقال تعالى : «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ »[2] وظاهر من مقارنة آيات الوعد والوعيد أن أبواب الأمل

(١) التوبة : ١٠٢ . (٢) العنكبوت : ٧ .

مفتوحة لأصحاب الإرادة الطيبة التى تعتريها الهزائم - وإن كثرت - أما أصحاب الإرادة المنعقدة على الإثم فلهم شأن آخر . .

ثم إن الذى ينكر الله أو يرفض تشريعه مستبعد ابتداءً من مجال المغفرة ، إن جحد الواجبات واستباحة المحرمات والجراءة على الذات الأقدس لن تثمر لأصحابها إلا مستقبلا كالحا . .

هناك دعاة يأسون الجراح ويرجون للعليل الشفاء ويفرشون طريق الخير بالأزهار ويبتسمون لكل سالك فيه ، فإن زلّت قدمه أعانوه على النهوض وأصلحوا شأنه حتى يستأنف السير مكرما مصونا . .

وهناك دعاة لا تسمع منهم إلا الويل والثبور وعظائم الأمور !

تُرى هل هم أغير على الدين من رب الدين . أو أحنى على الناس من رب الناس ؟؟

رفقا بالخلق ولنذكر الأثر الرقيق «**إنما الناس رجلان مبتلىً ومُعافىً فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية**» .

* * *

فى خبايا النفوس..

هل تكفى تجربة واحدة للكشف عن طبيعة إنسان والبتّ فى مصيره ؟

يبدو أن النفس البشرية أعقد من ذلك ، أو أن بعض النفوس ترسب فى الاختبار مرة أو مرتين ثم يدركها النجاح بعد ذلك !

وقد تدبرت سيرة خالد بن الوليد فوجدت أن الرجل كان من أسباب هزيمة المسلمين فى معركة أحد ، ومن وراء استشهاد سبعين بطلا من خيرة المؤمنين ! . ومع ذلك فقد انشرح صدره للإسلام بعدئذ ، وقاد جيوش المسلمين فى معارك أودت بالامبراطورية الرومانية التى قاومت الفناء قرونا طويلة ! ! .

وكذلك عمرو بن العاص الذى تأخر إسلامه إلى قبيل فتح مكة ومع ذلك فتح مصر ، وأسعد بالإسلام رجالا وأجيالا !!

إن خبايا النفوس لا يعلمها إلا الله ، وقد تضيق بامرىء لأمر مّا ثم تكشف الأيام أن بقلبه كنزا من الخير .

وتظهر هذه الحقيقة فى تعليق القرآن الكريم على مصاب المسلمين فى أحد ، وعلى ألَم النبى الكريم لمصاب أصحابه ، وغضبه الشديد من المشركين ، لقد قال الله له « لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ »[١]

والتلويح بالتوبة لأناس من أعداء الإسلام قاتلوه بعنف تكررَ فى غزوة الأحزاب عند قوله تعالى« ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ . . »[٢] ثم قال بعد ذلك «لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ . . »[٣]

وقد دخل فى الإسلام بعدئذ أناس طالما ضاقوا به . . .

---

(١) آل عمران : ١٢٨ ، ١٢٩ .　(٢) الأحزاب : ٢٣ .　(٣) الأحزاب : ٢٤ .

ربما تأخر ناس عن اعتناق الحق لملابسات رديئة أحاطت بهم ، فلا يجوز أن يحملنا هذا على الشطط معهم ، فلعل الله يجعل منهم أنصاراً لدينه .

وقد رأيت أن الله سبحانه أطال الحبل مع صنوف من أهل الكفر لعلهم يَرْعوون .

وتدبّر قوله جلّ شأنه فى المنافقين « أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ »[1] إن الله لا يفضح عبده لأول مرّة ، بل يصبر عليه ويطاوله لعله يستحى ويتوب ، فإذا أصرّ على عوجه فآخر الدواء الكىّ ، إنه يفضحه لأنه لم ينتفع من ستر الله عليه وحلمه معه ! .

وقد تقبّل الله أقواما انتفعوا من ستره وحلمه فحسن إيمانهم وطابت أحوالهم ، وغضب على آخرين حسبوا أن الإرجاء إغضاء ، وأن الإمهال إهمال ، فمضوا فى طريق الشر إلى منتهاه ، وفيهم يساق قوله تعالى « وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ »[2] .

إن على الدعاة طول الصبر وحسن العرض وألا يسمحوا لمشاعر الغضب أن تحملهم على إغلاظ القول وإساءة الظن ، ولنتأسّ برسولنا الكريم فى الحرص على الناس والأسى لعوجهم والأمل فى استقامتهم .

* * *

(١) التوبة : ١٢٦ .

(٢) النمل : ٥٠ ، ٥١ .

أسرة «حورس» !!

«حورس» و «رع» و «أتون» و «آمون» أسماء ليس لها مسميات اخترعها العقل الوثني وهو يخبط في بيداء الخرافة بعيدا عن معرفة الله الحق ، وإذا كان الفراعنة الأقدمون قد فعلوا ذلك فإن العرب الأولين افتروا كذلك أسماء «اللات» و «العزى» و «مناة» وجعلوها آلهة تعبد من دون الله .

وقد اشترك اليونان والعرب في عبادة «هُبل» وإن كان الإغريق سموه «أوبلو» وهو أكذوبة كبيرة ما أنزل الله بها من سلطان .

وقد أعلن الأنبياء كلهم حربا على هذه الأوثان ، ووجهوا البشر إلى عبادة الله الواحد « اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ »[1] .

وقديما زعم فرعون موسى أنه إله ابن إله ، وقال لوزيره « فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ »[2] ولو فرضنا أن هامان بنى لفرعون ناطحة سحاب فماذا كان يرى ؟

لن يرى أكثر مما تراه الطير وهي مسخرة في جو السماء

ولكن فرعون كان غبيا ، ولا نرى أغبى منه إلا من يحاولون إحياء سنته في هذا الزمان ! ! .

كيف يؤلف بعض الطلبة جماعة منهم تحت عنوان «حورس» أو «اللات» ؟ أهو حنين إلى الوثنية القديمة ؟ أم زهد فيما جاءت به الأديان السماوية من هدى ؟

أنا لا أحب أن ينتسب إلى هذه الجماعة مسلم أو مسيحي ، فإن موسى وعيسى ومحمدا عليهم السلام حاربوا الوثنية ، ودعوا جميعا إلى عبادة الله الواحد .

وعندما كان يوسف الصديق عليه السلام محبوسا في أحد سجون مصر قال لمن معه « يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ . . »[3]

---

(1) البقرة : ٢٥٥ . (2) القصص : ٣٨ . (3) يوسف : ٣٩ - ٤٠ .

قال لى الرواة إن فتية من طلبة جامعة القاهرة اختاروا أو اختير لهم اسم «حورس» ليتوجوا به نشاطهم ويؤدوا تحته رسالة طلابية بعيدة عن التطرف الدينى الكريه ! ! .

قلت : هل نكفر بمواريثنا الدينية حتى نبتعد عن التطرف ؟ !

إننا نستطيع أن نكون معتدلين مقبولين ، والشارة التى نرفعها لا صلة لها بعبادة الأصنام ! .

قال لى أحد الطلاب الفارغين إن «حورس» رمز مصرى قديم ونحن نعتز بمصريتنا ! !

قلت له : هل من الاعتزاز بالمصرية أن ننضم بمشاعرنا إلى فرعون ضد موسى عليه السلام ؟ .

إن لنا حضارة ضربت بسهم وافر فى ميدان الهندسة والطب وشتى العلوم العريقة . .

ونحن نثنى خيرا على صانعى هذه الحضارة ، ولكننا لن نعود إلى ركوب الخيل والحمير زهدا فى الحضارة الحديثة وما استحدثته من آلات وأجهزة .

إننا لن نترك موسى وعيسى ومحمدا عليهم الصلاة والسلام لأن بعض الفراعنة عاداهم . .

لقد عرفنا الله رب الأرض والسماء ، ويستحيل أن نقدس الأصنام مرة أخرى ، إننى أهيب بطلابنا جميعا ألا يقعوا فى هذه الخدعة وأن يتشبثوا بالوحى الأعلى وشاراته وأن يدفنوا اسم «حورس» فى تراب التاريخ ويحيوا وفق شعائر الدين .

مع البعد طبعا عن التطرف .

* * *

رجعة إلى الحق

الرجل الكبير إذا زلّت قدمه أو زلّ قلمه ساءه ما وقع فيه وكره أن يعود إليه ! وأحبَّ أن ينساه وأن يتناساه الناس وفى الآية « إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ »[1] .

وقد كنت فى الخمسينات أخطب فى الجامع الأزهر ، وفوجئت بأن الشيخ على عبد الرازق رحمه الله كان يصلى الجمعة معنا ، وأذكر أنه عاتبنى يوما على طول الخطبة وهو مريض بالمسالك البولية يشق عليه الانتظار الطويل فأنصفته من نفسى وقلت له : تطويل الخطبة خطأ . ودعوت له بالعافية .

كان الرجل يعرف موقفى منه ومن كتابه الذى ألفه ضد الدولة فى الإسلام ، لقد اكتفيت منه بأنه جمّد هذا الكتاب فلم يعد طبعه قط ، وكره الحديث عنه ولقى ربه مؤمنا مصليا مؤيداً لرجال الدعوة الإسلامية . وحسبى هذا منه .

لم تكن له شجاعة خالد محمد خالد الذى ألف كتابا يتحدث فيه عن الدولة فى الإسلام وعن خطئه حين أنكرها وعن عودته إلى الحق بعد ما استبان له ، والناس معادن ورحم الله على عبد الرازق ولعن الله من ينشر كتابه من بعده من مبشرين ومستشرقين وملاحدة يعيشون على حرب الله ورسوله .

وقد ألف الأديب الكبير نجيب محفوظ روايته «أولاد حارتنا» وكان ذلك من خمس وثلاثين سنة ، والرواية إزراء على الألوهية والنبوات ومواريث الوحى كلها ، وقد طلب الأزهر مصادرتها ، واستجاب جمال عبد الناصر للطلب ، ولكنى لاحظت كما لاحظ غيرى أن نجيب محفوظ فعل ما فعله على عبد الرازق ، فلم يعد طبع روايته ، بل إن الكلمات التى تنشر له بين الحين والحين تمتلئ بالرويّة والإيمان ونصرة الحق ، وآخر ما قرأته له أنه يحب بناء الحضارة على الإسلام ويحب للمسلمين أن ينتفعوا بكل تقدم علمى بلغه العالم ، وقد استنكرت محاولة قتله . والمجرم فى نظرى إما مخبول ! وإما مدفوع من جهة تريد الإساءة إلى الإسلام ! !

---

(١) الأعراف : ٢٠١ .

ومعروف أن العدو العاقل خير من الصديق الجاهل ، وما أكثر الجرائم المادية والأدبية التى ترتكب باسم الإسلام .

إننا نبرأ إلى الله منها ونسأله أن يقى المسلمين شرها .

غير أننا نتساءل عن قوم يكرهون الله أشد الكره ويمقتون الإسلام كل المقت ويخاصمون الوحى فى كل موطن ويقولون لعلى عبد الرزاق ونجيب محفوظ ستطبع كتبكما برغم أنوفكما .

أعرف جملة أقلام ما شرفوا يوما بالسجود لله ، إذا سمعوا بفتح خمارة كست البشاشة وجوههم ، وإذا سمعوا بفتح مسجد ضاقت بهم الأرض ، وإذا سمعوا بكلمة إلحاد حفُّوا بها كما يحفّ الذباب بالقذى ، وإذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا هم معرضون أو معترضون .

إن الدولة تسىء إلى نفسها بترك هؤلاء ينبحون قافلة الإسلام والله غالب على أمره .

* * *

وظيفة الأمة

قلت محدِّدا وظيفة الأمة العربية وجامعتها : إن الله ربَّى محمدا - عليه الصلاة والسلام - ليربِّىَ به العرب ، وربَّى العرب بمحمد ليربِّى بهم الناس كافة . فلأمتنا رسالة واضحة يجب أن تعمل بها وتدعو إليها ، وترفع رايتها وتشعر الأقربين والأبعدين بحقيقتها ، وهذا معنى عالميّة الإسلام ، فليس هو نهضة عربية كما يزعم زاعمون ، أو ثورة قومية كما يهرف خرّاصون .

إنه رحمة الله بالعالمين وهدايته للناس أجمعين .

وإذا كان العرب قد انكمشوا فى هذا العصر ، وتقطّعوا فى الأرض أمما ، وصارت كل أمة تسعى وراء القوت وتهتم بحياتها الخاصة فإن ذلك لون من النسيان المخزى إن لم يكن من الارتداد القبيح !! .

وتوجد - ولله المنة - طوائف ترفض هذا الوضع وتعرف أن الإسلام رسالة عامة خالدة وتقدم آصرة الإسلام على كل آصرة وغايته على كل غاية ، والآيات فى القرآن كثيرة على عالمية الرسالة ، وعلى أن أمتنا شاهدة الأمم . كما أن الرسول شاهد علينا أى أننا مبلّغون مواريث الوحى كما بَلَغَنَا . وشاهدون على الأمم كما أن الرسول شهيد علينا . قال تعالى « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا »[1] .

وجاء فى مكان آخر « هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ من قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ »[2] .

ويحزننى أنى فوجئت بشخص ينكر هذه الحقائق ويحطّ عن الكواهل أعباء الدعوة العامة ويشغل المسلمين بقضاياهم الخاصة ، ويزعم أن الشهادة على الناس فى الآخرة وليست فى الدنيا ويسوق فى ذلك حديثا لم يفهمه ، قال رسول الله ﷺ :

---

(١) البقرة : ١٤٣ . (٢) الحج : ٧٨ .

« يجىء النبى يوم القيامة ومعه الرجل والنبى معه الرجلان . وأكثر من ذلك ، فَيُدْعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا ؟ فيقولون لا ! فيقال له : هل بلغت قومك ؟ فيقَول : نعم ! فيقال له مَنْ يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ! فيُدعى محمد وأمته فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم ! فيقال : وما علمكم ؟ فيقولون : جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرُسل قد بلغوا . ! فذلك قوله تعالى : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ . . »[1] . .

قلت لمن ساق هذا الحديث إنه جاء بإضافة جديدة إلى جانب ما أفادته الآية من أن المسلمين أمة دعوة عامة تتناول الشعوب فى القارات الخمس ، هذه الإضافة أننا شهداء على الناس فى الدنيا وفى الآخرة معا ، فلا تضارُب بين الآيات والحديث إلا فى أذهان المشوشين وذوى البلاهة ! .

إن المسلمين - ومعهم كتاب الله وسنة رسوله - لهم إشراف وأستاذية على الناس الذين يملأون أرجاء العالم ، ولا وظيفة لهم إلا الأكل والسِّفاد ، وكما أخرجهم الرسول من الظلمات إلى النور يجب أن يفعلوا ذلك مع الناس وسيحقّ عليهم العقاب إذا تركوا هذه الوظيفة العليا .

* * *

(١) البقرة : ١٤٣ .

تهذيب الغرائز

الحياء والعفاف من سنن الأنبياء الأولين ومن معالم الفطرة السليمة ومعروف أن للإنسان رغبات طبيعية مقررة لا يجوز كبتها أبدا ولا يجوز إطلاقها فوضى ، بل الأمر كما قال الله « لا تُحرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا »[1] .

والحضارة الأوروبية المعاصرة تعيب على المسلمين أمورا - فى مجال العلاقات الجنسية - نريد فى هذه السطور مناقشتها .

فهى تتهمنا بالتزمّت والتشدد وإعلان الحرب على الغرائز البشرية فماذا فعلت هى؟

إننى أكره المتاجرة بالفضائح ولكننى أسائل المفتونين بالغرب : هل سرهم ما وقع أخيرا للأسرة المالكة فى انجلترا ؟

لقد ظهر أنه صورة لما يقع فى آلاف الأسر الأخرى . الأسر التى أباحت الخلوات الحرة ، والرقص المزدوج بين الجنسين ، والتى استهانت بالبكارة واستغربت بقاءها بعد سن العشرين ! والتى عدت غضّ البصر وحفظ الفروج وصون المروءات تقاليد بالية لا تليق بامرئ متحضر !

وتنتشر الآن كتب تقذف بالزنى أزواجاً وزوجات دون خوف من جلد أو أى حدّ !! ويعترف رجل ذو منصب خطير بأنه يتصل بامرأة آخر ، فلماذا سكت الآخر ؟ لأنه يتصل بأخرى ذات زوج ! ! .

ما معنى سكوت هؤلاء جميعا ؟

لقد ذكرت الأعشى وهو يصف الجاهلية الأولى وانفلات الشهوات بها فيقول :

عُلِّقْتُها عَرَضا ، وَعلِّقتْ رجلا غيرى وعُلِّق أخرى ذلك الرجل ! !

إنها شهوات سائبة يجرى بها الهوى حيث شاء !

فى الجو المؤمن التّقى لا تقع فاحشة ، وإذا زلّت قدم سرعان ما تستقيم « إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ »[2] .

---

(١) المائدة : ٨٧ . (٢) الأعراف : ٢٠١ .

أما فى أوروبا فإن إحدى الأميرات تبقى مع سائس خمس سنين ، لا ندم ولا ألم !

إننى أتساءل هل بقى شىء من تراث عيسى أو موسى عليهما السلام فى أقطار الغرب الصليبى ؟ لا يوجد هناك إلا كره الإسلام ولمزه بكل نقيصة .

ومن النقائص الأولى فى تعاليمه أنه يأمر المرأة بالحجاب ويأمر الرجل بغض البصر عن مفاتن النساء !

إن العين الجريئة المحملقة فى العورات هى التى تحترم . . !

وفتياتنا المهاجرات مع أسرهن فى أوروبا يمنعن من الدراسة لأنهن يغطين رءوسهن حين يطلبن العلم ! .

المراد أن يظهرن بآخر بدعة فى تسريح الشعر حتى يستدعين الإعجاب ! !

قلت لماذا تبقى الأقدار هذه المدنية الزائفة وكان الجواب حتى ينجح المسلمون فى إقامة مدنية جديرة بالاحترام فإنهم الآن أمة تائهة لا يربطها بالوحى الأعلى إلا خيط واهٍ .

* * *

إنهيار

الانهيار الواقع فى النفس العربية بعيد المدى ، وأخشى إن بقى طويلا أن يضيع معه اليوم والغد ! وقبل أن أصف علاجات له أريد أن أسرد بعض مظاهره . .

كنت أرقب المباريات الرياضية بين بعض الفرق العربية وأشمئز من خروج البعض عن قواعد اللعب وحقوق الزمالة ثم رأيت أخيرا كيف خرج العرب كلهم مهزومين أمام زنوج إفريقية على نحو مضحك ! .

إنهم لم يُهزَموا بسلاح سرى ، أو لقلة فى العدد !

لقد كان الزنوج مَرَدَة فى الساحة لا ينتقصهم فن أو صبر على حين كان الشباب العربى سريع الإعياء قليل الحيلة فاستحق الهزيمة بجدارة .

وما وقع فى الميدان الرياضى نموذج لما يقع فى ميادين شتى ، الشباب لا يحسن الإجادة ولا يعشق الإتقان مشغول بذاته قبل كل شىء ، تستهويه القشور ويحترق فى أنوار الشهرة .

فى ميدان التجارة الكلمة رباط ، وهو يستهين بالكلمة ، وكأن التجارة أن يأخذ المشترى أكبر ما يستطيع من البائع وأن يدفع أقل ما يُدفع ، ولا مكان للوضوح والصدق والعدل .

وفى ميدان الوظائف الرياسة شرف يُشترى بأى ثمن ، والعمل عبء يحتال للخلاص منه ، ومصالح الجمهور مشغلة ينبغى الفرار منها ! ! .

ورأيت المناور فى أغلب العمارات مجامع للقمامة ، وليس بين السكان تعاونٌ مّا على تنظيف الشوارع والحارات .

وشكا لى قريب أنه اشترى عُلَبًا لأدوية كتبتْ له فرأى بعض العلب ناقصا . .

وهموم الرزق جعلت المدرسين يشتغلون بالحصص الإضافية أكثر مما يشتغلون بالحصص الأساسية ، والناس ينطلقون فى المدن والقرى كما تخرج الوحوش للصيد . . أما الارتباط القديم بالله وحدود الحلال والحرام ، والتواصى بالحق والصبر ، فإن حباله رثَّتْ أو انقطعت .

كان المؤمن قديما يخرج من بيته وعلى لسانه الدعاء المأثور «**بسم الله توكلت على الله اللهم إنى أعـوذ بك من أن أزلّ أو أُزل أو أَضِلّ أو أُضَلّ أو أَظْلِم أو أُظْلَم أو أجهل أو يُجهَل علىّ . . »** .

أما اليوم فللناس شغل آخر أو هَدَفٌ آخر ! ! . والسبب الأول فى هذه المأساة التى هدمت الإنسان العربىّ ، انتشار الفكر العلمانى وانحلال الرباط الدينى ، ونسيان اليوم الآخر . .

فى أقطار أخرى يمكن أن يكون للأخلاق مهاد غير الدين ، ولو كان مهاداً رديئًا ، أما فى البلاد العربية فإن ضياع الدين يعنى ضياع الأخلاق ، فلن أنتظر أخلاقا من امرئ كافر بربِّه واهى الصلة به ! .

إن الثورات القومية الكبرى فى بلادنا أدركت حظا من نجاح ، لأنها اعتمدت على رجال ربّاهم الدين وضبط أحوالهم ! فلما خفت داعى الدين ، وقام داعى المنفعة ركدت ريح الأمة ، وهانت على عدوها .

إن العلمانية تحارب الانتماء الدينى ، ويوجد الآن من يهتمون بالسلوك ولا يهتمون بالعقيدة . وهيهات فلن يكون مع القلب الفارغ إلا المسلك التافه .

إن النفس العربية انفرط عقدها لما ذهب يقينها ، ولن تتماسك هذه النفس وتتكون فيها ملكة الإجادة والصلاح والإصلاح إلا بعودة الإيمان الغائب ، وانعقاد الإرادة على فعل الجميل وترك القبيح .

* * *

سيدٌ واحد

جاء فى السنة أن النبىّ عليه الصلاة والسلام قال بعد ما رفع رأسه من الركوع : **«اللهم ربنا لك الحمد ، ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ماشئت من شئ بعد ، أهل الثناء والمجد . أحق ما قال العبد – وكلنا لك عبد – لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت . ولا ينفع ذا الجد منك الجدّ»**

وجاء عنه أيضا عليه الصلاة والسلام أنه بعد ختم الصلاة استحبَّ هذه الكلمة **«لا إله إلا الله وحده لاشريك له . له الملك وله الحمد . وهو على كل شئ قدير . اللهم لا مانع لما أعطيت ولامعطى لما منَعت ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ»** .

قلت : لم هذا التوكيد على أن أمر المنع والعطاء لله وحده ؟ وأنه لا دخل لبشر فيه مهما كان سلطانه ؟ ولماذا ارتبط بالصلوات الخمس التى تجب على المسلم كل يوم؟

وكان الجواب أن المرء كثيراً ما تمرُّ به ساعات عسرة ولحظات ضعف ، يشعر فيها بالوحشة والعجز فيميل قلبه إلى ذوى السلطة والنفوذ يحسب أن لديهم ما ينقذه من ورطته ، ويفكّ عنه ما نزل به من ضيق ! ! .

وهو مخطىء كل الخطأ فى هذا الشعور المنهزم ، فإن الأمور لا تفلت من يد الله أبدا . ويستحيل أن يملك عليه أحد عبيده شيئا ، والرشد كله فى انقطاع المرء إلى الله وتعلقه به وحده .

« وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ »(١)

والعلاقات بين عبيد الدنيا قد تقوم على هذه المنافع المرجّوة بين الضعفاء والقادرين ، وربما قامت تقاليد اجتماعية راسخة بين الأتباع الأذناب والسادة أهل الجاه ، وربما كابر هؤلاء وأولئك دعوات الحق ، وناصبوا المرسلين العداء ، ولكن النتائج الأخيرة تخزى الجميع يوم الحساب **«وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا**

(١) هود : ١١٣ .

لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص»[1] وقد عجبت للمتنبّى كيف فَنِىَ فى سيف الدولة وكيف قال له :

يامن ألوذ به فيما أؤمله ! ومن أعوذ به مما أحاذره . .!

لايجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره .

إن جحود المتنبى لسيده لم يتأخر ليوم الحساب ! إنه بعد سنين كفر به وساق رواحله إلى مصر يقصد سيدا آخر وهو يقول :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا .

ما أجمل أن يكون للمرء سيد واحد لا يعرف غيره ولا يرتبط إلا به .

* * *

(١)إبراهيم ٢١

عصابات المرتدين

نجح الغزو الثقافى فى تأليف عصابات من المرتدِّين تستبقى ما حقَّق من أهداف إبَّان استعماره للعالم الإسلامى الواسع . إنه ألغى الشريعة الإسلامية وعطل نصوصها فى ميادين شتى ، وأوهن جانب العقيدة بعد ما قطع صلتها بالتربية والسلوك وأنشأ تقاليد جديدة لا ترتبط بالحلال والحرام ولا تكترث للقاء الله ! .

وهذه العصابات الكفور تخلط عامدة بين حرية الفكر وحرية الكفر ! . وتتبنى ألوانا من الثقافات الخائنة والفنون المنحلّة لا تزيد أمتنا إلا خبالا وقد انتسب إليها كل كاره للتراث الدينى ، وكل تاركٍ للصلاة والصيام . ولا ريب أن وراء هؤلاء مُوجِّهين من قادة الصليبية والصهيونية يحثّون خطاهم ويشدّون أزرهم ، والهدف القريب والبعيد منع المسلمين من العودة إلى دينهم وتزهيدهم فى أحكامه وشعائره .

إن هذا الجيش من المرتدين الجدد يحرس مخلفات الاستعمار العسكرى ، ويشتبك فى صراع مكشوف مع كل مسلم وَفِىٍّ لدينه وتاريخه وحضارته ، والراية التى رفعها الحرية والتجديد والتنوير ! .

وقد نظرت إلى السائرين تحت هذه الراية فما وجدت فيهم غيورا على كتاب الله ، بل قل : ما وجدت فيهم مُصدِّقًا له !! وما وجدت فيهم من يحترم رسالة الإسلام أو يحفظ حدودها . فإذا أعلن أحد الناس ريبته فى مقدساتنا طاروا إليه يشجِّعونه ويقوُّون ظهره ، ويُحرضونه على الله ورسوله ! .

لمن يعمل هؤلاء المرتدون ؟ لأعداء العرب والمسلمين وحدهم ! .

والمضحك أنهم يتحدثون عن العلم ، كأنهم بعض غزاة الفضاء أو مُفجّرو الذرة ! ومالهم فى ميادين البحث العلمى ناقةولا جمل ، وما ينظر إليهم علماء الكون إلا على أنهم عاطلون سخفاء . .

إن جمهرة العلماء أصحاب عقائد ، ولم يقل أحد : إن «كارل ماركس» من العلماء ، أو أن أشباهه من أصحاب الأهواء لهم علاقة بالدراسات الفيزيائية أو الكيميائية أو الفلكية ! . يجب أن نلقى عصابات المرتدين بما يجب من ازدراء وخصام ، وأن نمزق الأستار عن الجهات التى يعملون لها حتى يأخذالناس حذرهم ، إننا لن نترك ديننا ، وسنكسر القيود عن شرائعه المعطلة وآدابه المهجورة .

في .. «الطور»

رضيت كل الرضا عندما رأيت الطائرات المصرية تبيد أشجار الأفيون والحشيش التى زرعها بعض البدو فى سيناء وعجبت لقوم يزرعون الخبيث ويتركون الطيب ! .

لماذا لم يغرسوا قمحا أو شعيرا ؟ لماذا لم يغرسوا فواكه أو نخيلا ؟

إن سيناء من أقطار البحر المتوسط التى تجود فيها زراعة الزيتون فلماذا ماتت هذه الزراعة مع أن القرآن ذكرها منسوبة إلى منابتها « وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ »! . (١)

إن الأجيال تتغير وإن الأراضى كذلك تتغير والذى يرى سيناء الآن يعجب للصفرة والوحشة اللتين تكسوان سطحها وآكامها .

وذكرياتى فى سيناء بئيسة فقد اعتقلت فى «الطور» نحو عام ورأيت بدْوها لا يكادون يفقهون قولا ، وشعرت بأن الحكام فى القاهرة قد جعلوا ترابها المبارك منفى لمن ينقمون منه !

قلت لنفسى وأنا فى «الطور» : هنا هبطت نعمة النبوة على موسى عليه السلام ، سمع النداء المقدس « إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ »(٢)

لقد أمسى راعى الغنم قائد شعب كبير ، ولقد حمل الوحى وذهب إلى فرعون يقول له بأدب رقيق « هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ » ؟ . (٣)

لكن فرعون زهد فى هذه الهداية ، إنه يريد أن يعبده الناس لا أن يعبد هو الله ! . وحرّر موسى عليه السلام قومه من عبودية قاسية ولكن محرر العبيد لم يكن يدرى أن قومه يحملون للعالم أشد الضغائن ، وأن قلوبهم قدّتْ من الحجارة .

---

(١) المؤمنون : ٢٠ . (٢) طه : ١٢ - ١٣ . (٣) النازعات : ١٨ ، ١٩ .

إنهم الآن يمنعون «الصليب الأحمر» من تقديم الطعام إلى ثلاثة آلاف عربى جائع فى الخليل ، فرضوا عليهم منع التجوال فهم محبوسون فى بيوتهم ليهلكوا من المسغبة ! ! .

والمعركة اليوم محتدمة بين المستكبرين الذين يرون أنفسهم أتباع موسى عليه السلام وبين المستضعفين الذين يُحْسَبون أتباع محمد ﷺ !! وهم لا يربطهم برسالة محمد ﷺ سبب قائم . .

وشرعت أفكر فى أمتنا وفى أوضاعنا . . .

وعدت إلى زراع المخدرات فى سيناء ، إنهم لو حصدوا ما غرسوا ، لأرسلوا الموت إلى الوادى وقتلوا بسمومهم ألوف الأسر ، ولكن الله سلّم . .

بيد أن هناك فى ميدان الأدب والفكر أشخاصا آخرين يكرهون الوحى ويخاصمون تراث محمد ﷺ كلّه ، ويبذرون فى الحياة بذور الكفران بالله والدار الآخرة .

إن هؤلاء أضرى على الحياة العامة من ناشرى المخدرات ، ليس من الإبداع أن تحارب الصلاة والتقوى ! وأن تحتفى بالشهوات والأهواء وأن تمنع عودة المؤمنين إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم إن هذا تمهيد لجاهلية حديثة ينشدها الاستعمار .

* * *

هل هذا التزامن مقصود؟

الحروب الصليبية - فى العقل العربى المعاصر - ذكريات أتت عليها الأيام فاندملت جراحها وبردت آلامها . فإذا جدَّت أحداث تُذكِّر بها لم يذكرها أبناؤنا إلا غائبى الوعى قليلى الاكتراث .

أما فى العقل الغربىّ الحاضر فالحروب الصليبية محفورة فى ذاكرته تتجدد ولا تتبدَّد ، لا تبرح فكر الساسة والقادة وعلماء الدين والسياسة .

وقد رأيت مظاهر للحقد على الإسلام تثير الدهشة فما كنت أتصور أن امرأة كتاتشر(١) تذكر الإسلام بعدما انهارت الشيوعية على أنه الخصم الباقى للحضارة الأوروبية ، وما كنت أتصور أن كثرة من المدنيين والعسكريين تعتنق هذه الفكرة ، وتنشرها هنا وهناك . حتى الإذاعات العالمية التى تدعى الحياد والصحف الغربية التى تزعم الموضوعية فى علاجها لشتى القضايا لا تفتأ تنتهز الفرص بخبث كى تنال من الإسلام وأمته ! .

إن الغرب يطوى فؤاده على كره عميق للإسلام من الصعب علاجه ، وأنا يائس من إصلاح هذا العوج وكلّ ما أدعو إليه هو التحذير منه والاستعداد لمواجهته .

وهناك صنف آخر من الحاقدين على الإسلام ، هم عرب من جنسنا ، يتكلمون بألسنتنا ، فإذا راقبت مسالكهم وجدتهم كخواجات الغرب لا يقلّون عنهم ضِغْنا ولا أذى ، بل قد يزيدون .

ألَّف أحد الصعاليك كتابا نال فيه من الوحى والنبوات وسخر ما شاء أن يسخر من الدين وحقائقه ، فعاقبه القضاء بالسجن بضع سنين على وقاحته وهبوطه . فإذا كاتب شيوعى يعترض على الحكم ، ويقول : إن هذا مصادرة لحق الإبداع !! .

الإبداع فى عرف هذا التافه هو الإقذاع فى شتم الأنبياء !!

وكأنما كانت هذه الحركة إشارة على بدء الهجوم . فإذا عصبة من الملاحدة تتصايح من هنا ومن هناك على ضرورة إلغاء الحكم أو تخفيفه ليكون صوريا !!

(١) رئيسة وزراء انجلترا وقتئذ .

والتهمة المختارة التى يرددها هؤلاء أن حرية الفكر فى خطر ، وأن المتدينين - وفى طليعتهم الأزهر - صنعوا مقصلة لقتل المفكرين الأحرار ، أو بعثرة الأشواك فى طريقهم !! .

وقال واحد منهم يحمل لقب «مستشار» إنه حُرِم من حق الاجتهاد وصودرت له عدة كتب ! .

وقرأت ما كتبه «المستشار» المجتهد ، فإذا هو يحلِّلُ الخمر مستدلا بالآية «﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ . . »[1]

هذه هى عبقرية الاجتهاد عند مستشار لا أدرى أكتب كلامه وهو صاح أو سكران . إنه يتهم الأزهر بالجمود ، والعدوان على الحريات وإغلاق باب الاجتهاد !.

إن الحاقدين على الإسلام كثروا وعلا صياحهم وطالت لجاجتهم ، ويقع هذا فى بلادنا فى أيام نحسات تتعرض فيها الحركات الإسلامية لضروب الفتن وأنواع القمع مما يجعلنى أحس بأن هذا التزامن مقصود ، وأن الهجوم على قرية فى فلسطين قد يصحبه هجوم على حكم شرعى مقرر يجعل الأمة المحروبة تحار فى أى الجبهتين تقف للدفاع ؟ فهى توزع قواها المحدودة على جبهات شتى !! .

ماذا نصنع ؟

لابد من الثبات فى مواقف الحراسة ، ولن نتخلَّى عن ديننا مهما كثر الهاجمون ، وخبثت حِيَلُهُم ، وساندتهم قوى جليَّةَ أو خفيَّة .

* * *

---

(١) الأنعام : ١٤٥ .

عجز مهين

تعظيم أمر الله من أمارات التقوى ودلائل اليقين أما قلة الاكتراث بحكم الله فما يقع إلا مع خراب القلوب ، وبعدها عن الإيمان ! ومن خصائص الحضارة الحديثة أنها لا تربط السلوك برضا الله أو بسخطه ، العمل فيها له باعث شخصى ، فإذا ارتقى قليلا كان له باعث خلقى ، وقد يكون لأسباب تجارية أو اجتماعية أما أن يكون العمل ابتغاء وجه الله ، وانتظار ثواب الآخرة ، فذاك بعيد بعيد ! .

وقد لاحظت فى بعض الإحصاءات أن الأولاد اللقطاء يقاربون فى العدد الأولاد الشرعيين كما أن بعض اللقطاء وصل إلى منصب رئيس حكومة ولاحرج ! وقع ذلك فى أوروبا وأمريكا . . وأعرف من دينى أن ابن الزنا غير ملوم ، وأنه خير من أبويه ، ماجريرته ؟ .

لكنى ما تصورت أن يكون أولاد الحرام نصف المجتمع ! وأن يبلغ الاجتراء على الله هذا الحدّ ، لكن الحضارة الحديثة لها منطق آخر لا ندريه ، وقد كنت أتساءل عن صلابة موقف الفاتيكان فى تحريم الإجهاض ، إنها صلابة مشكورة ، وهو يتفق مع الإسلام فى احترام الأجنّة ، لكننى إلى الآن أتساءل : لماذا سكت عن إباحة اللواط والسحاق والبغاء والزنا وسائر الأدران الجنسية الشائعة؟ لماذا لم يشن عليها حربا شعواء؟

إن الله دمّر المدينة التى يّسرت الفسوق وتواضعت على اقترافه ، فلماذا يترك الفاتيكان عواصم الغرب تتعرض للمصير نفسه ؟

ثم أريد أن أعرف هل الله الذى نؤمن به هو الله الذى يؤمن به الغربيون ؟ أم هو كائن مشغول بالتأمل فى ذاته - كإله أرسطو - الذى يذهل عما يقع فى العالم ؟

يدفعنى إلى هذا القول ما أسمعه من أن كوكب الأرض سوف يضيق بالأحياء ويعجز عن طعامهم وشرابهم ، إن كثرتهم أثقلت كاهله فلن يستطيع بعد انتهاء القرن العشرين لميلاد عيسى عليه السلام أن يتحمل مزيدا منهم ! سبحان الله ، أين الرزاق ذو القوة المتين؟

الحق أن عيسى ومحمداعليهما الصلام والسلام بريئان من هذا اللغو ، وأن الحضارة المقطوعة عن السماء من وراء شيوعه ، إنها حضارة موغلة فى الجشع والكنود ، وهى تحسب أن زيادة العالم الثالث ستحرمها الينابيع الدافقة هنا وهناك ، وتمنعها من الاستئثار بها ولذلك ترسم سياسة صارمة لتقليل الأقطار المتخلفة فإن كثرة الخدم قد تكون سببا فى متاعب السادة ! إننى لا أعاتب أحدا وإنما ألوم قومى على عجزهم المهين .

لا خلط بين الآيات

لا يجوز الخلط بين الآيات التى تعرض الدعوة ، والآيات التى تبنى الدولة . فالآيات الأولى تخاطب ذهنا خاليا كى يعرف ربا هو به جاهل وله منكر ، فإذا شرح بالإيمان صدرا قيل له : استقبل حياة لها معالم أخرى وتكاليف جديدة ! .

عندما يدعى الخالى إلى الإسلام تجيء الآية « وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ . . »[1] لاقسر ولاجبر ولا إكراه فى الدين ، فإذا آثر الحق ودخل فى الإيمان قيل له : هناك واجبات شتى تنتظر المؤمنين وعليهم القيام بها مثل « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً »[2]

فالقول السديد بعد القلب التقى أساس الخلق المسلم . كما يقال للمؤمنين عامة « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »[3] فالمجتمع المسلم خليّة نحل حول المسجد يستجيب لندائه بين الحين والحين مؤديا حقوق الله ، كما يطلب من المؤمنين الاستعداد لمواجهة عدوهم وصدّ عدوانه الذى لاينقطع « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً »[4] .

هناك شبكة من الأوامر والنواهى تحرس المجتمع الجديد وتشدّ بنيانه ، ولا يقبل من أحد الاستهانة بها أو التفريط فيها . .

وقد رأيت ناسا يفسرون « . . **من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**» من شاء صلّى ومن شاء ترك من شاء سكر ومن شاء صحا ! من شاء عفّ ومن شاء فسق . .

أى يريدون مجتمعا فوضويا خاليا من الحقوق والالتزامات .

ونبتت جرثومة هذا الفهم فى الأوساط المرتدة التى رباها الاستعمار فى كنفه ، وغذّاها الغزو الثقافى بتعاليمه الكفور . .

---

(١) الكهف : ٢٩ .
(٢) الاحزاب : ٧٠ .
(٣) الحج : ٧٧ .
(٤) التوبة : ١٢٣ .

إن هذا الاستعمار بعد ما ألغى الحدود والقصاص ، وأبعد الشريعة عن عالم القانون اتجه إلى ضرب العقائد والعبادات ، وأخلاق الإسلام وقيمه ! وبثّ دسائسه فى ميادين التعليم والإعلام لإنشاء أجيال خاوية لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا .

وقد سمعنا صيحة غريبة تقول لا نريد الإسلام السياسى ! .

فماذا تريدون ؟

نريد الإسلام الروحى وحسب !

والحقيقة أنهم يرفضون الإسلام كله بدءا من كلمة التوحيد إلى إماطة الأذى عن الطريق ! .

إنهم يريدون إسلاما يبيح الزنا والسكر ولا يعرف لله حقا فى شىء .

إن هناك عقدا بين الله وعباده ، يقول الله : شرعت .

ويقول المؤمنون سمعنا وأطعنا .

فمن رفض السمع والطاعة لله لا يسمَّى مسلما ، ولا نقبله فى صفوف المؤمنين .

* * *

الإيمان والمعادن النفيسة

سمعت فى إذاعة لندن أن هناك نظاما مقترحا لتشغيل المسجونين حتى يسهموا بعملهم فى نفقات معيشتهم ، فإن المسجون الواحد يتكلف فوق الأربعمائة جنيه شهريا ، والنظام المقترح يساعد بتقديم ربع هذا المبلغ !! .

ومعروف أن عقوبة الإعدام ممنوعة فى إنجلترا وأنه لا القتلة ولا المفسدون فى الأرض يفقدون حياتهم ، إنهم ينزلون ضيوفا على سجون تشبه أن تكون فنادق !! وعلى الدولة تكاليف هذه الضيافة . ولست أقحم نفسى على فكر هؤلاء الناس ومسالكهم ، وإنما استغربت أن يطلب منا التشبّه بهم والعيش على غرارهم ، فإن منتسبين لجماعة حقوق الإنسان – وهم يستنكرون عقوبة المرتد فى الإسلام – طلبوا إلغاء عقوبة الإعدام جملة . وقالوا : إنهم لا يرجعون فى هذا إلى نصوص الدين ، وإنما يستندون إلى الميثاق الدولى .

ودحرجة الإسلام حتى لا يكون مرجعاً للسلوك هدف تسعى إليه فئات كثيرة .

إن الدين ينسج شبكة من الأوامر والنواهى على وجهات الناس فى هذه الحياة ، تضع أمام أعينهم علامات حمراء أو خضراء : مرّ أو لا تمرّ ! ، افعل أو لا تفعل ! .

فإذا أطفئت هذه العلامات وأبطلت وظيفة الدين فما الذى يوجّه سلوك الناس ؟ ويرسم لهم الغاية من مسعاهم . ؟

إن هناك جهودا مكثفة لتضييق دائرة الدين ، وتغطية أشعته هنا وهناك واختلاق بدائل مستوردة من الشرق أو الغرب لتحل محلّه ! .

فماذا كسبت الجماهير من هذه الجهود الخائنة ؟

وماذا أفادت قضايانا العالمية والمحلية ؟ ضعفت العقائد ، وهانت الأخلاق ، وتاه الشباب وتحركت الشهوات دون قلق ، ودافع الناس عن وجهات نظرهم وكأنها الوحى الصادق .

عندما استُقْدمتْ النزعة الوطنية من أوروبا ، طُلب منها أن تحلّ محل الضمير الإنسانى وأن تحلَ محل الشعور الدنى ، ومن الذى يكره وطنه ؟ أو يرخص مكانته ؟ ولكن صوت الدين لا يجوز أن يخفت ! .

وقال الله وقال رسوله لابد من إعلائهما ! والحق أن الوطنيين من خمسين سنة كانوا قريبى عهد من منطق العقيدة وهداها فكانوا أقوى رجولة ، وأصلب عودا .

ولقد أضرب الموظفون أجمعون يوما ما عن العمل فى مواجهة الاحتلال البريطانى ، وكان نداء الرجولة سريعا فى ملء المواقف الصعبة ، بل كان حامل الشهادة المتوسطة أكفأ من حملة الإجازات العليا فى هذه الأيام العجاف ! .

لقد كان الإيمان – ولا يزال – صانع المعادن النفيسة والأخلاق الصلبة .

سعى القلوب

شعرت بضيق فى نفسى ، وانحراف فى مزاجى ! وأدركت أن حكمى على الأمور سوف يبعد عن الصواب إذا بقيت سجين هذه الحال الرديئة ، فقلت أستغفر الله وأتوب إليه لعل صدرى ينشرح وميزانى يعتدل ! ! .

ولكن هاجسا تحرك فى نفسى يقول : علام تستغفر ؟ إنك ما أخطأت فى شىء ولا ظلمت أحدا ، فاطمئن . . .

فقلت لنفسى : وهل انتظر حتى أسىء أو أعتدى ثم استغفر الله ؟

إن الحال التى تعانيها هى الوعاء التى تولد فيه السيئات ثم تنمو ، حتى إذا جاءت المناسبة للظهور تحركت . والقلب القاسى هو الذى يدفع إلى الكبر حينا وإلى الكنود حينا وإلى استباحة الآخرين حينا ، فإذا شعرت أن قلبك أخذ يقسو فاستشعر الخطر وتذكر قوله تعالى « فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ . . . »[1]

إن الله قد يمتنّ بالنعمة على واحد من خلقه ، فيقول المسكين : هذه ثمار عبقريتى ونتيجة جهدى وكفايتى ويمتلىء اعتدادا وفخرا «فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (49) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ »[2] فليرقب المرء أحواله الباطنة فإن فساد الظاهر يغلب أن يكون من رداءة الباطن . .

جاء فى السنة أن أحد الراسخين فى العلم جاءه مجرم اعتاد القتل ، وسأله هل لى من توبة ، فأجابه العالم من يمنعك من التوبة ؟ دع أرضك التى تعيش فيها ، والحقْ بأرض صالحة تعينك على الاستقامة ! فانطلق الرجل صوب القرية التى تعينه على تقوى الله .

---

(1) الزمر : 22 .
(2) الزمر : 49 ، 50 .

ولكن مَنيتُه أدركته فى الطريق ! قيل إنه لما أحسَ دُنُوَّ أجله أخذ ينوء بصدره إلى الإمام ، ولكن الأجل عاجله .

قال رسول الله ﷺ «فاختصمتْ فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب .

قالت ملائكة الرحمة : إنه جاء تائبا ، مقبلا بقلبه إلى الله تعالى .

وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط !! فأتاهم مَلَكٌ فى صورة آدمىّ فجعلوه بينهم - حكما - فقال : قيسوا ما بين الأرضيْن ، فإلى أيهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد بشبر ، فقبضته ملائكة الرحمة . .!!»

شبر واحد بتَّ فى مصيره ! لم يكن نشاط قدم تسعى ، بل كان جهاد قلب تائب مستميت فى العودة إلى الله ، جعل صاحبه - وهو يغالب الموت - يتحرك إلى الأمام .

إن المؤمن يتطلع دائما إلى الكمال ويتبرم دائما بالنقص ولا يستكين إلى وضع إذا ركن إليه يوشك أن يهبط إلى القاع ولأمر ما قال رسول الله : « أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب إلى الله فى اليوم والليلة مائة مرة »

هذه دعوة حثيثة إلى التسامى مادامت الحياة .

* * *

مسلمون فى ألمانيا

قضيت فى «ألمانيا» عشرة أيام للتعرف على أحوال المسلمين هناك ، وفى أثناء انشغالى بلقاء إخوانى ودراسة قضاياهم رأيت مظاهر الارتقاء الإدارى والحضارى الذى بلغه الألمان وشيوع النظافة والنظام فى كل شىء ، ولفت نظرى أن الجدّ والرضا يصبغان وجوه العاملين فى كل مكان فلا أثر للاسترخاء والعبوس ! وطويت نفسى على ما بها وأخذت أفكر فى حال قومى ! .

المسلمون هنا يبلغون مليونين ونصفاً أغلبهم من الأتراك ، وبقيتهم من العرب ، ومع أن الوجود الإسلامى مضى عليه قرنان إلا أنه تنامى فى الثلاثين سنة الأخيرة وتضاعف عدده .

ويتوزع الأتراك على ثلاث طوائف كبيرة تتنافس فى الخير ، ومع تمايزها فلا شقاق بينها ، بل لاحظت حرص الجميع على الهوية الإسلامية وحماسهم فى دراسة الكتاب والسنة وإن كانت الكتب التى يستفيدون منها كالغذاء الصعب الهضم ! .

أما العرب الوافدون من أماكن شتى فتقودهم الطلائع الإسلامية المنظمة ، وقد صلينا الجمعة مرتين فى مسجد «آخن» مع جماهير من الرجال والنساء ، وقبل عودتنا بيوم سجلنا إسلام إحدى الألمانيات ، وكانت بادية السرور رائعة الاحتشام ! وحرية التدين مكفولة ، وليس هناك عائق أمام إقامة الشعائر .

والشعب الألمانى نصفه من الكاثوليك ونصفه الآخر من البروتستانت ، وهو شديد التمسك بنصرانيته ولعل أقوى دليل على ذلك أنه لما انهزم فى الحرب العالمية الأولى ، ثم بلغه أن « أعداءه » الإنجليز دخلوا بيت المقدس دقّت الكنائس أجراس النصر لانتهاء الحروب الصليبية كما أعلن ذلك «مارشال ألنبى» !! لقد نسوا جراحاتهم ، وما اقتطع من أراضيهم وأموالهم وذكروا شيئا واحدا ، أن الإسلام انهزم !! .

ونحن لا نعجب لهذه الأحقاد التاريخية ، ولا نغفل عن آثارها فى السياسة المعاصرة ، ووَدِدْتُ لو أحسنَّا مواجهتها ! .

إن المسلمين مع ما يتمتعون به من حرية إقامة الصلوات ينقصهم شيء مهم ، هو حرية إقامة المدارس الذى تتربّى فيها ناشئتهم ، إن هذه الحرية مفقودة . والخطر على مستقبل الأجيال الجديدة قائم .

والسبب فى ذلك عدم اعتراف الدولة هناك بأن الإسلام دين ! كما اعترفت بذلك بلجيكا والنمسا ، ويسعى المسلمون فى ألمانيا للحصول على هذا الاعتراف ، وجمهرتهم تسعى وراء ذلك سعيا حثيثا ، وتبذل جهدها لبلوغ هذا الهدف .

ومنذ أيام أقام المسلمون حفلا كبيرا لبناء أول مسجد فى ألمانيا منذ ٢٧٠ سنة ، وكان لزاما عليهم أن يذكروا بالتقدير والشكر الملك «فردريك» الذى أصدر إعلانا بضمان الحريات الدينية ، ومكنهم من إقامة المسجد ! وقد كتبوا هذا التقرير فى إعلان يحمل صورته . . .

وبعد أيام وجد الإعلان مشقوقا والصورة ممزقة !! .

إن أحد الغلاة فعل ذلك لأنه يكره التصوير !! وقامت إدارة المسجد بلصق إعلان آخر . . .

قلت : أبهذا المسلك نحصل على الاعتراف بالإسلام ؟ وتحصين الأجيال الجديدة ؟ أما نحسن التصرّف ؟ .

* * *

في المانيا
إنهم يعملون !

في أثناء التجوال ببعض المدن في ألمانيا لاحظت أن الزحام خفيف ، وأن نصف الكراسِيّ في المركبات العامة خالٍ ، وأن الشوارع لا تسمع فيها إلاهمسا . . !

قلت لصاحبي : أين الناس ؟

فأجاب : الناس في مَقارّ أعمالهم ، فمن الصباح الباكر إلى منتصف السابعة مساء يكون العمال في أعمالهم والموظفون في مكاتبهم ، والطلاب في مدارسهم وجامعاتهم إذ أن الدراسة يوم كامل . .! فإذا انقضى يوم العمل بدأت الراحة داخل البيوت ، وهي بيوت مزوَّدة بما يعين على الاستجمام .

وسرحت بي الذكرى إلى القاهرة وغيرها من العواصم العربية . الزحام شديد والعمل صوريّ والناتج قليل ! .

إنني في الفندق الذي أنزل به أسمع وقع الأقدام على الأرض وكأنها خطوات عسكرية . وأرى الموظفين يؤدون أعمالهم وعلى أفواههم بسمات وفي وجوههم بشاشة . الناس هنا لايرون الحياة إلا عملا . . !

على أن هناك شيئا رابني ، وأعلنت كراهيتي له ، فتى وفتاة يسيران معا . الفتى يلبس سراويل طويلة ، والفتاة تلبس سراويل لا تكاد تغطي نصف أفخاذها ! .

قلت في نفسي لماذا هذا التناقض ؟

والواقع أن أغلب النساء ما يمنعهن من العري إلا الجو البارد ! فإذا ساد الدفء تكشفت أعضاء ما يسوغ أن تكشف . . .

إن الناس في الغرب يشرحون النساء شرحا منكرا ، وقد تحدثت مع أحد المستشرقين ، فقال هذه فروق بين حضارتين ، بين مجتمعنا ومجتمعكم ! .

فقلت له : كان آباؤكم عندما يسافرون يُلبسون المرأة حزام العفّة وكانت الثياب طويلة سابغة ! فماذا عراكم أنتم ؟ أكان آباؤكم ضالين مثلما تنظرون إلينا ؟ فسكت ضاحكا . .

على أن الغربيين يقيمون فواصل غليظة بين الجدّ واللهو فلا يسمح أبدا بعبث فى أوقات العمل ، بل الأعصاب والأفكار مشدودة إلى الإنتاج الكثير والثمر الوفير .

فإذا انتهى يوم العمل ترخّص القوم فى المجون والعبث ! والمأساة عندنا تظهر فى الخلط القبيح بين الأمرين ، بل نحن نكاد نضيع وقت العمل سدى ! ! .

وبعض الناس عندنا يجعل العمل الإدارىّ متنفّسا للعُقَد النفسية ، وينظر للجمهور الذى يتردّد عليه كأنه من طبقة أدنى ! أو كأن الناس عبيد أبيه أو أمه .

وأذكر أن صديقا لى دخل على أحد الرؤساء فى حاجة له تتصل بمبنى يملكه فإذا الموظف الكبير ينظر إليه شزرا ويتناول الورق بتأفّف ، فقال له صاحبى مقتحما أسواره : إذا كنت نصرانيا فالله عندكم محبة ! وإذا كنت مسلما فنبيكم يقول **تبسّمك فى وجه أخيك صدقه !!** فما هذا الكبر البادى على وجهك ؟ إذا لم تخدم المصلحة العامة فما عملك هنا ؟ .

والواقع أن صورة هذا الموظف السمج لا ترى هناك ، الرئيس والمرءوس يؤديان عملهما بلطف ودقة وعندما قدمت جواز سفرى للموظف المختص أخذه وردّه فى لمح البصر ، وتحوّل إلى غيرى على عجل ، العمل هو الهدف ! لا مكان لشىء آخر .

* * *

الإخــلاص

الإسلام يقين فى الأفئدة وزكاة فى النفوس وشرف فى الأخلاق وسموٌّ فى المسالك على نحو ما قال الرسول الكريم «**إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها**» وفى كل شبر من الأرض ولحظة من الزمن تستطيع أن تقدم هذا الإسلام مُستقىً من الكتاب والسنة وتطبيقات الخلافة الراشدة واجتهادات كبار الأئمة وأفهام أولى الألباب .

عيب بعض المتحدثين فى الإسلام أنهم ينقلون علومه عن عصر ملوك الطوائف ، أو عصور المستعجمين من المماليك ، أو سياسة الدويلات التى خرجت من جذع الدولة العباسية كما تخرج من جذر الشجرة فروع طفيلية تنقصها ولا تزيدها .

إن القدوة فى العلم والحكم تؤخذ من السلف الأول ، ولا تؤخذ من خلوف تائهين ، وقد رأيت البعض يجادل بحدَّة عن أن مشورة أهل الحل والعقد مُعْلِمة لا ملزمة !!

فقلت هازئا : لماذا سُمُّوا إذن أهل الحل والعقد ؟ وهناك من يقف مكتوف الأيدى أمام قضية حقوق الإنسان لأن هذا العنوان الجديد لم يُعرف فيما قرأ من كتب ، كأن الإسلام هو المصطلحات التى شاعت وحدها قديما ، أما المعانى التى استبحرت فى القرآن الكريم وتألقت فى السنة الشريفة فهو بمعزل عنها . . .

وثم أمر آخر ، إنه لا دين إذا لم يتكون القلب التقىُّ والعقل المؤمن فمن فقد الضمير الصاحى والفكر الذكىّ فلا خير فيه .

إن الأنبياء جميعا اتجهوا إلى الإنسان يصقلونه ويتعهدونه ، وبعيدا عن عصا الشرطىّ كوّنوا الرجال والأطفال أى صنعوا مجتمعا وضيئا مكينا فى أيام كان الحكم فيها للوثنيات الحجرية أو البشرية ، والذين يعجزون عن بناء هذا المجتمع يستحيل أن يقيموا حكما إسلاميا ، والذين يقاومون بناء هذا المجتمع لابد أن تحصدهم سنن الله فى العمران البشرى« فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ »[1] .

---

(١) الرعد : ١٧ .

وإذا كان لابد من قبول هزيمة مَّا فأنا أوثر شعبا مؤمنا أنجح فى بنائه على حكم سيِّئ أفشل فى اقتلاعه ! أو بتعبير الدكتور مصطفى محمود «أفضل للإسلام أن يتربع على ضمائر الناس ويسوس حياتهم من أن يتربَّع رجاله على كراسىٍّ السلطة» .

وأعتقد أن نجاح الدعاة فى نشر الإخلاص والمرحمة والتعاون والنظام والنظافة والنشاط والإيثار شئ لا يقدر بثمن ، وهذه الأخلاق هى المهاد الحقيقىّ لكى يقوم من تلقاء نفسه حكم صالح . . .

لطالما قررنا أن الحكم صورة صادقة للشعب نفسه وأن الأمر كما قال القرآن الكريم « وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ »[1] .

أذكر أنى رأيت رجلا متحمسا فى نشر الدعوة - كما يقول - فارتبت فى نيته ورأيت أن اختبره !

فقلت له : تحب الشهرة ؟

قال : وَلِم لا ؟

قلت : هل أدُلُّك على أخصر طريق للشهرة ؟

قال نعم !

قلت : تشتم النسوان وتتجرأ على ذوى السلطان !! وأنا أضمن لك بعدئذ مكانة بين الناس ، ومكانا فى جهنم !!

قال : ولماذا المكان فى جهنم وأنا أذكر الحقائق ؟

قلت الحقيقة إذا لم يقصد بتقريرها وجه الله كانت وبالا على صاحبها ، وقد قرأت الحديث الصحيح «الرياء شرك» .

قال : أيعجبك ما ترى من تهتك وخلاعة وفوضى ؟

قلت : كلاً ما يعجبنى ، وليست حربه بالأسلوب الذى تفعل ! إن التربية المتأنية والشرح المتتابع والموعظة الحسنة والجدال المبتسم أجدى على الإسلام من الشتم ، والتهجُّم ، وليكن الله من وراء القصد ، ولتعلم أن المستقبل بيده .

---

(١) الأنعام : ١٢٩ .

المـــثيرات

هناك مثيرات تردّ الإنسان إلى الله وتشعره بقربه وهيمنته عليه وإطلاعه على سرّه ونجواه .! ما هذه المثيرات ؟ .

قد تكون لحظات عابرة تومض ثم تخفت ، ويعود المرء بعدها إلى غفلته العادية وقد يطول أمدها ويعمق ويعقبها تغيّر فى السلوك العام ! .

إننى أنتهز هذه المثيرات وأرتب عليها أمورا ذات بال حتى لا تضيع سدى . .

أذكر وأنا طالب أقضى إجازتى فى القرية أنى صليت الفجر فى المسجد ثم قررت أن أخترق الحقول متجها إلى النيل لأسير على شاطئه ساعة كانت الظلمة لا تزال تسود الأرجاء ، وأصوات الضفادع والجنادب لا تزال تسمع فى الترعة القريبة ! قلت حسنا فلأتلُ أنا بعض ما أحفظ من قرآن ، ولأدخل فى مسابقة مع هذه الكائنات التى تسبح بحمد ربها وكنت متوقفا عند سورة الإسراء فاستأنفت التلاوة وأنا اخترق عيدان الذرة وشجيرات القطن وأنواع الزروع ، وهجس فى نفسى هاجس غريب .

قلت إن الطين انشقّ عن هذا النبات الناضر وهذا الثمر النضيد أفلا يمكن – ونفسى من هذا الأصل – أن تزدان بصنوف من الثمر الجيد والخير الكثير ؟ فدعوت بصوت عال : يامن يخلق من الطين حبوبا ورياحين اجعل منى إنسانا مورقا بالخير ، حافلا بالثمر !! إنك على ما تشاء قدير . .!!

وبلغت شاطىء النيل وأنا أناجى وابتهل ، ثم سرت قليلا وقد سرح فكرى مع رحلة أخرى وإنسان آخر ، مع أبى الفرج بن الجوزى الداعية الكبير قالوا : كان يستحب الدعاء بين القبور ! .

لقد استحببته أنا مع منابت الحياة ومطالع الأزهار والثمار ، فبيننا فارق كبير !! ثم قلت : النتيجة واحدة ، إن الرجل يقتل غرور الدنيا فى نفسه عندما يسير بين مصارع الآمال ، وخواتيم هذه الدنيا ، ويتعلم أن الله هو الحق المبين .

أما أنا فقد أتيت الحقيقة من طرفها الآخر . . أو من نشأتها الأولى .!

إن كثيرا من الناس يودع أحبابه الثرى ثم يذهب لشأنه دون ذكرى واعية أو عظة بالغة فهل تلك قصة الحياة . .؟

وتذكرت شاعرا من محلة اسمها « الدير » قريبة من مقابر المدينة يقول :

وبالدَّيرْ أشجانى ، وكم من شَج له   دُوَيْن المُصَلّى بالبقيع شجون !
رُبىً حولها أمثالها إن أتيتها   قَرَيْنك أشجانا . . وهن سكون !!

إن المثيرات التى تخترق مجرى الحياة العادية كثيرة ، والمهم حسن استغلالها فلعلها تكون نقلة من طريق إلى طريق ومن اتجاه إلى اتجاه .

ولنعلم أن الحضارة المعاصرة ترفض كل ما يعود بالناس إلى ربهم ، وتطرب لكل ما يربط الناس بالدنيا وفتونها وزخرفها .

ولست محاربا للحياة ولا كارها للبقاء فيها ولكنى مستيقن أن الخلود فيها مستحيل ، وأن لربها حقوقا . من العقوق أن ننساها ، ومن العقل أن نحافظ عليه .

* * *

حماقة

الفطانة من أخلاق الأنبياء ، وهى بصيرة تدرك الأعماق الخفيّة والأبعاد القصيّة ، وترى الأشياء على ما هى عليه دون نقص أو زيادة ، وتتلطف فى معاملتها واستخلاص النتائج منها . . ذلك أن هناك بصرا أحول ، أو بصيرة حولاء ترى المائل مستقيما وترى الواحد جمعا ، وتبنى النتائج على ما تهوى فبينها وبين الواقع مسافة بعيدة ، وقلّما يصح لها حكم . !

وأحق الناس بالفطنة رجال الدعوة الذين يتبعون الأنبياء ويقومون على رسالاتهم ويُقدِّمون من أنفسهم وسيرتهم نماذج للصلاح والتقى !! ولا أمل فى دين أو دنيا مع البصر الأحول .!

تأملت فيما وقع ببنى سويف ، وفى أعداد الجرحى والقتلى الذين تمخضت عنهم معركة عمياء للاحتفال بعيد الفطر قبل ثبوته فى مصر ، أو بعد ثبوته فى قطر آخر ، وتذكرت ما وقع للأستاذ الشهيد حسن البنا عندما دخل قرية فوجد أهلها منقسمين حزْبين ، هذا يريد أن يصلى التراويح ثمانى ركعات ، وذاك يريد أن يصليها عشرين ركعة ، وأُشْرِعَتْ العصىّ واستلّت السكاكين وبدت نذر الحماقة المزعجة !

فأمر الأستاذ بإغلاق المسجد عقيب صلاة العشاء ، وإلغاء التراويح به ، وقال ليصلِّ من شاء فى بيته العدد الذى يريد من الركعات .

إن صلاة التراويح نافلة ، وإن صلاح ذات البين فريضة ، وإذا كانت الفريضة ستضيع لإقامة نافلة فلا أقامها الله .

وقد تساءلت بعد قتل بضعة أشخاص ، وجرح كثيرين : فى سبيل ماذا كل هذا؟ .

إن صلاة العيد سُنة ، لو صحّ وقتها ، ووقتها عند الجمهور لم يأت ، فلماذا تسفك فى سبيلها دماء وتزهق أرواح . ؟ !

وقلت : إن هذا من تلبيس إبليس على بعض العابدين كما يقول ابن الجوزى .

وفوجئت بشخص يقول : ابن الجوزى لا يحتجّ به !

قلت : إمام مؤرخ مفسّر داعية أديب لا يحتج به فبمن يُحتجُّ إذن ؟

قال : قرأنا أن ابن الجوزى كان يشرك فى دعائه لله ، كان يذهب إلى القبور فيدعو !

فقلت يدعو ا لله ولا يدعو الأموات ! وماذا فى أن يتذكر المرء مصارع البشر فى هذه الحُفَر ، وهمود حركاتهم وضجيجهم تحت هذه الصفايح فيرق قلبه ويلجأ إلى ربه ويجأر بدعائه أهذا شرك أيها الأحمق ؟ إن تفكيركم مُلْتاث ، ولكم جراءة على أئمة الفقه ورجالاته لا تزيدكم إلا خبالا ! .

ألا فلتعلموا أن تلمَّسكم العيوب للأبرياء جريمة تبطل أعمالكم وقد قال رسولنا الكريم «**ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه**» .

وإذا كان أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى مشركا فمنْ تصحّ عقيدته بعده ؟

ثم ينبغى أن تعلموا أن الأمة التى لا تاريخ لها لن يكون لها حاضر ولا مستقبل ، وإذا كان شغلكم الشاغل تجريح الرجال ، وهدم الجبال ، فستقع الأنقاض على رءوسكم وتخمد تحتها أنفاسكم .

قليلا من الفطنة ، قليلا من الأدب ، قليلا من الإنصاف حتى ننقذ أمتنا من ورطات أحاطت بها .

* * *

عقوبة الإعدام

منظمة العفو الدولية تقوم بعملين متناقضين ، فهى تسعى إلى كشف الجرائم الموجّهة ضد البشر حيث كانوا ، وتشهّر بأصحابها وتحاول تطهير المجتمعات منها ، وهذا عمل حسن نؤيدها فيه ، ولكنها تبذل جهدا آخر فى إلغاء عقوبة الإعدام من قوانين العالم كلها ، وتمهّد للقتلة مستقبلا فى السجون يتناولون فيه الغذاء وقد يستمعون إلى الغناء ! وهذا تفكير مستغرب نرفضه جملة وتفصيلا .

إننا عن طريق العقل والوحى نرى أن القاتل يقتل ، وإن إفقاده الحياة جزاء عدل على ما جنت يداه .

ومعروف أن العقوبة لها جانبان جانب يرمى إلى حماية المجتمع ، وتخويف الآخرين من القصاص إن هم اقترفوا هذا الإثم ، وذاك معنى قوله تعالى **«فى القصاص حياة»**[1] .

إن الإجهاز على مجرم أزهق روحاً بريئة يصون أرواحا أخرى كثيرة و يستبقى لها السلامة والأمان ، وذاك ما أدركه العرب الأقدمون فى جاهليتهم عندما قالوا : « القتل أنفى للقتل . » .

والحق أن الإعدام رادع جيد لذوى الضمائر المظلمة .

أما الجانب الآخر فهو يتصل بالقاتل نفسه . لماذا نُكلَّف بصيانة حياته وهو لم يصن حياة الآخرين ؟

لماذا لا يذوق طعم الموت الذى أذاقه غيره ؟

لماذا نرحمه وهو لم يرحم أحدا ؟

إن العشب السامّ يقلع . والعضو الضارّ يبتر . والرحمة به عدوان على الغير .

---

(١) البقرة : ١٧٩ .

ومنظمة العفو تسير فى الطريق التى سارت فيها القوانين الوضعية فضرّت وأساءت ، فالقضاء فى أغلب البلاد العربية أظهر الرأفة بالقتلة ولم يحكم بالقصاص العدل إلا فى عُشر جرائم القتل فكيف كانت العاقبة ؟ اتسعت دائرة الإجرام ولم تجفَّ الأرض من الدماء المسفوكة طلبا للثأر أو إشاعة للجريمة .

ولو أن كل قاتل قُتل لتضاءل عدد الجرائم إلى حد بعيد .

ذلك وليس القتل واجبا لمن يقتل وحسب ! بل إن الفساد فى الأرض يستحق العقوبة نفسها ، لأن مثيرى الفوضى ومستبيحى الأعراض وناشرى الذعر بين الناس لا يجوز التهوين من خطرهم على الحياة العامة . وقد قال الله تعالى : « مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا »[1] .

إن هذا قانون طبيعى . فنحن نبيد الجراثيم ونهلك الحشرات المؤذية حفظا للصحة العامة ، إن الإنسانية تكسب كثيرا عندما تخلو الحياة من قطاع الطرق ومغتصبى الأعراض ، ولن تخسر شيئا من اختفائهم تحت أطباق الثرى .

المطلوب فقط أن يتم ذلك أمام قضاء بصير عادل نزيه ، وأرى أن تتم العقوبة علانية حتى تحسم ميول الإجرام عند بعض المرضى ، فالاستقامة تتم بين عوامل الرغبة والرهبة معا !

وأخيرا ننبه الساعين إلى إقامة فرع لمنظمة العفو الدولية عندنا أننا نرفض التفريط فى آية من كتاب ربنا ، ونساهم مع أهل الشرف فى حماية حقوق الإنسان ومقاومة من يعتدى عليها ، ونبسط أيدينا مصافحين ومؤيدين !

أما القوانين الوضعية فقد آن الأوان لدفنها وإراحة البشر منها ! .

* * *

(١) المائدة : ٣٢ .

الوحدة الوطنية

للوحدة الوطنية في مصر صورة مستغربة ، أساسها أن يترك المسلمون دينهم ، وأن يترك الأقباط دينهم ، وبعد التعرّي من العقائد والعبادات ينصهر الكلّ في بوتقة الحب الخالص لمصر ، وبذلك تنشأ أمة عصرية تحيا بعيدة عن التعصب والرجعية !!

هذا ما يتحدث به العلمانيون ويدعون إليه الأجيال الجديدة . .

ونحن نقاوم كل دعوة لترك الدين ، ونؤكد أن الوحدة الوطنية الصحيحة قوامها شعب مؤمن بمواريثه ، بعيد عن الإلحاد والإنحلال . .

وأصارح بأنه لا يسرني أن يتحول النصارى إلى ملاحدة تحت عنوان شيوعي أو وجودي إن المؤمن بالوصايا العشر أقرب إلى نفسي من الكافر بها ، والمرتبط بعبادته أولى بالثقة ممن لا يعبد إلها ، ولا يضبطه وحي !!

والعلمانيون في مصر أو في غيرها يَحْدون الجماهير إلى مواطن الخزي والندامة ، وينبغي أن نحشو أفواههم بالتراب !

ماذا لو بقيت الوحدة الوطنية تستمد قوتها من علاقة سماوية شريفة ؟ تفرض على كل مؤمن الوفاء بتعاليم دينه ؟

إن هذه الوحدة المتدينة غائرة الجذور في تاريخنا ، وقد توارثنا احترامها من آبائنا وأجدادنا فهي ليست وهما ولا خيالا . .

وأنا بصفتي مسلما لم أشعر بأن الحياة حق لي وحدي - كلا - من خالف عقيدتي فأرض الله واسعة أمامه لن أعرقل فيها خطاه ، وقد تعلمت من ديني مؤاكلة من يخالفني في أصل الإيمان والتزوج منه !

إن أرضنا لم تعرف الحروب الدينية بين المواطنين ، وإنما عرفت هذه الحروب عندما استعمر الرومان مصر ، أيام وثنيتهم أو بعد دخولهم المسيحية وفهمهم لعقائدهم على نحو يخالف مذهب المصريين . .

إن أوروبا هى التى ألفت الفتن والمذابح الدينيـة ، ومـا عـرفنا ذلك فى تاريخنا ولن نعرفه . .

ويخيل إلىّ أن العلمانيين فى مصر عندما يخلطون الحق بالباطل ويلبسـون تاريخنا بتاريخهم . إنما يقصدون الإساءة للإسـلام أصلا ، ثم تجىء الإساءة إلى غيره تبعا ، ومن ثم تتابعت حملاتهم على الشريعة دون العقيدة ، وعلى المعاملات دون العبادات . .

فهل يعنى ذلك أنهم يرضون عن الإسلام فى المسجد ، ويكرهونه فى المحكمة ؟

الواقع أنهم ما صلّوا لله ركعة ، ولا ربطتهم به علاقة ، وكراهيتهم لآيات المصحف كلها ، ما يتصل بالفرد وما يتصل بالدولة ، ولكنهم يتدرجون فى حربهم للإسـلام ، فإذا قضوا على جزء انتقلوا إلى ما بعده . . ! !

وهم ليسوا مخلصين للوحدة الوطنية ، وإلحادهم يجعلهم جسرا تعبر عليه أوروبا ، لكى لا تبقى إسلاما ولا كنيسة وطنية ! !

إننى أدعـو المسلمين والأقبـاط إلى الحذر من هذه الصيحة الجديدة واستكشاف أصحابها وتبيّن دخائلهم . .

ولن نتوانى نحن المسلمين فى ذود هذا الجراد عن زروعنا وحماية عقيدتنا وشريعتنا معا من هجومهم الغادر !

إن المصحف أمانة فى أعناقنا ولن نترك آية واحدة منه ، وإذا كـانت الليـالى قـد جاءت علينا فإن الفلك لن يتسمّر « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ »[1] .

* * *

---

(١) الشعراء : ٢٢٧ .

أخلاق «الإيدز»

«الإيدز» طاعون هذا العصر ، ومصدر الهلاك الذريع لآلاف مؤلفة من البشر ، وإنه لمن المفزع أن يفقد امرؤ مناعته الطبيعية ويصبح جسمه مَمَرًا مفتوحا أمام الجراثيم الغازية فيأتيه الموت من كل مكان !!

وقد انتشر «الإيدز» فى أمريكا وأوروبا ولكن القارة التى سقطت فى براثنه وانهارت أمامه هى أفريقيا ، فإن الشعوب السوداء رحبت بالحضارة الحديثة ترحيبا أعمى جعلها تأخذ أسوأ ما فيها وتقع فى عقابيله !!

ومعروف أن البيئات الإسلامية لا تزال فى مأمن من هذا البلاء - وإن كانت مهدّدة به - فالمسلمون يمسون ويصبحون يسمعون من كتابهم كيف أهلك الله قوم لوط ، وهدم عليهم مدينتهم ، والفقه الإسلامى يجعل فاحشتهم من الكبائر التى تُعالج بالجلد أو القتل .

والتقاليد المرعية ترى الشذوذ منكرا يمسّ الشرف والمكانة لا سيما وقد رويت أحاديث توصى بقتل الشواذ وتطهير المجتمع منهم . .

وقد اشتد استغرابى لما علمت أن رجال الكنيسة فى انجلترا وافقوا على تشريع يبيح اللواطة لمن يريد !! ووافق على ذلك مجلس اللوردات والعموم ، وكان رئيس كنيسة «كانتربرى» بين الموافقين ، وقد شاعت هذه الموافقة بين المسئولين فى أوروبا وأمريكا . . . ولم يسمع باسم الله نكير عالٍ على هذا السقوط .

قلت : ماذا جرى لرجال الدين هناك ؟

هل جرفهم السيل النجس فى مدِّه فلم يستطيعوا المقاومة ؟

وما هذا التواطؤ الغريب على الصمت ؟

إن من بقايا الوحي عندهم ما جاء في سفر اللاويين «إذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا ، إنهما يقتلان ، دمهما عليهما»!

ومن بقايا الخير عند القوم قول عيسى عليه السلام «كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه» ! نعم فالعين تزنى كما جاء في تراثنا . . .

لكن هذه التعاليم تطايرت أمام الزحف المادى المتمرد على الوحي الأعلى ، وأخذ التشريع يستمدّ أحكامه من الشهوات « بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ »[1] .

والمصيبة المخوفة عندنا أن بعض الرجال فتنوا بالحضارة الحديثة ، وأمسى لهم دويٌّ شديد في دور الإعلام ينظرون إلى وحى الله بتجهُّم وإلى الخروج عليه باستهانة ويريدون نقلنا إلى أوروبا أو نقل أوروبا إلينا .

من هؤلاء المقلدين العميان نحذّر وندقّ ناقوس الخطر ، إذا كان غيرنا قد تمرّد على مالديه من وحى فهو وشأنه .

وما يستغرب على من نسى الأصول أن ينسى الفروع ، والجاهل بالله جدير بأن ينسى تعاليمه !

لكننا نحن المسلمين ينبغى أن نتشبث بالأصول والفروع معا ، وأن نخشع عندما نسمع قال الله « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ »[2] .

* * *

(١) الروم : ٢٩ .
(٢) الأحزاب : ٣٦ .

من الأقزام

أرفض أن يتحول ذم المتطرفين إلى ذم للإسلام نفسه ! ما ذنب الإسلام إذا تحدث عنه متطرف أبله ، أو أساء تصويره متدين جهول ؟؟

لكن حفنة من الكتاب الملاحدة تتربص بالدين وحقائقه وتنتهز الفرص للنيل منه .

وقد حدث في إحدى الندوات النسائية أن وقف امرؤ سليط اللسان يتحدى الإسلاميين قائلا : ماذا تقدمون للناس في عالم الطب ؟ تقولون الشفاء في أبوال الإبل وألبانها ؟ ثم رفع عقيرته بغناء لاذع يحاكي به بائعي العرقسوس في الأحياء الشعبية ! تقولون شِفا وخمير يابول البعير . ! !

لم أشهد هذا الحفل ، ولكن نبأه جاءني من عشرات الناس وشعرت بسخونة في رأسي من شدة الغضب ، قلت : إن الحضارة الإسلامية قدمت الشيء الكثير في عالم الطب وقد ظلت أوروبا قرنين من الزمان تعتمد على كتاب القانون الذي ألفه ابن سيناء . كما أن ابن النفيس كان أول من كشف أثر العدسات في خدمة النظر القصير!! أهكذا يجحد فضلنا شيوعي عربي ؟ وينتقل من محاربة المتطرفين - كما يزعم - إلى محاربة الإسلام نفسه ؟

إن عالما منصفا مثل «تيرى فاير» تحدث في جلسة الافتتاح لجماعة الصداقة الألمانية العربية فقال : إن جميع العلوم التي تدرس الآن في الغرب ، لابد أن تكون من صنع العرب ! إن العرب استفادوا من الحضارات التي سبقتهم وأسدوا جديدا لمن جاء بعدهم . . .

لكن شيوعيا عربيا قزما يهجو قومه ويجرح دينه ويقول قدمتم للناس أن الشفاء في أبوال الإبل وألبانها !!

قال لي صديق : لايذهبن بك الغضب ، إنه شخص معروف بالدعابة والتبذل!!

قلت : بل هو كما قال رب العالمين فى أمثاله « وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ »[1]

إننى أحذِّر العابثين بالإسلام من اللعب بالنار فإنها حارقتهم حتما . .

لقد لاحظت أن الزنادقة من حملة الأقلام يتستَّرون وراء محاربة التطرف فينالون من الإسلام ذاته ، لقد حاربنا التطرف قبلهم وكنا على أصحابه أشد وطأة ، وخطة هؤلاء الآن الذهاب إلى كتب التراث ونقل نتف منها مبتورة عما قبلها وما بعدها لتضليل السذج على نحو ما قال الشاعر الماجن :

ما قال ربك : ويل للأولى سكروا

بل قال ربك ويل للمصلينا

« فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »[2] .

* * *

(١) التوبة ٦٥ ، ٦٦

(٢) النور ٦٣

الأيدى العابثة

استمعت إلى ندوة عن التعصب الدينى من إذاعة لندن ، وساءنى أن يكون ذلك لمناسبة ما ينشر من حوادث دامية بين مسلمى مصر وأقباطها . .

إننى خبير بالأوضاع فى بلادى وموقن بأنه لا توجد حروب دينية ولا فتن طائفية ، وأن كتلة الشعب سليمة ، وأن أحداثا فردية أريد تضْخيمها دون سبب معقولُ وأن الذين يصطادون فى الماء العكر يروِّجون هذه الأحداث لنيَّات مغشوشة !!

بل إن عقد هذه الندوة يثير التساؤل والعجب ؟

فإن أحدا من المشاركين فيها لم يتحدث عن التعصب الدينى اليهودى ، وكيف أنه باسم الدين يجاء بأقوام من روسيا وبولندا وألمانيا واستراليا ليحتلوا أرض فلسطين ويطردوا أصحابها من دورهم !

هذا العدوان الوقح باسم التوراة يُسكَت عنه ، ويهاب ساسته ويمر رجاله بسلام !!

والجزرة التى وقعت فى البوسنة والهرسك ، والتى لم يعرف العالم مثيلا لها فى نصف القرن الأخير ، والتى أكل الحقد الدينى فيها الأطفال والنساء والكبار والصغار لأنهم مسلمون مهدرو الحقوق . . . هذه الجزرة لا يطول الحديث فيها عن وحشية التعصب وقساوته المفرطة !!

إن الحديث يطول عن التعصب الدينى فى مصر ليختلق خرافة ما أنزل الله بها من سلطان ، ثم يلفت الأنظار إلى الدخان المفتعل !

والمعروف أن المصريين من أهدأ الناس أخلاقا ، وأن مسلميهم حلماء عقلاء وأن أقباطهم سعداء موفورون . .

ولكن الذين يثيرون القضية كلها يطيلون حبل الكذب ثم يكشف عن خبيئتهم

سائل يقول : إن الأجهزة الحكومية تخلق هذا التعصب عندما تصرّ على إثبات العقيدة الدينية فى صحيفة الهوية الشخصية !

لماذا لا تخلو هذه الصحيفة من النسب الدينى ؟

يقال هذا الكلام واليهود يبحثون عن بقاياهم فى الحبشة واليمن ليدعموا حكمهم فى فلسطين ، ويقال هذا الكلام وأول حارق للمسجد الأقصى قادم من استراليا ! ويقال هذا الكلام والفاتيكان يعتذر لليهود ، ويبرئهم من التهم !

يؤسفنى أن تكثر المؤامرات ضد الإسلام وحده ، وأن تتعدد المحاولات لإخماد الصحوة الإسلامية ، وإثارة أقاويل السوء حولها !!

إننا نعرف الكثير من الوقائع ، ونبصر الأيدى العابثة فى الظلام ، ومع ذلك فنحن نؤثر الصمت كى لايتسع الخرق على الراقع ولايعزّ العلاج على محبّى الإصلاح . .

لا توجد حروب دينية فى مصر ، وإنما يوجد علمانيون يريدون أن يطيح الدين كله ، وأن تنقطع صلة الأرض بالسماء ، وأن يعيش البشر وفق أهوائهم لا تبعا لما جاء به المسلمون .

* * *

تهجما صبيانيا

القول بأن الفقه الإسلامى فى عصوره الأولى انحصر فى دائرة العبادات يحتاج إلى إعادة نظر ، فإن هذا الفقه ملأ ميادين كثيرة واستبحرت بحوثه حتى لكأنها تستمد من الآية الكريمة «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ »(1) .

وفى القرن الهجرى الثانى كان لأبى حنيفة رحمه الله تلميذان مشهوران ، الأول أبو يوسف الذى ألّف كتابه الخراج فى الفقه المالى والإدارى .

والثانى محمد بن الحسن الذى ألف فى فقه العلاقات الدولية ، وله مدرسة مشهورة بين علماء القانون الدولى فى أوروبا وقد قرأنا لابن حزم فصلا فى فقه العدالة الاجتماعية لو كتبه غيره من مفكرى الغرب لبلغ به قومه الأوج .!

لكن المسلمين فى فترة انحسارهم الحضارى حصروا نشاطهم فى نطاق العبادات ، وعجزوا عن مواكبة الزمن ، فأساءوا إلى أنفسهم ودينهم . .

ثم جاء عصر التقليد المحض فزاد الطين بلة ، وأمست الدراسات الفقهية بحوثا ميتة فى الصلاة والحج واقتسمها أتباع المذاهب الأربعة فكادت الصلات بالكتاب والسنة تنقطع وصارالفقه ترديدا لأقوال الفقهاء فى عصر الاضمحلال .

ومنذ قرن انفجرت نهضة صالحة تهيب بالناس أن يعودوا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم بدل الاحتباس فى أقوال رجال المذاهب المختلفة ، وهذا حسن بيد أنه مسلك يحتاج إلى إيضاح .

فإن الأئمة الأربعة الأوائل ، ومن دار فى فلكهم من الفقهاء كانوا يستنبطون من الكتاب والسنة ، ولهم اجتهادات مشكورة ومحاولة محوهم من تاريخنا العلمى خطأ واستهجان مناهجهم أو التهوين من شأنها لا يسوغ ، إن باب الاجتهاد قد فتح ليواجه

---

(1) النحل ٨٩

المسلمون قضايا دولية ومحلِّية وشئونا تربوية واجتماعية لابد من مواجهتها . .

وتراثنا القديم صالح لأن نبنى عليه ونعلى البناء ، ولو ورثنا عقول سلفنا الصالح وأساليبهم فى الفهم وتجردهم للحق ورغبتهم إلى الله لكان لنا مستقبل أنضر . .

إننى أسمع تهجما صبيانيا على رجال الفقه القدامى ، وزعما بالعودة المباشرة إلى الكتاب والسنة ، وقد تفرست فى مسالك هؤلاء المتهجمين فرأيت كما قيل : أبا حنيفة من غير فقه ، والشافعى من غير أصول ، مالكا من غير سنة وابن حنبل من غير رواية !!

إننى لا أتعصب للأولين ، ولكنى أقدرهم قدرهم وأطلب أن يكون المجتهدون الجدد على مستواهم الفنِّى والخلقى ، وأن يدركوا ما وفدت به الحياة من مشكلات ويحسنوا التماس الحلول الجدية ، إننا الآن نسمع لغطا حول حقوق الإنسان ، وحديثا عن مستقبل الإنسانية فى هيئة الأمم .

وهناك صراع بين أديان ومذاهب ، ولنا ولغيرنا تاريخ طويل على ظهر الأرض ، فيه الخطأ والصواب والجد والهزل ، وعندما نتلاقى فى الساحات العالمية يجب أن نكون على مستوى الإسلام العظيم . .

إن الفقه الإسلامى أحد تيارات الفكر المنْبَجِسة من ديننا وقد يكون أخطرها لأن أحكامه تتناول الإنسان من المهد إلى اللحد ، كما أنها تشرع للفرد والمجتمع والدولة . .

إن عظمة آبائنا ليست فقط فى أنهم أزالوا دولتى الروم والفرس ، وخلصوا الدنيا من عبئهما الثقيل ، بل عظمتهم أنهم ملأوا الفراغ المتخلف عنهما بفجر علمىّ منير الآفاق باهر الإشراق ، ولن نصلح لخلافتهم إلا إذا أوتينا قدرتهم على الإبداع والنفع .

* * *

إسلامية المعرفة

يرى البعض أن إسلامية المعرفة تعنى انقلابا فى مناهج البحث وموضوعات العلوم ومسيرة الحضارة ! وهذا رأى يحتاج إلى مراجعة واستبانة . فإن العقل الإنسانى قاسم مشترك بين الشرق والغرب ! والفطرة الإنسانية السليمة هى الأساس الذى يجب أن نبنى عليه ونعلى البناء . .

لقد قدنا الحضارة ألف عام ثم فقدنا خصائص القيادة فقام غيرنا بوظيفتنا فأحسن وأساء ، وخلط عملا صالحا وآخر سيئا ، وعلينا حين نستأنف رسالتنا أن نحق الحق ونبطل الباطل ، فما كان حسنا أبقيناه وزدنا فيه وما كان سيئا استبعدناه وجئنا بأفضل منه .

ومن هذا المنطلق أقول : إن إسلامية المعرفة ليست حكما بالموت على العلوم الحديثة التى قامت على مناهج التجربة والاستقراء واستفتاء العقل المجرد ، فهذا مستحيل ! إنها قد تكون حكما بالموت على أوهام حُسِبتْ حقائق ، أو على أهواء ألحقت بالعلم وليست منه ، ولا يعترض ذلك عاقل .

ستظل الجغرافية تصف البر والبحر والجو ، ومعها فى هذا الوصف علم طبقات الأرض وعلم الفلك .

وسيظل علم النفس يصف الغرائز والانفعالات والمشاعر العقلية من ذاكرة وانتباه وخيال . . إلخ .

فإذا تدخلت الأسلمة فلكى تمنع الشرود فى الوصف واستخلاص أحكام خاطئة . أى أنها تعترض ما وصل إليه «فرويد» من تصور للعقل الباطن ومن إطلاق العنان للرغبات المكبوتة دون اهتمام بضوابط الدين والخلق .

وستظل علوم الأحياء تعمل فى مجالها تصف آيات الله فى كونه وتبرز صفاته وأسماءه الحسنى . . حتى إذا بلغت تهويمات «دارون» فى أصل الأنواع ، وتنازع البقاء

والنشوء والارتقاء تدخلت - بسلطة العلم لا بأثر الغيبيات وحدها - كى ترد إليه وعيه ، وتحفظ الناس من خلطه . . وهكذا .

وستبقى علوم الحساب والجبر والهندسة كما هى .

أما التاريخ فلابد من تدخل الأسلمة لمنع الافتيات الذى أوقعه الغرب بتاريخنا ، فقد تجاهل بحقد غريب عشرة قرون أخطر وأنضر حلقات التاريخ العالمىّ ، فإذا تحدث عن حقيقة مّا ردّ أصلها إلى اليونان والرومان ونفى بخبث أن يكون للعرب أى فضل على الإنسانية ، وهذه نزعة صليبية منكورة تشدُّ أزرها الصهيونية التى تزعم الآن أن الإسرائيليين هم بناة الأهرام . . ! !

إن الإسلام دين الفطرة ، وقد تألقت تعاليمه فى حياتنا عندما كانت فطرتنا سليمة ، واشتغل العقل الإسلامىّ بالبحث الجدى فى العلوم الإنسانية والكونية على نحو معجب ، كما أن علوم الدين استبحرت وفى مقدمتها الفقه بشعبه المختلفة ويستحيل أن يكون للفقه الرومانى قدر إذا قيس بالفقه الإسلامى وازدهرت الآداب فى عصورنا الأولى . . . ثم نمنا نومة أكلت الأخضر واليابس من تراثنا وحياتنا ونحن الآن نريد الذود عن وجودنا المادى والأدبى ، والعود إلى رسالتنا الإسلامية التى نهضت بنا أولا وسوف تنهض بنا ثانية .

والمحور الذى ندور عليه هو تصحيح الفكر والتزام الوحى فيما قال الوحى فيه كلمته ، والتجديد والاجتهاد فى شئون الدنيا التى نحن أعلم بشئونها ، ولا حرج علينا أن نستفيد من تجارب غيرنا على أن نكون أيقاظا لا نُخدع أو نُغشّ أو نُصرف عن رسالتنا .

* * *

هكذا تضيع الأمم

لاحظت مع كثير تفاحش الملاهى والمساخر فى أحفال السنة الميلادية الجديدة وأن السهرانين بقوا إلى الفجر يسمرون ويعبثون ، وأن التهنئة بالعام الجديد تزجى لمناسبة ولغير مناسبة وأن المحاولات كانت مُلِحَّةً لإشعار الناس بأن الاحتفال شعبى عام ، وليس تقليدا للغرب !

وبدا لى أن أتجاوز هذا الأمر ، فأنا من الناحية الإسلامية أشعر بأن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، وإذا كنت أصوم أو أحج تبعا لجريان القمر فأنا أصلى الفرائض الخمس كل يوم تبعا لجريان الشمس **«فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد فى السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون»**[1] .

ثم رأيت أن الأمر يستحق الاكتراث ، فإن الحضارة الغربية - وهى صاحبة الشأن الأول فى احتفالات رأس السنة - يجب أن تعرف ما تفعل بنا وبغيرنا ! إن أثرتها طفحت وقسوتها ربت وهى تسكر وترقص على أشلاء ألوف مؤلفة من اللاعبين والهلكى . .

ولن أتحدث عن مأتم البوسنة ولا عن ضحايا التحرر الإسلامى فى كل قطر . .

إننى أتأمل فى معاهدة «الجات» التى عقدها الأوروبيون والأمريكيون ، والتى ضمنت لهم «مليارات» من الأرباح الحرام على حين حققت للأقطار العربية وبعض الدول الإسلامية خسائر جسيمة !

وأعترف بأنى لمت نفسى وقلت لقومى تستحقون ما حلّ بكم : لماذا لا تزرعون ما تأكلون ؟ إذا باعوكم قمحهم بأغلى الأسعار فلا لوم عليهم والقانون لا يحمى مغفلا ولا كسولا !

أليس مخزيا أن نكون مستهلكين لا منتجين ؟

لماذا أنتظر من الدول الكبرى أن تعدل معنا ؟ وهى التى بدأت رحلتها الحضارية بالافتيات على الغير ؟

---

(١) الروم : ١٧ ، ١٨ .

وكان من المصادفات أن أقرأ مع أحفال رأس السنة ثورة الهنود الحمر فى المكسيك!
إن هؤلاء الهنود سُلِبوا أرضهم وديارهم وعاملهم المهاجرون البيض أحَطَّ معاملة . وقال لى صديق زار استراليا إن بقايا هؤلاء السكان الأصليين يبادون بالخمور المغشوشة ويعرَّضون للحتوف حتى يُستأصلوا جميعا .

إن الجنس الأبيض يكذب فى إخلاصه للمسيحية ، وهو يدارى غرائزه الشرسة وراء مزاعم مردودة ، إن دينه الاستعمار الجشع ، ولا بأس أن يتعاون مع الصهيونية ليصل إلى أغراضه القريبة والبعيدة على أنقاض العرب والمسلمين !

ربما جاز للمنتصر أن يرقص ويسكر ، وأن يسهر حتى الفجر على مهاد من الإثم ! لكن السؤال الذى لا جواب له : بم يحتفل المهزومون ؟

وعلام يضحكون ؟ ؟

ظاهر أن الغزو الثقافى فى القسم شعبتين ، إحداهما تزهد فى العقائد ، والعبادات ، والأخرى تغرى بالمباذل والمضحكات . وهكذا تضيع الأمم ، وتطوى صفحتها . . .

* * *

بهتان عظيم

سمعت تصريحا لأحد وزراء أوروبا الغربية يهاجم التطرف الإسلامى ويطالب العالم بالتصدّى له حفاظا على سلام العالم ومستقبله ! وكنت أود من الرجل المسئول أن يهاجم التطرف الدينى وأن يحذر آثاره ، لا سيما وتعصّب الصرب الأرثوذكس سوّد صحائف كثيرة واقترف فضائح شائنة وألحق بأوروبا عارا لا يمحى !

لكن الرجل المسئول صبّ جام غضبه على المسلمين ، وسكت سكوت القبر عن غيرهم فعلمت أن الرجل لا يضيق بالتطرف لأنه غلوّ وعدوان ، بل يكره الإسلام وحده ويضنّ على أهله بحق الحياة ويتستر تحت راية رفض التطرّف لينال منا . .!

هل تطلّع المسلمين لبقاء شريعتهم وصون عقيدتهم تطرّف ؟

هل احترامهم لرسالتهم ورغبتهم فى الانتماء إليها تطرّف ؟

إن صحيفة "الإيكونومست" تقول : لماذا يظلّ الإسلام وحده مؤثرا فى الحياة السياسية والاجتماعية على حين لا تملك الأديان الأخرى هذا التأثير ؟

وتكرر «الجارديان» المعنى نفسه حين تقول : إن لُبَّ المشاعر الإسلامية هو إدراك المعنى الحقيقى للدين وجعله نظاما مشتقًا من الكتاب والسنة !

والقرآن يضع الأسس اللازمة لوجوه الحياة الشخصية والاجتماعية والسياسية . . ونحن نؤكد شمول الإسلام لشئون الحياة كلها كما قال تعالى : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ »[1] .

ونأبى كل الإباء أن يقال لنا : اجعلوا الإسلام مقصورا على الصلاة داخل المسجد أو على أفراد الأسرة داخل البيت !!

إن الإلحاد عندما ينفرد بالسلطة خارج البيت وخارج المسجد لن يلبث طويلا حتى

(١) النحل : ٨٩ .

يخرب البيت والمسجد معا . ولن نحكم بالشلل على نصف ديننا وبالموت على النصف الآخر ، وفى العالم الإسلامى الآن أصوات تقول : اقصروا الدين على السلوك الفردى ، ودعوا المجتمعات تتحرك كيف تشاء . ! ونحن نعرف من الذى ينَفخ فى هذه الأصوات ويحمى أصحابها ! ونعرف القصد المستخفى وراءها ، إنه القضاء المبرم على الإسلام فى الفرد والمجتمع ، وعلى العقيدة والشريعة معا . .

إننى وغيرى من المسلمين نحارب التطرف ، لأننا أمة وسط ، ولأننا لا نعرف خصومة بين الدين والعقل أو بين المصلحة والشريعة ، أما أن نوصف بالتطرّف لأننا نحامى عن الكتاب والسنة ، وعن شرائع الحدود والقصاص أو لأننا نغرس الإيمان فى ضمير الفرد وفى نظام الدولة على سواء ، فهذا بهتان عظيم .

* * *

رائحة علمانية

من حق الأمسية الثقافية التى يقدمها الأستاذ فاروق شوشة أن تجتذب المشاهدين فهو أديب مستقيم الوجهة نقىّ العبارة ، ولكن حواره مع الأستاذ سيد ياسين خرج عن هذا النهج وكان عرضا ماكرا لأفكار علمانية مريبة ! فما معنى القول بأن التراث يعنى أصحابه الأقدمين ، ولا يجوز أن يرتبط المعاصرون به ! كيف يقال هذا الكلام والعرب مشتبكون مع دولة هى ثمرة تراث دينى يعتز به أصحابه ؟

هل إسرائيل إلا حصيلة إصحاحات العهد القديم ؟

فإذا كان هؤلاء قد أقاموا بالتراث دولة شامخة فّهل الردّ عليهم يكون بتحقير تراثنا والزعم بأنه تركة لا معنى للتعلق بها !

إن التراث فى الكيان العربى رسالة سماوية كاملة وتاريخ إنسانى عريق فكيف نعرض ونزهد فيه ؟ وبم نتمسك ؟ ببعض الفنون والقشور التى يصدرها لنا الغرب والتى يستحيل أن تحقق هويتنا وتستبقى ملامحنا . هل التراث كريه إذا كان الإسلام؟ ومستحب إذا كان أى دين آخر ؟

ويقول الأستاذ سيدياسين . إن المصريين كان لهم إبداع قانونى فى ميدان التشريع الحديث !

ومعروف أن التشريع الحديث مستورد من أوروبا ، وأنه جاء بعد إقصاء الشريعة الإسلامية .

إن الاحتلال الأجنبى قصم ظهر الإسلام ، وألغى الشريعة لفوره وألحق بالعقيدة عطبا يقرّب أجلها فما هو الإبداع المصرى فى عالم القانون ؟

إن هذا الكلام خديعة عما أصاب الشريعة ، وترضية للأمة بأخبث أنواع الغزو الثقافى ظاهر أن مهمة العلمانية فى العالم الإسلامى جرّ ذيول النسيان على ماضينا كله وإلحاق العربة العربية بالقطار الأوروبى ينطلق بها حيث يشاء !

لقد شاهدت هذه الأمسية الثقافية وسمعت الكلام المسهب الذى قاله سيد ياسين ثم تساءلت : أليس للعالم ربٌّ يشرف عليه ؟

أليس لهذا الربِّ وحى نرتبط به .

أليست أمتنا هى الوارثه للنبوات كلها عندما تلقت هذا القرآن ؟ ماذا يريد العلمانيون أن يفعلوا بنا ؟

عندما ننسى التراث ونتمرد على الله ونتحول إلى تلامذة للإلحاد الغربى .

إن الفاتيكان اعترف بإسرائيل وعقد معها صلحا باسم الكاثوليك ، وإن رئيس أساقفة انجلترا ينتقل إلى جنوب السودان ليوثق العلائق بين الانجيليين فى أفريقيا وأوروبا ! دين واحد هو الذى يحاصر ويضيّق عليه الخناق ، ويوظف العلمانيون للنيل منه ، هو الإسلام ! .

* * *

تربية الأطفال

الوالدية غريزة أصيلة فى جملة الأحياء التى تسكن الأرض ! وإذا كنا - نحن البشر - نقول :

وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشى على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم ... لامتنعت عينى عن الغمض

فإن الطيور فى أوكارها ، والدواب فى غابها تتحرك فيها غرائز الأبوة والأمومة ، فهى تغذو أولادها وتحميهم من كل سوء قدر استطاعتها . . .

ويبقى هناك فارق أصيل بين حُنوٍّ وحُنُوّ ، وتربية وتربية ، فالإنسان لا يربى الجسد وحده ، وإنما يربى معه العقل والعاطفة ، ومسئولية الأبوين تتجاوز توفير الغذاء إلى توفير الآداب الرفيعة والشمائل الحسنة . . .

والواقع أن الطفولة صفحة بيضاء يخط فيها الآباء والأساتذة ما شاءوا ، قال عبد الله بن عامر : **دعتنى أمى - ورسول الله قاعد فى بيتنا - فقالت : تعال أعطيك ، فقال لها رسول الله : ما أردت أن تعطيه ؟ قالت : أردت أن أعطيه تمرا ! ، قال أما إنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة !!**

وعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ **«من قال لصبى : تعال ، هاك ، ثم لم يُعطه فهى كذبة !!** فتأمل كيف يحترم الإسلام الكلمة ؟ وكيف يعوِّد الصغار على تقديرها ، وتصديقها ؟ إن ذلك ما عناه الشاعر عندما قال :

وينشأ ناشىء الفتيان فينا ... على ما كان عوّده أبوه . .

وقول ابن الرومى فى مصرع أحد الطالبيِّين :

كد أب علىّ - فى المواطن قبله - ∴ أبى حسن ؛ والغصن من حيث يخرج .

ليس المهم أن توفر لأولادك ثروة طائلة ، إنما المهم أن توفر لهم عقلا ذكيا ؛ وخلقا قويا ، ومسلكا زكيا ، وهذا معنى الحديث الشريف **«ما نحل والد ولداً من نُحْل - أى ما أعطاه عطاء أفضل من أدب حسن »** وفى رواية أخرى **«لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع » ! !**

إن الأولاد من ريحان الله ، ومن أجلّ هباته ، والواجب أن نتعهدهم بما يصنع منهم رجالانا بهين ، أو نساء فضليات .

والأخلاق ليست نباتا طفيليا ينمو وحده ، وإنما هى غرس تختار له التربة ، ويُتعهد بالسقيا والتهذيب ، ويُحمى من الأوبئة والحشرات ، إلى أن ينضج ويؤتى ثمره . .

وفى الطفل ملكات كامنة تغذى بما يصلح لها حتى تدرك ، وقد رأيت أن الإذاعة المرئية تقدم للأطفال «أفلاما» تقوم على الخيال المحض ، وتشبع فيهم التصورات التى لا تضبطها حدود . . .

وعندى أننا بالغنا فى هذه الأقاصيص الخرافية ، وعرضنا الأطفال لأحكام ينقصها الضبط . . وقد كان آباؤنا أرشد سلوكا عندما نمّوا الذاكرة ، وشحنوها بأنواع من المحفوظات التى تنفع فى المستقبل القريب أو البعيد ، ونحن لم نحفظ القرآن الكريم إلا بهذا الأسلوب . .

ولست أدعو إلى تحفيظ القرآن للأطفال جميعا ، فهذا لم يحدث حتى فى عصر الصحابة والتابعين ! وإنما أفضّل تنشيط الذاكرة على تنشيط الخيال ، وأرجو أن تقل أفلام الكرتون التى تعجب الصغار ولا تفيدهم شيئا يذكر . . .

والتربية فى الصغر تحتاج إلى الرحمة والأناة وسعة الصدر ، فإن الاعتماد على العصا عَبَث ضار ، وقد يحتاج الأولاد إلى شىء من الصرامة ، لكن هذه الصرامة لا تعنى الجفوة والإرهاب ، والأب المكتمل يربى أولاده على هذا الحنو الرقيق .

كان الناس فى الجاهلية يعاملون ذراريهم بجفوة ، وربما رأوا من الرجولة أن يكونوا خشنين معهم ، وقد رأى أحدهم النبى ﷺ يقبل الحسن أو الحسين : فقال مندهشا : **أتقبلون الأولاد ؟ إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فقال النبى ﷺ : أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك ؟؟**

ولليتيم مكانة خاصة فى تعاليم الإسلام ، ففى الحديث **«من مسح على رأس يتيم لم يمسحه إلا لله ؛ كانت له فى كل شعرة مرت عليها يده حسنات – ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده ؛ كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين ، وفرّق بين إصبعيه السبابة والوسطى»**

وجمهور من الناس يرى الأولاد ثروته العظمى فى الحاضر والمستقبل ولا عجب فالقرآن الكريم يصرح بهذا الإحساس «**المال والبنون زينة الحياة الدنيا . .**» .

والواقع أن أولاد الشخص امتداد له ، وزرعه الذى يرعاه اليوم ليعيش فى جناه غدا . . أعجبنى أن رجلا له ولد اسمه «رباط» أحسن تربيته فى صغره ، واستراح إلى سيرته فى كبره ، فقال فى ذلك :

رأيت «رباطا» حين تم شبابه ... وولّى شبابى ليس فى بره عَتْب

إذا كان أولاد الرجال حزازة ... فأنت الحلال الحلو والبارد العذب

لنا جانب منه دَميثٌ ، وجانب ... إذا رامه الأعداء ممتنع صعب

وتأخذه عند المكارم هِزّة ... كما اهتز تحت البارح[1] الغصن الرطب

وفى الإسلام الحنيف أحاديث طويلة عن العلاقة بين الوالدين والأولاد ، يجب فيها تبادل البر والرحمة ، وهى أساس لأسرة متماسكة ومجتمع مكين حصين .

* * *

(١) البارح : الريح .

الغــدر

الغدر نقيصة خسيسة تسقط صاحبها - وتسلبه كل احترام ، وقد تعاطف الناس مع «ميخائيل جورباتشوف» عندما غدر به نائبه ، وتآمر مع آخرين ضده ! وفهموا سرّ غضبه وهو يقول عن النائب الغادر : لقد اخترته ووقفت ضد الكثرةالتى رفضته ، وأصررت على أن تغير رأيها فيه ، وها هو ذا يخذلنى ويطعننى فى ظهرى بعد ما أفأت عليه هذه النعمة . .!!

والحق أن الخيانة والكنود رذائل لا يسيغها أحد ، ولا يساق فى تهوينها عذر ، وسوف يلقى نائب جورباتشوف ورفاقه العقاب الذى يستحقون ، ولن يرثى لهم أحد . . .

لكنى تساءلت : هل الغدر بالله دون الغدر بالبشر ؟ هل كفران النعم الإلهية دون كفران أنعم الناس ؟

وددت لو سألت جورباتشوف : إنك ناقم على امرئ أسديت إليه يداً فجحدها ، فما رأيك فى الأيادى التى أسداها الله إليك ؟ لقد خلقك فى أحسن تقويم ، وأقامك بين قومك زعيما أى زعيم ، فما سمع منك طول عمرك اعترافا بجميل ، وما قلت له يوما : سبحان ربى العظيم !!

إن مقت الله لك أشد من مقتك لنائبك الخائن ، لأن صنيعه إليك لا يقاس به صنيع ! وما قيمة أن ترفع نائبك إلى وظيفة ما بجانب أن يخلقك الله من الصفر ، ويهب لك السمع والبصر والفؤاد ؟

المأساة الكبرى فى مسالك الناس أنهم يستهينون بالإساءة إلى البارئ الأعلى ، ويضخمون الإساءة إلى ذواتهم المحدودة ، حتى لكأنه ليست لله حقوق ولا له على عباده واجب .!

إن للشيوعية جانبا إلحاديا ؛ وجانبا اقتصاديا ، والغريب أن دول الغرب لا تكترث بالجانب الإلحادى ، ولا تغضب منه ، إن نقمتها الكبرى وحربها الدائمة على الجانب الاقتصادى ، تقول : الحرية لرأس المال وحق التملك وحرية التداول . . إلخ .

أما إنكار الإيمان فالأمر هين ، وحرية الكفر مكفولة لكل أحد ، لمن شاء أن يقول : لا إله ! ولمن شاء أن يقول : إن كان فلا علاقة له بنا ولا علاقة لنا به . .! ولمن شاء أن يقول سمعنا وعصينا ، ولمن شاء أن يقول : نحياها كما نريد ، فإذا انتقلنا إليه كان لنا معه شأن !

أما أن لله عظمة تعنو لها الوجوه ، وأن له إحسانا تستعبد به النفوس وعهودا مع الخلق لا ينبغى الغدْر بها ؛ فذلك كله كلام المتدينين البله ؛ وما أكثرهم ! « أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ » ؟ (١)

وعندى أن أزمة التدين تعود إلى المتدينين أنفسهم ، فقلَّ منهم من يصدق الله فى معرفته وعمله ، وقلَّ منهم من يكون صديقا لله ؛ يعامله بالود والوفاء والشرف . .

عندى أن الوالد الأول للشيوعية هو «راسبوتين» لا «ماركس» فلولا وضاعة الأول ما نجح الأخير .

عندى أن الطبع الفظ ؛ والقلب القاسى ، والتبلد أمام آلام البشر من وراء الهزائم الكبيرة التى لحقت بالإيمان فى هذا العصر ، ولو أن دعاة الإيمان اكترثوا لأحزان الناس ، وغضبوا لمظالمهم ، ومشوا فى مواكب المستضعفين بدل السير فى مواكب الكبراء لكسب الإيمان معارك كبيرة . .

إن الغرب يدق الطبول لهزائم الشيوعية فى روسيا ، فلنعلم أن الطنين القادم من بعيد ليس فرحا بهزيمة الكفر ! البعد عن الله سواء فى الجبهتين ! وكراهية الإسلامية قاسم مشترك . . .!

والسؤال المثار فى الدنيا والآخرة لجماهير المسلمين :

هل فعلتم شيئا من أجل الإسلام ؟ إلى متى تبقى روائح العفن والتخلّف مقصورة على بلادكم ؟ أبهذا ينتصر دين ؟

* * *

---

(١) الواقعة : ٨١ ، ٨٢ .

إلى متى تغيب الشريعة..؟

مواد القانون الوضعى تنضم إلى المسلسلات المنحلة فى تصديع المجتمع ؛ وتجفيف بقايا الخير فيه ، الروايات الماجنة عندما تعرض على الناشئة تلفتهم إلى شرور ما كانوا يعرفونها ، وعندما تعرض على الكبار تجرئهم على ما كانوا يتهيّبونه !

ثم يجئ القانون فيعامل المجرم معاملة الأب الحانى ! وأقصى ما يؤاخذه به سنون تطول أو تقصر يقضيها فى ضيافة السجون ، ثم يخرج بعدها قلّما يعرف طريقا للتوبة . . .

أولو الألباب يلحظون أن المجتمع يتهاوى ، وأن الجرائم تنمو كما وكيفا ، وأن ترك الأمة على هذا النحو حكم عليها بالضياع ! لابد من العودة إلى الشريعة الإسلامية وقوانينها الصارمة ؛ حتى نستأصل شأفة الجريمة ؛ ونسكن من روع الناس . . .

إننى أتصور غافلا يؤثر لذة عاجلة على النعيم المقيم ، أو يقدم متعة سريعة على مواعيد الدار الآخرة ! لكنى لا أتصور من يؤثر الضرر العاجل على الخير الباقى !

ماذا فى القانون الوضعى من فائدة تجعلنا نشاقّ الله ورسوله من أجله ؟

لقد تكشفت عورات هذا القانون ، وبدأت آثاره السيئة تزحف من كل ناحية ، والمآسى التى تطالعنا بها الصحف كل يوم تهيب بنا أن نتحرك لتغييره وإنقاذ الناس من عجزه ! .

من أيام سمعت قصة ثلاثة ملثمين دخلوا «بوتيك» تديره امرأة كادحة ، وأبرزوا السكاكين ، وطلبوا ماجمعت من مال حصيلة سعيها طول النهار ، واستسلمت المرأة وهى ترى عيون قتلة ، وتركت لهم المال المطلوب ففروا به . .!

قلت : لو علم هؤلاء أن قانونا يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ؛ وأنه من الممكن أن تصلب أجسادهم فى بعض الميادين نكالا لهم وردعا للآخرين ؛ أكانوا يتآمرون على نهب الآمنين وقطع طرقهم ؟ ما معنى الشفقة على هؤلاء الغلاظ ؟ ما معنى الاستهانة بآلام المظلومين والمسروقين ؟

أعرف أن هناك متعصبين للقوانين الوضعية ، وما أحسب عامتهم على دين !

والمرء قد يتعصب لشيء يحسبه خيرا ؛ فهو يتشبث به ويدافع عن خيره الموهوم ، لكن ما معنى التعصب إذا كان هناك أفضل وأنفع مما يتعصب له ؟

جربوا شرائع الحدود والقصاص عاما أوبعض عام ثم انظروا ما تجنون من ثمرها الطيب ، وعيشوا فى ظلال الأمان عاما أو بعض عام !!

إن هناك من يتعصب لما عنده وحسب . . « قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ » . .[١]

عندما أغار التتار على العالم الإسلامى فى القرن السابع الهجرى ألغوا أحكام الشريعة ! وهل تنتظر منهم إيمانا بكتاب أوسنة ؟ وجاءوا بتشريعات أخرى فى كتيِّب لهم أسموه «الياسق» وفرضوا على الناس الاحتكام إليه ، وقد قلدت أوروبا التتار فيما فعلوا ، وخضع المسلمون للغارة الأخيرة ، بل إن قبائل البدو وضعت لها قوانين أخرى غير ماشرع الله ، وارتضت الاحتكام إليها !!

ومع غروب شمس الشريعة أخذ الناس يخبطون فى الظلام ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون فى الأرض . . .

وهذا هو المقصود ! فلن يثبت أركان الاستعمار الجاثم إلا ما تتركه هذه الجاهلية فى البيوت والشوارع ، والأخلاق والتقاليد من ضياع . .

إن فى دهاليز أو خزائن مجلس الشعب مشروعا تم إعداده للعودة إلى الشريعة الإسلامية ، أظن أنه قد آن الأوان لنفض الغبار عنه ؛ والنظر بجد فى تطبيقه ؛ لعل المحن تنزاح عنا والاطمئنان يعود إلى قلوبنا ، والاعتبار يُرَدّ إلى شريعتنا . . .

* * *

---

(١) الزخرف : ٢٤ ، ٢٥ .

إثار الكسل والصعلكة

هل الأرض مهدَّدة بالجوع لكثرة من يسكنونها ؟ إن عدد البشر الآن تجاوز خمسة مليارات وتشير الإحصاءات إلى أنهم زادوا فى السنوات الأخيرة زيادة فاحشة وإذا اطردت نسب الزيادة على النحو القائم فإن الأفواه المفتحة لن تجد ما يملؤها !

ولست أشارك المتشائمين هذا القلق فقد قالت الإحصاءات نفسها : إن الإنتاج الغذائى تضاعف فى هذه المدة ، وانقطعت أسباب الخوف !

إننى أتهم الحضارة المعاصرة بضعف الإيمان وسوء الظن بالله ، لقد فرطتْ في جنبه وجحدت نعمته ثم زعمت أنه لن يرزق من يخلق وهو القائل « إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ »[1] .

إن البشر قد يتظالمون ، وقد يحبس أحدهم رزق الآخر تجويعا وتعذيبا ، والله لا يرضى عن ذلك وما زلت أذكر أياما كانت تحرق فيها المحاصيل حتى لا يرخص سعرها ، وتخزن فيها جبال الزبد حتى لا يتشبّع الفقراء منها .

والأخطر من ذلك كله أن مساحات شاسعة من الأرض لما تزرع لأن أًصحاب هذه الأرض كسالى ، أو لأن القوانين الموضوعة تجعل إحياء الموات مشكلة معقدة !

وقد تأملت فى موقف العالم الأوّل من الشعوب المتخلفة فوجدته يقرضها بالربا الفاحش ويعجزها عن السداد ويحبسها فى ذل الدين كى تظل طوع أمره !

وفى المعاملات التجارية وجدت أن معاهدة «الجات» ضمنت مصالح الدول الكبرى ، وداست الدول الصغرى ثم طالبتها آخر الأمر بتحديد النسل !

لقد قلت : إن النسل يكون مصيبة إذا كان الأولاد القادمون يستهلكون ولا ينتجون ، ويقعدون ولايعملون ، إن عدم قدومهم أفضل ، فهم عبء على الحياة لاعون لها . .

لكن لماذا تكون البيئة قاتلة على هذا النحو ؟ هذا ما يجب أن نمنعه !

---

(١) العنكبوت : ١٧ .

إن الله مهَدَ الأرض وزودها بخيرات لا تفنى وأتاح لجماهير لا تحصى من الخلائق أن تحيا فوقها وقال « وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ »[١] .

فكيف يقال : إن الأرض عجزت عن إطعام أهلها ؟ الممكن أن يقال : إن ناسا كثيرين آثروا الصعلكة على الغنى ، أو آثروا القعود على العمل ، أو آثروا صناعات الموت على إحياء الموات .

* * *

(١) الحجر : ١٩ ، ٢٠ .

الأرض لم تفلس !!

(١)

التنامى الذى لوحظ على الأمة الإسلامية حمل أعداءها على النظر فى مستقبلها بحذر ، إنها الآن تزيد على خمس العالم .

وخلل الرماد وميض صحوة إسلامية تحنّ إلى أمجاد الماضى وتكره ما نزل بها من ضيم وتحقر ما فى صفوف أعدائها من إثم ! صحيح أن ميزان القوة لا ينصفها لكن الفلك الدوّار لا يثبت على وضع فقد يحط غدا من رفعهم اليوم « وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ »[1] .

وقد جدّ فى المحافل الدولية حديث ذو شجون عن سكان الأرض يزعم أصحابه أنهم كثروا كثرة تعجز الموارد الطبيعية عن إطعامهم ، وأنه لابد من تحديد النسل وتقليل البشر ! .

وينظر هؤلاء إلى الأمة الإسلامية المتنامية نظرة ذات مغزى ثم يقولون ينبغى أن يباح الإجهاض وأن يكون تعداد الأولاد - إن وجدوا - واحدا أو اثنين . .

وأنا أعتقد أن هذا التفكير علته الأولى والأخيرة تنامى المسلمين ، ولو اختفت الأمة الإسلامية من على ظهر الأرض لا ختفى هذا اللغط وترك الناس يتناسلون كيف شاءوا !!

إن الجوائز الآن توزع على العروسين كى يتعهدوا بتحديد النسل والسخرية من الأرانب لا تقف عند حدّ . .

وأنا أنظر إلى هذه القضية من أساسها الموضوعى ، إننا فى مصر نبنى قرى سياحية على شواطىء البحرين الأبيض والأحمر لخدمة طلاب المتع ، ولو أننا زرعنا شاطىء المتوسط ، ومهدنا أرضه لسكنى الفلاحين وكدحهم لكان ذلك أجدى علينا وأصون لمستقبلنا . لماذا يشتغل مستوردو القمح ببناء مساكن الترف ؟ .

---

(١) آل عمران : ١٤٠ .

إن بيننا من يستطيع إخصاب الصحراء فلم تُغَلُّ أيديهم دون تحويلها إلى زروع ونخيل ؟

ولا بأس أن نهتم بشئون السياحة فهل هذا الاهتمام يمنعنا من تثمير أرضنا أم ننتظر حتى يجئ «الخواجات» لاحتكارها ؟ ! !

أعلم أن هناك أجهزة عالمية ذكية تشتغل الآن بقضايا السكان ، وستعقد مؤتمراتها فى عواصمنا وسوف توصى بتحديد النسل ، وربما أوصت بحرمان الولد الثالث من الخدمات الثقافية والاجتماعية ! !

والحكم الإنسانى الراشد المعقول يقوم على تنمية المواهب ومنحها فرص الابتكار والازدهار وحرية الحركة والثراء !

يوجد الآن حملة أقلام يقولون للناس : إن الأرض أعلنت إفلاسها وأنذرت البشر بالجوع والعطش وحملة هذه الأقلام أجراء لأناس يكرهون ديننا ودنيانا ولا صلة لهم بأمانة الكلمة ، إن الأرض لم تفلس ، وإنما أفلست الأنظمة الكافرة .

* * *

هل خيرات الأرض محدودة؟

(٢)

الإيمان بالغيب ليس معناه القصور أو الغباوة فى عالم الشهادة ! فأنا أحترم المنطق المادىّ ولكننى فى الوقت نفسه أعلم أن الله على كل شىء قدير ، وأن خالق الأسباب لا تحكمه هذه الأسباب وأن زمام الأمور يستحيل أن يفلت من يد الله ، بل إن ما يقع فى عالم المادة لو حكيناه لجنس آخر من المخلوقات لا ستغربه وأنكره كيف تكون الحبة الواحدة سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ؟

كيف يتحول السَّبَخُ إلى قطن للكسوة وأرز للمعدة وتفاح للمتعة وزهر للشم ؟ !

كيف يتحوَّل ما نطعمه إلى لحم وعظم وجلد وشعر ودم وأظافر وطاقة ونماء ؟ !

كيف بارك الله فى هذه الأرض فأوتنا أحياء ووارتنا أمواتا ثم منها النشور ؟

إن الكافرين بالله أقرب إلى الدوابّ حين ينكرون منطق الإيمان ويتندَّرون بالمؤمنين ! وقد سمعتهم يتساءلون : كيف يطعم الله الزيادة المطردة فى السكان فقلت : كما يطعم الأصل يطعم الفرع !

قالوا خيرات الأرض محدودة !

قلت : بل أفكاركم أنتم محدودة ، ولو فكرتم ونشطتم لو سعت الأرض أضعافكم عددا . !

الذى ظهر لى بعد طول تأمل أن الإيمان مريض مرضا عضالا . .

عندما أوصى «تشرشل»[1] أن يحرق بعد موته قلت فى نفسى هل هذا سلوك رجل يؤمن بالمسيح ؟ لقد عاش ومات ما يخطر الله بفكره !

وقرأت كلاما للأمير «فيليب» زوج ملكة إنجلترا يقول فيه : « **إنك لا تستطيع إدامة قطيع من الغنم بأكثر مما تستطيع إطعامه ، إن المحافظة على البيئة تستدعى المحافظة**

---

(١) رئيس وزراء بريطانيا الأسبق .

على توازن الأجناس . وكل فدان من الأرض يستصلح للزراعة يعنى نقصان فدان تحرم منه الحيوانات البرية» .

ماذا يريد الأمير أن يقول ؟

يريد أن يقول إن إبادة الأجناس الأدنى شرط لبقاء الأجناس الأعلى وهذا معنى قوله « **لو كتب لى أن أولد مرة أخرى فإنى أتمنى أن أعود على شكل«فيروس» قاتل كى أسهم فى حلّ مشكلة زيادة السكان » ! ! !**

والمعروف أن الأمير « فيليب » يؤمن بنحلة هندية تعظم الطبيعة وتقدس الحيوانات وتطلق على الأرض الإلهة «جايا » ! ! .

إن علاقته بالنصرانية كعلاقة « تشرشل » بها ، والواقع أن نفرا من علماء الاقتصاد والفلسفة يحملون أسماء مسيحية ، ولا يرون أن للعالم خالقا اسمه «الله» ! ! .

والمقلق أن عددا من المقلدين العميان يسيرون وراءهم فى بلادنا ، ويحرجهم أشد الإحراج أن نحدثهم عن المعاملات الإسلامية وأصول الاجتماع والاقتصاد والتربية والتشريع التى يحفل بها الإسلام ويموج بها تراثه الضخم . !

إنك تناديهم من مكان بعيد ، إنهم يعيشون بيننا ولكن قلوبهم فى الغرب الاستعمارى .

* * *

فقر على أرض من ذهب

(٣)

النشاط موصول لتنظيم الأسرة - وهو التعبير الملطف لتحديد النسل - وقد راقبت النتائج القريبة فوجدت القادرين على الإنجاب والتربية هم الذين يحددون نسلهم ، أما الذين لا يعرفون معنى الأسرة ووظيفة البيت فهم الذين يتكاثرون بغير حساب !

وأعرف أن المسئولين عن المجتمع قلقون من زيادة عدد السكان فى مصر ، فقدقاربوا الستين مليونا ، ويرون أن موارد الرزق لا تتسع لهم !!

وللتفكير القومى منطق يلتزمه ، وللتفكير الإسلامى منطق آخر يتجاوز حدود الوطن الخاص . قد يشمل أرجاء العالم الإسلامى كله ، بل قد يتسع لدنيا الناس مستجيبا لقوله تعالى « قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ . . »[1] .

وقد أبديت رأيى فى هذه القضية وقلت : إنه حيث يوجد المسلمون توجد ينابيع ثرّة للأقوات ، ولكن الهمم الكسول والأيدى القصيرة من وراء الفقر الشائع ، ولو نقص المسلمون إلى نصف عددهم الحالى ما ارتفع مستواهم المادى ، **فإن الفقر فقر أخلاق لا فقر أرزاق** .

إن الأزمات السائدة من ورائها خصائص إنسانية مشلولة وعجز معيب عن أداء ما يستطيعه الآخرون !

إن الذى خلق الأرض وقدّر فيها أقواتها لم يجعل هذه الأقوات نصيب القاعدين ولا غنيمة المنهزمين ، إن النهر لا يسعى للشاربين ، فمن كان ظمآن فليَسْعَ إلى الماء . .!! ولنوازن أنفسنا بغيرنا وسنرى بمنْ يرجح الميزان !

نظرت فى سيرة الملك «بدوان» ملك بلجيكا الذى مات أخيرا فرأيت أنه رأى النزول عن العرش حتى لا يمضى قرارا بإباحة الإجهاض !!

---

(١) الزمر : ١٠ .

فلما أمضاه غيره عاد وقد استراح ضميره الدينى ، وتحمّل الوزر غيره !

ورأيت الرجل فى سبيل تكثير النسل جعل نفسه أبا لكل مولود سابع فى بلجيكا يحمل نفقته منذ يولد حتى يقضى ، ويتحمل أعباء تعليمه فى جميع المراحل . . .

قد تقول هذا ملك واسع المال والجاه ، أجيب ما تقول فى لاعب الكرة الشهير «بيليه» الذى أصبح أباً لولد رابع كما نشرت الصحف ؟ ولو حدث ذلك عندنا لقيل للاعب المنجب : حسبك ، إلى أين ؟ !

وأعباء مشروعات تنظيم الأسرة بين المسلمين – وقد تكون فى العالم الثالث كله – تتكفل بها المساعدات الأجنبية ، فهل هذه القوى الخارجية تبذل جهداً مّا فى سبيل دعمنا اقتصاديا ؟ !

أم هى مسرورة للهمم القاعدة ، والفقر الذى يمشى على أرض من الذهب . . .

* * *

مجلس الذكر

جلست إلى مكتبى سارح الفكر ثم استقرت عيناى على شىء فوق الأوراق ضئيل الحجم كأنه سمسمة ، فقلت : إن الخادمة لم تنظف المكتب جيدا . .

ومددت أصابعى لأنحِّىَ هذا القذى ، فإذا السمسمة تفلت من يدىّ وتطير فى الهواء ، فعلمت أنها فراشة صغيرة ، لعلها كانت نائمة أو مستريحة فلما أحسَّت أناملى تقترب منها طارتْ ! لكنى ما رأيت لها أجنحة ، إن أجنحتها لا تكاد تبين ! بل إنى ما أعرف لها رأسا من ذنب إن أجهزة الحياة فيها لا يمكن أن يراها بشر !

قلت لكن يراها خالقها الذى يطعمها ويسقيها ويمدّها بالحياة !

وتداعت المعانى فى رأسى ، إن الذى أحيا هذه الفراشات وأطلق أسرابها فى الجوّ لم يشغله تدبيرها عن أمر السماء ، إنه فى الوقت الذى يلهم الفراشات طيرانها يلهم الكواكب دورانها فى مسار لا تزيغ عنه ولا تطيش !! ، إنه لا يشغله شأن عن شأن ، إنه « يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ »[1] .

وعدت إلى نفسى أتساءل : لماذا عنانى أمر فراشة صغيرة ؟ !

إن جرثومة «الإيدز» أصغر منها سبعين ألف مرة ومع ذلك تدخل هى وزميلاتها أجساد الفجار فتصرعها وتحدث بها تلفا يقهر العلم ويعيى الأطباء !!

ما أحوجنا نحن البشر إلى التأمل فى خلق الله واستنباط صفات الخالق من إبداعاته فى الكون ، فيما بين أيدينا وما خلفنا وما فوقنا وما تحتنا ! .

ماذا لو جلس بعضنا إلى بعض يتحدث عن آثار الله فى ملكوته على عباده ، هذه هى مجالس الذكر التى تبحث عنها الملائكة ، وتشارك فيها وهى معجبة فرحة !

جاء فى الحديث القدسىّ « **إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون اللّه تنادَوْا هلموا إلى حاجتكم** .

---

(١) سبأ : ٢ .

قال رسول الله : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا !

قال فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم - ما يقول عبادى ؟

قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك !

فيقول : هل رأونى ؟

فيقولون : لا والله ما رأوك !

قال فيقول : كيف لو رأونى ؟

قال يقولون : لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادة ! وأشد لك تمجيدا وتحميدا وأكثر تسبيحا » . . . إلخ

إن جهود الأفكار فى معرفة الله هى الصورة الأولى للعبادة الصحيحة « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ »[1] .

إن الذكر وظيفة عقلية جادّة واعية ترقى بأهلها من الأرض إلى السماء ، والبشر الآن قسمان ملاحدة لا يعرفون الله ، ولا يحسبون أنه سيجمعهم به لقاء ! ومسلمون لا يحسنون الذكر والتذكير ! ومعرفتهم بالله قشرة لا تزكى فؤادا ولا تحسن تربية .

* * *

(١) آل عمران : ١٩١ .

الإدارة

تمتاز حضارة الغرب بامتلاك أجهزة إدارية حسنة الأداء غزيرة الإنتاج ، ويرجع ذلك إلى جملة من الأخلاق الرفيعة والنزاهة المعجبة فى اختيار العاملين فى الميادين العسكرية والمدنية على سواء ، وقد تابعت اختيار وزير الحرب الجديد فى أمريكا وبهرتنى الطبيعة التى أملت هذا الاختيار ، ووددت لو أننا فى العالم الإسلامى نحسن الاستفادة والاعتبار !

يقول وزير الدفاع الجديد : إنه لم يسع إلى هذا المنصب ، بل لم يكن يريده ! وإنما قبله عندما أسند له قياما بالواجب المفروض لخدمة بلاده ، وقال الوزير الذى اختاره رئيس أمريكا الجديد إنه فى انتخابات الرياسة أعطى صوته لمنافس الرئيس الذى لم ينجح !! أى أنه ليس تابعا للرجل الذى اختاره ، وهى كلمة واسعة الدلالة ، فهى تشير إلى أن رئيس الولايات المتحدة يبحث عن الأكفاء ولو كانوا من خصومه ، مقدّما للمنصب أحقّ الناس به ، وهى فى الوقت نفسه تشير إلى أن ولاء الوزير المختار لوطنه أولا وآخرا . .!

لقد طالعت هذه الصورة الوضيئة لملء المناصب وتذكرت سلفنا الأول وقواعد الأخلاق التى كانوا يتبعونها .

إن ولاية الأمور لا تساق إلى من يسعى إليها أو يحرص عليها ، فإن طالب الولاية يغلب أنه يطلبها حبا للعلو فى الأرض والصدارة بين الناس ، وتلك فى الإسلام رذائل ، إنما يختار للرياسة من يجعل وظيفته عبادة لله وأداء للحقوق ، فعن عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « **إن شئتم أنبأتكم عن الإدارة وما هى . فناديت بأعلى صوتى وما هى يارسول الله ؟**

قال : أولها ملامة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل » .

وكيف يعدل مع قريبه ؟ !

قال عمر بن الخطاب لأحد الناس : والله لا أحبك - وكان قد أصاب أخًا له فى الجاهلية .

فقال له الرجل : أما يفى ذلك حقِّى يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : لا . .

فقال الرجل : لابأس إنما يأسى على الحب النساء !!

إن الأعرابى يهتم بالعدل ولا يعنيه من عمر أن يكون محبًا أو كارها له !

* * *

فى الجوّ الإدارى النظيف يُبحث الموضوع بتجرد ، ويقول كل مشارك ما يمليه ضميره ، لا مكان للمَلَق ، ولا موضع لاسترضاء كبير أو صغير ! البحث عن المصلحة العامة وحدها والغاية إرضاء الله وحده . .

وفى الحديث «**من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس . ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**» .

إن العالم الإسلامىّ فقير إلى جوّ إدارى نقىّ لا تغيم آفاقه بالشهوات والمآرب ولا تعكره عواصف الغرض والمرض ! هل ذلك صعب ؟ إنه توفر فى بلاد أخرى تشبه سيرتهم سيرة آبائنا الكبار ! نستطيع إن أردنا الانتفاع بتراثنا أو الاقتباس من المعاصرين خصوما كانوا أو أصدقاء .

* * *

القـــدرة

ما أوسع الغنى الإلهى ، وما أعْصاه على الإحصاء ، وحسبك قوله تعالى فى حديثه القدسىّ **«يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا . ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا . .»**

والعوالم التى خلقها الله - غير عالمنا - تعجز التصوّر ما دقّ منها وما جلّ ، وتردّ الطرف خاسئا وهو حسير . .

وقبل أن أذهب بعيداً أتأمل فيما حولى إن الله قيمٌ على خمسة مليارات من البشر يرزقهم ليلا ونهار ، وقد جاء فى الحديث **«يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحّاء الليل والنهار»** .

وليست القصة تقديم طعام إلى جائع ، إنه سبحانه وتعالى ، يعرف مسالك الرىّ والشبع فى البدن ، وكيف يتحول الطعام إلى طاقة يحيا المرء بها . وكيف يتحول الطعام إلى خلايا تبنى العظم واللحم وتسيل الدم فى العروق وكيف يقذف الفضلات فى الأرض لتحولها الأرض إلى أزهار وثمار فى دورة من الكون والفساد ليس لها آخر . . .

إن الله على كل شىء قدير وبكل شىء بصير ، لقد برقت هذى المعانى فى نفسى وأنا أقرأ «مواقف» للأستاذ أنيس منصور يلخص فيها أشرف علم فى الوجود ، ويتناول الإلحاد بالإنكار العلمىّ الساحق فيقول : «ليس كلاما علميا أن تقول إن الكون يتمدّد ويتقلّص من تلقاء نفسه ، الجواب الذى لا جواب غيره هو : الله يريد ذلك !! لماذا ؟ نحن لا نعرف ولكن لا بد أن تكون البداية هى الله» .

ربما لا نرى وسائل القدرة فى العمل . ربما لا نعرف كيف يباشر القادر الأعلى تدبير ملكوته العظيم لكننا نتساءل مع القرآن الكريم «خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا »؟[1]

---

(١) النمل : ٦٠ .

إن الملحد يلوك بلسانه كلمات لا معنى لها عندما يجعل الخلق والإمطار والإنبات لغير الله !! إنه يكذب على نفسه وعلى الحقيقة .

ويتساءل الأستاذ «أنيس منصور» : لماذا لا تكون فى الكون أحياء عاقلة مثلنا ، وهو سؤال وارد ، وأياما كان الأمر فالملكوت الإلهى عندنا نحن المسلمين مشحون بمن يعرف الله ويقدره حقّ قدره ، وهناك مكلفون يقينا غير البشر ، ولهم حسابهم يوم الحساب ، ثم تدبر قوله تعالى « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ »[1] وقوله « **ولله يسجد ما فى السماوات وما فى الأرض من دابة ، والملائكة ، وهم لا يستكبرون ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون**»[2] .

لقد قلت من سنين فى أحد كتبى : إن الذى يبنى قصرا من ألف غرفة لا يُسكن واحدة منها ثم يدع الباقى تصفر فيه الريح . . .!!

وأعجبتنى كلمة الأستاذ أنيس التى ختم بها حديثه الجميل : «إن موسى لم يستطع أن يرى الله . . إنما عرف كيف تجلّى الله على الجبل فدكّه دكًّا . . فلنحاول نحن أن نعرف كيف يتجلى الله فى الخلية الحيوانية والنباتية ، أو كيف يتجلى فى فضاء مشحون بالكواكب » .

إن الملحدين حشرات مغرورة وآن لنا أن ندرك أن العلم يقود إلى الإيمان . . .

* * *

(١) الشورى : ٢٩ .
(٢) النحل : ٢٩ ، ٥٠ .

قانون غريب..

نشرت صيفحة «أخبار الخليج» البحرينية ، هذا الخبر تحت عنوان : «السجن ٢٥ عاما لقتل ٨٧ شخصا» .

قالت : أصدرت محكمة فى «نيويورك» أمس حكما بالسجن ٢٥ عاما ، على كوبى يبلغ من العمر ٣٧ عاما ، أشعل النار فى ملهى ليلى ؛ مما أسفر عن مصرع سبعة وثمانين شخصا . .

قالت : لقد حصل «خوليو جونزاليز» على الحد الأقصى للعقوبة (!) الذى تضمنه القانون بعد إدانته فى التاسع عشر من أغسطس وفق ١٧٤ مادة اتهام فى تهمتين منفصلتين عقوبتهما الإعدام . .!

وذكرت القضية أن «جونزاليز» أشعل النار فى كمية من البنزين سكبها على الباب الوحيد للملهى ، فى شهر مارس الماضى ، لأنه كان على خلاف مع صديقته التى تعمل فى هذا الملهى . .

وظاهر أن عقوبة الإعدام ملغاة ، وأن القضاء لم يكن أمامه إلا الحكم بالأشغال الشاقة . .

تذكرت وأنا أقرأ الخبر الكلمة الشائعة «القانون حمار» وإن كنت لا أدرى أى الطرفين سيغضب القانون أم الحمار ؟

وعزّ علىّ أن تزهق عشرات الأرواح ؛ لخلاف وقع بين وغد وخليلته ، وأن ينزل القاتل ضيفا على سجن يستمتع فيه بسماع الإذاعة ، ويستأنف حياة من لون آخر لا بأس به على الإجمال . .

وتساءلت : هل هذا القضاء يعرف أن لله حكما فى هذا الإفساد ؟

أم أنه لايعرف الله أصلا ؟

إن النفس بالنفس شريعة سماوية قديمة ، وهذا مجرم أهلك عشرات النفوس ! ومع ذلك فقد صانوا دمه ، واعتبر سفكه تخلفا ؛ أو جريمة !! واعتبروا القانون الوضعى أرقى وأعدل من الشريعة الإلهية !!

الحق أن علاقة الغرب بالله وهمية أو شكلية ، وأن الدين هناك هو عطلة عيد الميلاد أو أيام الآحاد ، أو هو الحقد التاريخى على الإسلام وأمته ، يحمله الاستعمار الغاشم فى أطوائه ، سواء كان هذا الاستعمار عسكريا أم ثقافيا . .

واحتكام البشر إلى غير ما أنزل هو قمة الهوى ، لأن الشهوات الضالة تتحول إلى قاعدة مرعية ، أو عرف ملزم ، أو حد لا يجوز تخطِّيه !!

وقد قال الله لداود عليه السلام « لا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ »[1] وقال لمحمد عليه الصلاة والسلام : « ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ »[2] وقال : « لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ »[3] وقال : « بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ »[4] .

والحق أن أهل الكتاب - الذين قلدناهم - نسوا كتابهم ، واتبعوا أهواءهم ، وضلّوا وأضلوا ، ولن يحصدوا من مسالكهم العوجاء إلا الخسران المبين ! فما حِرصُنا على متابعتهم فى الحكم بغير ما أنزل الله ؟ لا سيما فى شئون الحلال والحرام ؟

والحقيقة التى ألفت الأنظار إليها بقوة ، أن الدين واسع الدائرة ، وأن شُعَب الإيمان تبلغ السبعين شعبة ، وأنها متفاوتة القيمة والوظيفة ، فالأصل له مكانه فوق مكانة الفرع ، والركن له مكانة فوق مكانة النافلة ، وأن هناك روحا عامة تسرى فيها ؛ كما تسرى الروح فى أعضاء البدن ؛ تهب للمخ الحياة كما تهب للإصبع الحياة ، ولكل مكانته وعمله ! !

(١) سورة ص : ٢٦ .   (٢) الجاثية : ١٨ ، ١٩ .   (٣) البقرة : ١٢٠ .   (٤) الروم : ٢٩ .

وقد رأيت فى الحقل الإسلامى من ينسى الأصل ويتعلق بالفرع ، ومن يغفل عن الركن ويتشبث بالنافلة ، ومن يفقد روح اليقين والإخلاص التى تشد تعاليم الإسلام بعضها إلى البعض الآخر . .

ولذلك تفشل الجهود القاصرة فى خدمة الإسلام ، وربما جرت التهم على الدين كله !

إن للنفاق ميدانا يرتع فيه ويعرف به ميدان الكذب والخيانة ، والخلف والغدر ؛ وخسة الخصومة ، ويعنى ذلك أن مكانة الأخلاق راسخة عندنا ، وأن تجاوزها مستحيل على تقىّ .

وإذا كان القلب مُسْتَقَر التقوى ، فإن القلب الغاش الفارغ لا وزن له . .

وإذا كان الجهاد سنام الإيمان ؛ فإن ترك الدين أعزل فى ميدان الصناعة والحضارة جريمة كبرى . .

وقد لاحظت أن حرب الخليج كشفت عورة العرب ، وحددت قدر الإسلاميين وأظهرت أن الصياح الأجوف لا ثمرة له !!

لذلك كله ، لن يقيم الحكم الإسلامىَّ إلا جيل متين ، واسع المعرفة ، حادّ الذكاء ، راشد الرأى . .

لاتقل خبرته بالدنيا عن خبرته بالدين حتى يستطيع تطويعها له ، وإلزامها حدوده!!

ترى ؛ هل نراجع أنفسنا وننقدها ونحاسبها ، ونحملها على الحق أم نبقى على ما نحن عليه فلا تتغير النتائج ؟ ؟

* * *

استقصاء العدل

قرأت من أمد قريب أن نفرا من النقاد ذهب إلى مستر «تشرشل» يعلن تشاؤمه من الاضطراب الخلقى والاجتماعى فى انجلترا ، وأعربوا عن خشيتهم على مستقبل البلاد! فقال لهم «تشرشل» : هل تناول هذا الاضطراب القضاء والقانون ؟ قالوا : لا ! فقال : لا خوف إذن . . .

وقرأت أمس أن أم الرئيس بوش - وهى فى التسعين من عمرها - كتبت مظلمة لمصلحة الضرائب التى طالبتها بمبلغ قدره ٨٦ ألف دولار ، عن بيت تملكه فى جزيرتها ، وقد ذهب أخوها ومحاميها يتظلمان طالبين تخفيض المبلغ !

ولما قيل لها : لماذا لا تخاطبين ابنك ؟ قالت : فى أمريكا دستور وقانون قبل ابنى وبعده !

ولو ذهبت أستقصى الطرائف على ضمانات العدل بين الناس لضاق المقام ! إن الأمم التى ازدهرت وتصدرت لم تصل إلى الأوج مصادفة أو بعد استرخاء واضطراب ، لقد تم ذلك لها وفق مقدمات منتظمة أتت نتائجها المحتومة . . .

إن إسلاما مزعوما مع قطيعة وعسف وفوضى ؛ لابد أن يصحبه التقهقر والخراب ! أما الإنصاف والتراحم فهما أساس العمران وحصونه التى لا تسقط . . .

وربما استحق البعض غضب الله بعصيانه ومروقه ! ومع ذلك فإن القدر الأعلى يأذن له بإثارة الأرض وتعميرها ؛ والتكاثر والازدهار فوقها ، بسبب خلال حميدة حرص عليها . .

ويشهد لذلك ما رواه ابن عباس ، قال رسول الله ﷺ : **«إن الله ليعمِّر بالقوم الديار ؛ ويثمِّر لهم الأموال ، وما نظر إليهم منذ خلقهم بُغضا لهم !! قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : بصلتهم أرحامَهم !!»** وعن عائشة رضى الله عنها ؛ أن النبى عليه الصلاة والسلام قال لها : **«إن من أُعْطى الرفق فقد أُعطى حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان فى الأعمار»** .

والواقع الذى نراه فى عالمنا شاهد صدق على صحة هذه الآثار ، ونحن نعانى من اضطراب خطير فى المفاهيم ، ومن اضطراب أخطر فى الحكم على الأشياء من اضطراب المفاهيم ما شكا منه الشاعر القديم :

إذا قلتَ يوما لمن قد ترى   أرونى الشريف أروك الغنى !!

والغنى ليس دلالة الشرف إلا فى مجتمعات الأكل . . والقلب الملىء بالنبل أشرف من نعل محشوّة ذهبا !!

وقد أعجبنى ما كتبه الأستاذ «محمد الحيوان» يكشف فيه فنونامن التناقض فى أحوالنا الإدارية ؛ تحت عنوان لماذا نأخذ بتقارير الشرطة فى المسائل السياسية ، ولا نأخذ بها فى المسائل الأخلاقية ؟ إذا كتب تقرير عن أحد بأنه إسلامى يمنع تعيينه أو تؤخر ترقيته ويضيع حقه ، وقد يكتب تقرير عن أحد الناس بأنه مصاب بانحراف ، ومع ذلك تسند إليه وظيفة كبيرة ، وقد يكتب عنه أنه مقامر ، ومع ذلك يتولى عملا له مسئوليات جسام ، وقد يقال : هذه السيدة فى حالة تسيُّب ؛ ومع ذلك توضع فى مكان السيطرة ، أو أن هذا الرجل يعمل فى السوق السوداء ، ومع ذلك نوليه الإشراف على السلع التموينية ، أى أننا نحاسب السياسيين ولا نحاسب الخائنين والمرتشين . . .

ومهزلة نواب المخدرات لها أكثر من دلالة ، وأحسب أن فصلهم كان سيتم لو أن الشواهد أثبتت أنهم من الأصوليين !! بل ما كانوا ليدخلوا المجلس أصلا !!

أعتقد أن قضية الأخلاق الخاصة أو العامة يجب أن تشغلنا . إن تقدُّم الغرب لا يرجع إلى تفوقه الصناعى أو العسكرى قدر ما يرجع إلى النظم الأخلاقية ، والتقاليد المحكمة التى تسود أرجاءه . .

وكثيرا ما أرى مشكلات كثيرة التعقيد ، أعجزت من تصدَّى لحلِّها ، وما هذا العجز إلا لأنهم عموا عن الداء الدفين ، داء القلب الميت والخلق السائب ، أو ما عناه القرآن الكريم عندما قال : « وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا »(١) .

القلب الغافل والشهوة الغالبة ، والأحوال الفرط ، تلك هى عللنا التى أودت بنا وأخرت جماعتنا ، وهزمتنا فى كل صراع .

---

(١) الكهف : ٢٨ .

من تصحيح المفاهيم

كلمة التوحيد أعلى شُعَب الإيمان ، وهى عنوان الإسلام وموضوعه ومَدْخله وحقيقته ذلك أن الخوف من الله والرجاء فيه والتوكل عليه والاعتصام به لا يتم إلا بصدق التوحيد ! وقد وردت فى قيمة الكلمة العظيمة أحاديث تحتاج إلى بيان ، منها ما يسمَّى بحديث البطاقة وهو ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال رسول الله ﷺ : «إن الله سيخلِّص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعين سجِلاً ، كل سجل مثل مدّ البصر ثم يقول له : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ .

فيقول لا يا ربّ !

فيقول : أفلك عذر ؟

فيقول : لا ياربّ !

فيقول الله : بلى إن لك حسنة ، فإنه لا ظلم عليك اليوم ! فتُخْرَج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . فيقول الله له : احضر وزنك !

فيقول : ياربّ ما هذه البطاقة من هذه السجلات ؟

فقال : إنك لاتُظلم . .

فتوضع السجلات فى كفّة والبطاقة فى كفّة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله أحد . . .!!»

وظاهر هذا الحديث أن التوحيد لا يضرّ معه شىء ، وهو فهم يحتاج إلى نظر ! وعندما قرأت هذا الحديث ذكرت قصة روتها كتب السنة أن رجلا جاء إلى النبىّ ﷺ وهو يستعدّ للقاء العدو .

فقال له : أقاتل معك ثم أسلم ، أم أسلم أولا ثم أقاتل معك ؟

فقال له الرسول : بل تسلم أولا ، فأسلم واشتبك مع الأعداء فقُتل وفاز بالشهادة!

فقال الرسول : عمل قليلا ونال كثيرا !

قلت فى نفسى لعل ذلك الرجل صاحب هذه السجلات الملأى بالذنوب ، وهو جدير بالمغفرة بعد ما جاد بروحه فى سبيل الله . . .

إن فرقة من المسلمين اسمها المرجئة اعتمدت على حديث البطاقة الذى ذكرناه وأسقطت الأعمال عن الناس ، وهونت الواجبات الضخمة وجرأت على الذنوب العظام ! وهى فرقة ضالّة مضلة ، ولعلها سبب سقوط الحضارة الإسلامية واستهانة الناس بالتكاليف الشاقة ، بل هى من وراء ذهول العامة عن القانون الإسلامىّ الجليل « فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ »[١] .

وقوله تعالى « مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا »[٢] .

إن الإسلام اليوم يحيط به أعداء مكرة مهرة ويحتاج إلى أهل النجدة والفداء ليدفعوا عنه ، أما كلمة الإسلام التى تمرق بين الشفتين دون رصيد من إيمان أو خلق فلا جدوى منها «ولا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له» .

* * *

(١) الزلزلة : ٧ - ٨ .

(٢) الكهف : ٤٩ .

خيبة الأمل...

استطاعت الحضارة الحديثة أن تطوى القارات الخمس تحت جناحها وأن تجعل البشر عامة ينتفعون بثمارها المادية التى رفهت معايشهم ويسرت مرافقهم ، اختفت مصابيح الزيت وحلّت محلها ثريات الكهرباء ، واختفت الأفران القديمة وما تتطلب من أحطاب وأخشاب لتحل محلها أفران أنيقة خفيفة الوقود وصار التنقل بالسيارات والطائرات بعد ما كان بالخيل والبغال والحمير !

والمهم أن هذه الحضارة قدمت فلسفتها فى فهم الوجود وخطتها فى قضاء العمر وعبور الحياة بين يدى خدمات مادية حسنة ورؤى واقعية سهلة .

وكان المسلمون قد فقدوا قوة الدفع وتذوّق الوحى ولباقة التصرف فألقوا بأنفسهم بين أحضان الجديد المقبل وذاب أكثرهم فيه ، ونحن ما نرفض دنيا حسنة وإنما نرفض أن تكون هذه الدنيا «طعما» لنسيان الله واطراح وحيه ، ونرفض أن يكون الفقر المادى ذريعة للانحراف والمروق .

وإن جماهير من الناس غرتهم هذه الحضارة وأعجبتهم فماذا يفعلون ؟

ظنوا أنهم يلتحقون بأصحابها إذا ارتدوا ملابسهم وقلدوا مسالكهم فهل أفلحوا ؟

كلا ، كان ينبغى أن يدرسوا سرّ تفوق القوم ، ومصادر المعرفة التى نقلتهم إلى ما بلغوا ولو اختاروا هذا الطريق لأدركوا أن دراسة الكون وقواه من وراء هذا النجاح الباهر !

فهل دراسة الكون والتأمل الواعى فى خلق السماوات والأرض اختراع أوروبى ؟ أم هو توجيه قرآنى فى مئات الآيات ؟ .

إن المسلمين ظلموا أنفسهم وكتابهم وتاريخهم وحضارتهم عندما أداروا ظهورهم لآيات الله فى العالمين وانشغلوا بالمتشابه من آيات الوحى وحسبوا أنهم يبنون العلالى وما درَوْا أنهم يحفرون لأنفسهم القبور !

ماذا جنينا ؟ لقد تسلح الإلحاد بتفوق علمى فى البر والبحر والجو وبقينا فى أماكننا محسورين !

قرأت هذه السطور فى بحث عن مستقبل الشرق الأوسط أنقلها للعبرة .

يقول البحث نحن نحتاج اليوم إلى جهد أقل وتربة أقل وماء أقل نستخرج منتجات أكثر وأكثر ! فالولايات المتحدة التى تستخدم ١½ ٪ من قواها العاملة فى الزراعة تنتج ٢٥٪ من مقادير الغذاء فى العالم فى حين لم يستطع الاتحاد السوفيتى أن يصل إلى الاكتفاء الذاتى مع أنه يستخدم ٣٣٪ من قواه العاملة فى الزراعة !

وقد اشترى السوفيت البقر من إسرائيل لماذا ؟ لأن البقرة فى إسرائيل تعطى من الحليب ثلاثة أضعاف المقدار الذى تعطيه البقرة فى روسيا رغم أن البقر هو البقر ! وله ذات الصفات ، الفرق هو الطريقة التى تصل بالانتاج إلى ثلاثة أضعاف ، الفرق هو فى الارتقاء العلمى !!

وقد رأيت فى التلفاز صورة لنجاح اليهود فى زراعة قطن ملوّن . والقطن كما نعرفه أبيض ناصع وكان الفلاحون عند جنى القطن فى بلادنا يغنوّن «نوّرت ياقطن الليل»! لشدة بياضه !!

إن الارتقاء العلمى سيغنيهم عن تكاليف الصناعة ، أظن أنه لو حاول ذلك عندنا أحد العلماء لجاءه من يقول له لا تفعل فإنه تغيير لخلق الله !! والجنون فنون .

* * *

النساء والقبور

سألنى أحد الناس غاضبا : لماذا لم تحدث النساء ألا يزرن القبور وأنت تتحدث فى أمور كثيرة ؟ فقلت له : تقصد أن أحدثهن عن آداب الزيارة ؟ قال : بل تمنعهن منعا قاطعا كما أمر الإسلام !

قلت له : عيبكم أنكم تعرفون وجها واحدا من وجوه القضية الفقهية -- ثم تتعصبون له وتحاولون الوصول به إلى مجلس الأمن ! .

تعال بنا إلى أقرب وأدقّ مرجع فى هذه الشئون ، إلى فقه السنة للشيخ سيد سابق وسنرى فيه هذا الكلام «رخّص مالك وبعض الأحناف ورواية عن أحمد وأكثر العلماء فى زيارة النساء للقبور . وفى الحديث أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر ، فقلت : يا أم المؤمنين من أين أقبلت ؟

قالت من قبر أخى عبد الرحمن ، فقلت لها : أليس كان نهى رسول الله عن زيارة القبور ؟

قالت نعم . كان نهى عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها !

وروى البخارى ومسلم أن رسول الله مرّ بامرأة عند قبر تبكى على صبىّ لها ، **فقال لها اتقى الله واصبرى فقالت وما تبالى ؟ بمصيبتى . . فلما ذهب قيل لها إنه رسول الله – ولم تكن تعرفه – فأخذها مثل الموت فأتت بيته ، فلم تجد بوابا ، فقالت : يارسول الله لم أعرفك !**

فقال لها :«إنما الصبر عند الصدمة الأولى» ولم ينكر عليها أن كانت فى المقابر . .» .

وقد ورد حديث ضعيف عن أحمد بن حنبل «لعن الله زوّارات القبور» وهذا الحديث إن صحّ فهو يرفض العكوف على الزيارة وتكرارها ونقل وحشة القبور إلى البيوت وإثارة جزع لا ينتهى ، وذاك ما يأباه الطبع السليم .

وقد أطلت شرح هذه القضية لأنى رأيت بعض الناس لا يعرف إلا رأيا واحدا فى مسألة فقهية ، ولعله يعرف الرأى الأضعف ثم يغالى به ويريد حمل الكافة عليه ويجأر بالشكوى من فساد الدنيا والدين لأن الناس لم يتبعوه على رأيه !

وقد كثر الشغب بين العوام على قضايا الخلاف ورأينا غلمانا لا يملكون إلا بعض القشور يريدون تمزيق الأمة بترجيح مذهب على مذهب أو إيثار رأى على رأى ، وهؤلاء فتنة نحذِّر الناس من غوائلها .

إن الفقه الإسلامىّ حافل بآلاف الآراء فى شتى الأحكام ومعنى خلاف الأئمة أن فى الأمر سعة ، فإن للمخطئ وللمجتهد أجرهما وليس فى الإسلام أن الفقيه المخطئ عصى الله ورسوله وعليه وزر خطئه ! !

إن الذين ينشرون التعصب ويشعلون المعارك لنصرة رأى إمام على إمام مثله خطر على وحدة أمتنا ومستقبلها فى أيام تألب على الإسلام أعداؤه يريدون النيل منه .

* * *

شباك منصوبة

لو كان سلمان رشدى أخطأ فى اجتهاد فقهى أو تحقيق تاريخى لقلت : باحث ضل طريقه إلى الصواب وما أكثر الذين يخطئون وتلتمس لهم الأعذار !

لكن هذا المخلوق صاحب طبيعة نابحة وخيال خسيس ، وقد اتجه إلى القمم يريد النيل منها فألف روايته فى تجريح بيت النبوة ، ولو عرف للشهرة طريقا آخر ما نجت منه الصدّيقة مريم ابنة عمران ، ولا ابنها المسيح المبارك ، ولو جد فى روايات اليهود ما يشبعُ طبيعته فى السباب .

ولكن هذا الكاتب آثر طريقا قليل الأخطار كثير الأنصار من سماسرة الاستعمار فشتم محمدا ﷺ وآل بيته الأطهار ، وقد وجد ما يبغى !

قابله رؤساء الدول ، وهشّوا لحديثه ، وانحازوا إلى جانبه وقال كبيرهم بعد أن قضى معه ساعتين : إننى أريد توكيد حرية النشر !!

نشر ماذا يا رجل ؟

أفلو كتب أن مريم عليها السلام بغىّ وابنها لقيط – كما يزعم اليهود – كنت تستقبله ؟ .

هل شتم محمد ﷺ هو تذكرة الدخول على رؤساء الدول الغربية ؟ .

إن حقدكم على الإسلام مرض عضال يبدو أنه ليس منه شفاء ، وقد لاحظت أن الإسلام يحارب تحت عناوين ، لعل أهونها حرية النشر هذه !

فالعالم الإسلامى الذى يبلغ خمس سكان العالم يجب أن يغطى كيانه ويضيع عنوانه ولذلك اخترعت كلمات الشرق الأوسط ، وشعوب البحر الأبيض ، ووحدة الدول الإفريقية ! والشعوب الأفرو آسيوية ! وقد تخترع كلمات جديدة المهم فيها ألا يظهر العالم الإسلامى ظهورا يخدم قضاياه ، أو يذكر بعقائده ورسالاته . . . !

وعندما يقال الشرق الأوسط فستكون إسرائيل أهم دولة وأقواها وأعرقها حضارة وستكون مالكة الزمام الاقتصادى لأنها المنتجة بين جماهير من المستهلكين .!

أما العرب وتاريخهم ودينهم ومستقبلهم فذكريات الماضى يجب أن يهال عليها التراب !

وإذا قيل : شعوب البحر المتوسط فجنوب أوروبا سيد الموقف ، وقد اعتبرت مصر من الدول «الفرنكفونية» وأسست بها جامعة «ليوبلدسنجور» السنغالى المتفرنس وتفرض الآن العلمانية على أغلب دوله حتى تنقطع العلاقة بين الإسلام وأتباعه وطوى تعاليمه التربوية والاجتماعية ، كما أنزلت رايته فى عالم القانون والتشريع ! والغزو الثقافى ناشط فى هذا المجال وسماسرته تفتح لهم الأبواب ويحظون بالحفاوة والترحاب !

إننى أحذر المسلمين من الشباك المنصوبة لاغتيال دينهم والقضاء عليهم ، ولقد تقدم أعداؤنا فى جبهات شتى ، والمسلمون بين غافل ومسترسل ومخدوع ومخدَّر فلنصْحُ قبل فوات الأوان وإلا حقّ علينا العقاب .

* * *

الغش الثقافى

أكره الغشّ الثقافى المنتشر بين العامة وأحسبه مسئولا عن بعض الهزائم التى تصيبنا ونحن ندعو إلى الإسلام ، وودت لو أن لجانا علمية تكونت لكشف هذا الغش وذود الناس عن تصديقه .

قرأت لمفسر يشرح قوله تعالى «﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ »[1] أن هذه الليلة ليلة النصف من شعبان !! فاستغربت هذا الخطأ وقلت ألم يقرأ الرجل قوله تعالى «﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ . . »[2] ؟ فكيف يكون النزول فى شعبان؟ . ومع ذلك يثبت هذا الهراء على أنه رأى !

وبعض المفسرين لا يرى مانعا من ذكر الرأى السخيف المخالف لليقينيات ثم يردّه بعد ذلك ، ففى قوله تعالى «﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا »[3] يقول حتى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب (!) ثم يقول المفسر اللبيب : وفى هذه الرواية نظر لأن القرآن ثبت بالتواتر . وكان يجب أن يدفن هذا القول المروىّ ، فإذا ذكر لأمرٍ مّا وجب تكذيبه فورا والإزراء عليه . .

وبعض الجهلة بلغة العرب أو العجزة فى علم النحو لم يفهموا النصب على الاختصاص فى قوله تعالى « . . . **والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة**» وظنوا أن النصب خطأ ونسبوا جهلهم إلى بعض الصحابة ووجد هذا الزور للأسف من يرويه ولا يستحى من حكايته !

وأرى أن ننظر بإنصاف وتدقيق إلى بعض كتبنا القديمة لنجردها من هذا اللغو الباطل ، المجمع على بطلانه . . لماذا نستبقى هذا الغش القبيح ؟

---

(١) الدخان : ٣ .
(٢) البقرة : ١٨٥ .
(٣) النور : ٢٧ .

وهذا الدَّخَلُ فى الثقافة الإسلامية تسلَّلَ إلى ميدان الأمر والنهى والحلال والحرام فقد سمعت شكاة لأسرة تقول إن ربَّ البيت أمر بتجريد بيته من السرير والمائدة ، لأن النوم على الأسرة بدعه وكذلك الأكل على المائدة ، يجب النوم على الأرض والأكل على الأرض !!

إن الجبهة التى نقاتل فيها عن الإسلام تتسع لأن الغلاة والمتطرفين أوجبوا على من يدخل فى الإسلام أن يعيش على نهج لم يؤلف فى كتاب أو سنة ، فإذا دخلت فى الإسلام فكن كهذا الصوفى الذى إذا أراد النوم قال :

أجعل الساعد اليمين وسادا

ثم أثنى إذا انقلبت الشِّمالا!

لا وسادة ولا مخدة ولا فراش ولا حشيّة ! إن دعوة التوحيد والعقل يعرضها بعض الناس عرضا ينافى الوحى والرأى فهل نتدارك هذه الأخطاء ؟ .

* * *

مَنْ نسخ الآية ؟

إذا انتشر القصور فى الفكر والفوضى فى الحكم فلن يصح فى الأذهان شىء . .

جلس رجل يفسر القرآن للناس ، فقال : إن الآية الموجودة فى سورة البقرة «وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ »[1] منسوخة ، وقد أكد الصحابة رضوان الله عليهم هذا النسخ بمقاتلتهم للروم والفرس ، مستصحبين قوله تعالى « قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً . . »[2]

واستشارنى هذا الجهل ، فقلت للمفسر المخطئ : من أنبأك أن الروم والفرس لم يكونوا معتدين على العرب والمسلمين ؟

هل إذا اجتاح الروس أفغانستان ، وأقاموا بها حكما فشرع المجاهدون فى المقاومة وشن الغارات عليهم ؛ اعتبروا مهاجمين ملومين ؟

هل إذا احتل اليهود فلسطين فشرع العرب فى رد العدوان ، وإخراج الطغاة اعتبروا مهاجمين ملومين ؟

لقد جاء الرومان من أوروبا فاحتلوا سورية ولبنان والأردن وفلسطين ، وهبطوا معتدين على تبوك ومؤتة من أرض الجزيرة ! فهل إذا بدأ المسلمون فى إخراجهم من الشام ومصر وسائر الأقطار التى نكبت بهم ؛ يعتبر المسلمون معتدين ، ويقال إن آية تحريم العدوان منسوخة ؟

هذا هو الغباء المحض ، وما يجوز لغبىّ يعجز عن رؤية الواقع أن يفسر القرآن ، ويحاول إفساد معانيه . . .

إنكم بهذا التفسير الذى ينسخ ما تعجزون عن فهمه تبيحون سياسة قطع الطريق وترويع الأبرياء . . .

لقد كانت الحرب مع الروم من أعدل الحروب التى وقعت على ظهر الأرض ،

---

(١) البقرة : ١٩٠ .
(٢) التوبة : ١٢٣ .

ويشبهها فى هذا العصر قتال الصهاينة والمستعمرين حتى تعود الأرض لأصحابها ، وتنتهى هذه المظالم . .

كيف يزعم زاعم أن قوله تعالى : «**قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا . .**» آية منسوخة ؟

هل أصبح الله يحب المعتدين وكان من قبل يكرههم ؟

أم كيف يجىء أحد بساطور يضرب به الآية فيقسمها قسمين ، يبطل أحدهما ويستبقى الآخر ؟

يجب أن تذاد هذه العقول العليلة عن فقه الكتاب والسنة ، فلا تفسد على الناس دينهم . . وما قلناه فى هذه الآية نقوله فى الآية الأخرى «لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ »[1] فإن بعض الشواذ قال بنسخها ، وهو بهذا الفهم شارد عن الصواب ، ولم يقع قط فى تاريخ الرسول وصحابته أن أكره أحد على الإسلام ، بل إن الإكراه على الدين منتف من عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمد ﷺ ، فقد قال نوح عليه السلام لقومه « أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ » ؟[2]

ثم قيل لمحمد ﷺ بعد ذلك بعشرات القرون «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » ؟[3]

أنبياء الله كلهم يرفضون الإكراه ؛ ويعرفون الإقناع الحر ؛ فكيف يتاح لذى عقل مدخول أن يفسر القرآن بهواه ، فيصف آية محكمة بأنها منسوخة ؟؟

إننى أعانى الأمرين فى هذه الأيام من أناس لا يحسنون فهم تأليف أرضى لبشر عادىّ . . . ثم يجيئون بعجزهم هذا إلى كتاب الله ؛ كى يلبسوا الحق بالباطل . . .!

إن دين الله أشرف من أن يؤخذ عن أفواه الحمقى .

---

(١) البقرة : ٢٥٦ . (٢) هود : ٢٨ .
(٣) يونس : ٩٩ .

أصوات الطيور

أنا من القلائل الذين يعرفون العقاد شاعرا كما يعرفونه ناثرا ، وعندما كنت طالبا ناشئا كنت أستجيد شعره وتتماسك فى ذاكرتى أبيات شتى له . ثم أقمت ببيتى فى القاهرة ولفَتَ انتباهى كروان يمر بالسماء والسحر يرسل هتافه المتتابع العجول فكنت أردد بيت العقاد يناجى صاحب الصوت .

أنا لا أراك ، وطالما طـرق النهى   وحـىٌّ ولـم تـظفر به عينان !

وكنت أذكر عهد الريف ، وشعبنا المؤمن الذى يفسر أصوات الطيور بما استكنّ فى قلبه من إيمان . لقد فسَّر هديل اليمام المتقطع الجادّ فقال : إنه يصيح بالبشر : وحدوا ربكم وحِّدوا ربكم!! وفسَّر هتفات الكروان السريعة المتلاحقة بأنه يقول لله : الملك لك لك . ياصاحب الملك .!

وظاهر أن هذه التفاسير نضح إيمان الناس بربهم ، ووعيهم أن كل شىء يسبح بحمده ، ويتغنى بمجده . .

وقد كان شعراء الغزل ينطقون الحمام بمشاعرهم على نحو ما قال أحدهم :

رب ورقـــاء هـتوف بالضـــحى   ذات سـجْع رجَّعتْ فى فَنَن

إلى أن يقول :

غـــير أنى بالجـــوى أعـــرفها   وهى أيـضا بالجـوى تعـرفنى !

لكن الأستاذ الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى رأى أن ينطق الكروان بغير ما تعارف عليه الناس ، فزعم أن الكروان يقول : الملك لك لك أيها الإنسان . .

وهو بذلك يؤكد أن الإنسان ملك الكون ، وأن الملك ليس لله الواحد !

لقد كان مؤمنا قبل أن يسافر إلى فرنسا وأحسب - إذا لم تخنى الذاكرة - أنه غُنيتْ له قصيدة دينية فلما اعتنق الشيوعية وعاد إلى مصر رأى أن يكفر وزعم أن الكروان يكفر بالله معه ، ويؤمن بالإنسان وحده !

والغريب أن تنشر الأهرام للدكتور غالى شكرى تحية لهذا الاتجاه ، واتّهامًا للشعب المصرى بأن أُولى عاهاته الفكرية أنه مؤمن بالغيب !

ولما كان الرجل مسيحيا فقد تساءلت : هل الإسلام وحده هو المؤمن بالغيب أم أن القصة كلها خلْع الإسلام من القلوب وإيجاد شعب تائه ؟

إن جماعة «التنوير» كما تسمى نفسها تكره الله كراهية شديدة وتتنكر لوحيه وهداياته كلها .. وتريد بكل الوسائل سرقة العقائد من القلوب ، ولها فى ذلك حيل وألاعيب لا تخفى على أولى الألباب وعلى الناس أن يحرسوا إيمانهم ويكتشفوا ما يراد بهم ...

* * *

ماذا ننتظر

بعضهم يحسب المتدينين أصحاب فكر غيبى غبّى لا يثبت على تجربة أو اختبار ، وأنهم جامدون على تراثهم لا ينفكون عنه على كثرة المحاولات معهم . .!

أنا أكره التدين من هذا النوع وأرفض أصحابه ، ولكننى أشد كراهية لقبيل من الناس صلتهم بأوروبا كصلة الجاهليين القدامى باللات والعزى ، يمشون وراءها فى كل طريق مهما كان وعرا ، ويؤيدونها فى كل شأن مهما كان سخيفا . . .

وأنا منذ شهور أحس بالقلق العام الذى يسود المجتمع لكثرة الجرائم ، وتعدُّد صورها ، وعجز القانون المستورد عن مقاومتها ، ومع ذلك لا نفكر فى تغييره بما هو أفضل وأشرف ؛ لأنه أوروبى !

هذا شاب فى السابعة عشرة من عمره ، قتل صبيا وفسق بآخر ؛ حكم عليه بالسجن لأنه حدث ، والحدث فى شريعة القانون الأوروبى من كان دون الثامنة عشرة من عمره ؛ فهذا لا ينفذ فيه العقاب الطبيعى . . .

ولست أدرى ما يكسبه المجتمع من الحرص على حياة شاب فاسق قاتل ؟ ولماذا لا تنفذ أحكام الشريعة فى ربط التكاليف بِسنّ البلوغ ، وللبلوغ شاراته المعروفة ، إن محمد بن القاسم فاتح الهند كان فى الثامنة عشرة من عمره – والتأريخ بالهجرى – أى أنه كان أكبر بشهور من هذا المجرم المعفو عنه .

وسوف يذهب المجرم إلى السجن ليخرج أكثر شذوذا وأضرى أخلاقا ! فماذا كسبنا ؟

وقد يكون القاتل ارتكب جريمته دون سبق إصرار ، فيعاقب بالسجن سنين عددا ثم يخرج . . .

ومنذ أيام خرج قاتل بعد قضاء المدة المحكوم بها ، وكان ابن القتيل يتربص به ، فاقتصّ منه ، وقبض رجال الشرطة عليه ، وسوف تتكرر المأساة مع أحكام القانون القائم فى عشرات المدن والقرى .

وقرأت قصة ابن البواب الذى تسلل إلى الشقة ليسرقها ، فوجد ساكنها التاجر أمامه ، فأطبق على عنقه يعتصره حتى قتله وهرب !

قلت : سيجد من يدفع عنه بأنه لم يكن مترصدا ، ويبعده عن حبل المشنقة !!

الشريعة تقول : من قتل عمدا يقتل ، فمن أين اخترعت هذه الشروط ؟ وماذا كسبنا من احترامها إلا وقوع جرائم القتل بالآلاف ؛ وعدم تنفيذ القصاص إلا آحادا . .؟

لقد كثرت جرائم السطو المسلح ، وقطع الطريق واغتصاب الفتيات ، فهلاّ جربنا حكم الشارع الحكيم ، فقتلنا وصلبنا ؟؟ جربوا ذلك دون احترام لرأى الأوروبيين ، الذين ألغوا القصاص جملة وتفصيلا ، وأباحوا اللواطة والزنا كذلك جملة وتفصيلا ! إن القيمة العقلية والخلقية لآراء هؤلاء الناس صفر ، ومتابعتهم بلاهة ودمار . .

إن التساهل مع المجرمين زادهم ضراوه ، وجعل حبل الأمن مضطربا ، فما يأمن أحد على نفسه فى ظلام الليل ، أو وحشة النهار . .

والأوروبيون يعصون كتابهم المقدس بهذا التفريط ، ولديهم شريعة السن بالسن والعين بالعين ، فإذا رأوا بعد اضطراب إيمانهم أن يلغوا أحكام ربهم ويسيروا وفق شهواتهم فمالنا ولهم ؟ ولماذا نتابعهم وقد قال الله لنبيه ﷺ : « وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ » ؟[١]

هل ننتظر حتى ينقطع الطريق بين المقطم ووسط العاصمة ؟ هل ننتظر حتى ينقطع الطريق بين مصر الجديدة والقاهرة ؟ ماذا نخاف إذا نفذنا شريعة الله ؟ أن يجىء خواجة ملتاث سكران فيقول لنا : أنتم متخلفون !! أو يجىء آخر مستباح العرض فى الليالى الحمراء أو فى وضح النهار ؛ ليقول لنا أنتم متوحشون !!

إن للأوروبيين بعض المزايا العمرانية ، أما وراء ذلك فلا . . . ولا كرامة .

* * *

(١) المائدة : ٤٩ - ٥٠ .

دعوة لروح جديدة

القوى المعادية للإسلام دائبة على إلحاق الأذى به ما استطاعت ، يمدها حقد مشبوب ؛ وبصر يبحث عن العيوب ؛ وقدرة على استغلال الأخطاء لتحويلها إلى مقاتل وعطوب . .

إن العالم يعرف أن إسرائيل تملك من أسلحة الدمار الشامل مالا تملك العراق ولا باكستان ، ومع ذلك لم ينبس بحرف واحد ضد اليهود ، ولا جرؤ أن يوجه إليهم تهمة . . لكنه مع جبنه أو رضاه يضرب العلماء المسلمين بقوة ، ويهجم على شعوبهم بجبروت ، ويعالن برفضه أن تكون لدى المسلمين أسلحة نووية !!

هذا الجور فى الحكم ، وهذا الكيل بكيلين ينم عما وراءه من نيات السوء وما يبيته على مر الأيام من شر لأمتنا وديننا . .

وفى الوقت الذى يتم فيه هذا دوليا يعلن «شارون» بطل مذبحة صبرة وشاتيلا ، أنه سيقود الجبهة الحاكمة فى إسرائيل ، ويوعز إلى بعض «المتطرفين» من أتباعه أن يسكنوا البيوت العربية فى القدس ، تحت شعار أن الإسرائيلى يسكن أين يشاء فى الأرض المقدسة فهى ميراثه العتيد . . ! !

لقد أسكرتهم الانتصارات الرخيصة التى أحرزوها ، وحسب قواد العصابات القدماء أنهم قادرون كل يوم على إحراز نصر جديد ، ومن ثم يتكلمون بتبجح مثير ! ويتحدثون عن الحرب دون اكتراث ! ويريدون أن يملوا على العرب شروط المنتصر ، وأن يذيقوهم ذل المغلوب . .!! وما كان العرب ليواجهوا هذا الموقف لولا الأخطاء الكبرى لساستهم وزعمائهم !

لو أن الجيش المصرى لم يبدِّد قواه فى اليمن ما لحقت به هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ ، إنه فى ست ساعات خسرنا القدس والضفة والقطاع والجولان وسيناء ، ولو أن الجيش العراقى لم يبدد قواه فى غزو الكويت لأدار الحرب على كبد إسرائيل ، واسترد منها كل ما غصبت ورمى بها فى البحر . .

وهكذا وهبنا لليهود نصرا ما كانوا ليحرزوه أبدا ، وأطلقنا أفواههم بالدعاوى ، وصدق من قال :

إن الـزرازيـر لمـا قـام قـائمها توهمت أنها صارت شواهينا !

إن اليهود أذل وأقل من أن ينتصروا فى معركة ، إن أخطاءنا وحدنا هى التى صنعت لهم النصر ، وأغرتهم بالنباح العالى .

والعرب الآن يُنادَوْن إلى مؤتمر سلام ، حسنا ، نحن طلاب سلام ، ولكن اليهود من اللحظة الأولى يريدونه مؤتمر استسلام ، وتسمعهم يقولون : إن لنا حق اختيار الوفد الفلسطينى الذى نتحدث معه ! لا نقبل أن يذهب من القدس المحتلة أحد ليفاوضنا ، فالقدس صارت ملكنا . .

لا تنازل عن الأرض التى كسبناها . . اللاءات على أفواههم كثيرة . ونحن المسئولون أولا وآخرا . .

إننا نستطيع أن نحل مشكلتنا بأيدينا لو أردنا ، لماذا يقصى الإسلام عن المعركة وتبقى اليهودية ؟ لماذا يكون انتماؤهم الدينى مباحا وانتماؤنا الإسلامى حراما ؟ إننا بالقوى القليلة التى لدينا نستطيع بتأييد الله لنا أن نسترد ما فقدنا ونعود ظافرين . .

وقد تقول : سلاحنا أقل . . ! وأقول : كان أكثر فهزمته الفرعونية الحاكمة ونسيان الله ؛ قبل أن يهزمنا أحد ، إن اليهود لم يهزمونا فى المعارك السابقة إننا نحن الذين انتحرنا !!

إن العرب بحاجة إلى روح جديدة ، اسمها الإيمان بالله ، والاعتزاز بالتراث والثقة بضمان الله لمن يأوى إليه . . وهم إذا تغيروا غير الله ما بهم « إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ »[١] .

أوصى الرجال الذاهبين إلى مؤتمر السلام أن يعتمدوا على الله ، وألا تضطرب ثقتهم فيه ، وأن يحادثوا اليهود من منطلق قوة لا من منطلق ضعف ، فإن الغد لنا إن لم يكن اليوم لنا . ولتزأر العصابات الغالبة المغترة ، فلن يطول بها غرور ، ولن يمتد لها فجور وإن غدا لناظره قريب . .

---

(١) يونس : ٨١ ، ٨٢ .

الـزواج

ليست الغريزة الجنسية رجسا من عمل الشيطان ، إن الإسلام - وهو دين الفطرة ينظر إليها على أنها واقع لا يجوز تجاهله ، وكل ما يفعله أن يضعها فى إطار طاهر بشوش ينمى خيرها ويمنع انحرافها . .

فإذا استقامت على أمر الله كان إيحاؤها عبادة ، ومذاقها سعادة ،تأمل فى قول الرسول ﷺ : **«اللقمة تضعها فى فم امرأتك لك بها أجر» وقوله : «فى بُضع أحدكم صدقة» فتساءل أحد الصحابة : أيقضى أحدنا شهوته وله أجر ؟ فقال له : أرأيت إن وضعها فى حرام أليس عليه وزر ؟»**

إن مسلك هذه الغريزة إذا استقام على السنن الجاد كان طاعة لله تعالى ، وكان إرضاءً لله أن تحب زوجتك وتلاعبها وتداعبها . .

إن الرائحة الحسنة ترفع الإحساس وتريح الطبع ، وقد ضم إليها النبى ﷺ المرأة التى أنعم الله بها ، فقال : **حُبِّب إلىّ من دنياكم النساء والطيب ، وقرة عينى فى الصلاة»** . . .

وأغلب الفقهاء يجعل الزواج من العبادات ! ويجعل نفقة الرجل فى بيته صدقة تكتب له . . .

- وطبيعى أن يهتم الإسلام بالمناسبة التاريخية التى يبدأ بها الزواج ، فهو يستحب الاحتفال بها ، وقد قال الرسول لأحد أصحابه : «أَوْلِمْ ولو بشاة» وصحّ فى السنة المطهرة أن النبى عليه الصلاة والسلام حضر حفل زفاف ، فكانت العروس هى التى تتحف الأصحاب بالشراب الطهور ، والطعام الهنىء . .

وإن كان القصد هو السمة الغالبة على المجتمع الأول ، والإسلام يكره الإسراف الذى تراق فيه الأموال دون وعى ، وقد وصف حافظ إبراهيم إحدى ليلات زفاف من هذا النوع فقال :

قد شهدنا أمس فى مصر عرسا ... جعلت أضواؤه الظلام نهارا . . . !

سال فيه النضار حتى حسبنا ... أن ذاك الفناء يجرى نضارا . . . !

والمعروف فى سنة نبينا ﷺ أنه استحب اللهو أيام الزفاف ، وسمح بالغناء الرقيق اللطيف .

أتينـــــاكم أتينـــــاكم فحيـــونا نحييـــــكم

ولـــولا الحبـــة الســـمراء ما سمنت عــــــذاريكم

ويقصد بالحبة السمراء القمح . . .!

والغناء والموسيقى لا بأس بهما فى الأعراس ، والمهم اختيار ألفاظ شريفة وأنغام حسنة !

وقد سمعت من يطلب إحياء الأعراس بالقرآن زاعما أن هذه هى السنة !

والقرآن كتاب جادّ ، نزل لتسيير الحياة ، ولم ينزل لأحفال الموتى والأحياء ، فذاك كله من أعمال الناس ؛ أو مخترعاتهم . .

المسلك الصحيح أن نحتفل بما يسر ، وأن نذكر نعمة الله بالزواج ، وجَمْع الأحبة ، وقد كان الزوج يأخذ بناصية زوجته ، ويدعو الله لها ، ويدعو لنفسه بالبركة ، وفى القرآن الكريم من دعاء عباد الرحمن « رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا »[1] ، والدعاء المأثور عند المباشرة **«اللهم جَنِّبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا»** .

نظرة الإسلام إلى الزواج أنه نعمة مضاعفة تُستقبل بالترحاب والبشر ، وقد عدَّه القرآن الكريم من آلاء الله التى تذكر وتشكر « وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ . . »[2] وهكذا تمتد الحياة من الأجداد إلى الأولاد وإلى الأحفاد . .

واتصال حلقات الحياة على هذا النحو جعل الزواج من آيات الله الكبرى ، نعم ، فعندما يقول : **«ومن آياته خلق السماوات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم»** يقول قبل ذلك : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً »[3] ثم يختم هذه الآيات بقوله : **«ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره . . »**

فإذا كانت للزواج هذه المكانة ؛ فلعل الليلة الأولى فيه تستحق الحفاوة والإعزاز . . وجميلُ كلِّ بدء ينتهى خير انتهاء . . .

---

(١) الفرقان : ٧٤ . (٢) النحل : ٧٢ . (٣) الروم : ٢١ .

الفـنّ

كان الأستاذ العقاد - فى عصره - ينتقد الفنون العربية ويقول : إن الفنّ فى الغرب تمثيل للحقيقة أما لدينا فهو تمثيل للتمثيل ! أى أننا نحاكى ما يصنع الغير دون أن نعرف بواعثه أو أهدافه . .

وقد تذكرت هذه الكلمة وأنا أقرأ ما وقع فى مهرجان «كان» بفرنسا .

إن المتعصبين الصليبيين ساءهم أن يصوِّر الفن بأمانة ما وقع من مخاز وفضائح فى البوسنة فضربوا الفنان الذى سجل المجازر هناك ، والذى أبرز وحشية الصربيين وهم يخمدون أنفاس المسلمين ويذيقونهم ألوان الحتوف .

وقد اضطر وزير الثقافة الفرنسى أن يدافع عن هذا الفنان وأن ينقذه من أيديهم ! مع أن هذا الوزير هو الذى منح سلمان رشدى جائزة باسم الاتحاد الأوروبى ، على إيذائه للإسلام بداهة !!

لقد تساءلت : ماذا يفعل الفنانون العرب ؟ وهل فكروا فى خدمة القضايا الإسلامية ؟

وهل ذهبوا إلى الساحات التى يهان فيها الإسلام لينقلوا للعاملين ما يقع فيها وليجسِّموه فى صور حية حتى يحسّ الناس بما هنالك !

إن الإعلام فى أرجاء الأرض ثقافة وتسلية ، ولكن يظهر أنه عندنا وحدنا تسلية وحسب ، تسلية لا ترتبط دائما بالأدب العالى أو التقاليد المضبوطة . .

إن المسلمين من الناحية العسكرية ضعاف وعند التقسيم السياسى للسكان فى العالم وضع مسلمون كثيرون تحت حكم نحل أخرى وتعرضوا للفتن فى أنفسهم وأموالهم فهل تطوّع فنانون عرب بعرض روايات فى شتى القارات لما يصيب المسلمين ؟

إن اليهود لما عذبوا فى ألمانيا الهتلرية عرض ما نزل بهم مضاعفا آلاف المرات حتى صدق العالم أن ملايين منهم أبيدوا ولا تزال الجوائز حتى هذه السنة تمنح لمن يحسن المبالغة فى تصوير فتك النازى باليهود . .

ما أرخص آلامنا وأحراها بالكتمان والنسيان أما آلام غيرنا فهى التى تذاع وتمثل وترتفع لها الموسيقات الحزينة ثم يطالب لها أخيرا بالقصاص !

لماذا لا يكون الغناء إلا غزلا ؟

هل انحصر الأدب فى الغريزة الجنسية ؟ لماذا يمكن تمثيل كل شىء إلا هزائمنا وانتصاراتنا ؟وإلا قضايا العقيدة ومحاولات الآخرين لمحو الإيمان والعمل الصالح ؟

لماذا تكون الفنون حركات جسدية ولا تكون أمجادا تاريخية وأشواقا روحية ؟

* * *

كلمة فى «فن الأدب»

عندما أدليت بحديث صحافىّ عن موقف الإسلام من الفنون لم اقترب خطوة من أحد ، ولم أبتعد خطوة عن أحد !! كنت فى مكانى الذى لا أتزحزح عنه وهو تعليم الإسلام للجاهلين به والجاحدين له ، والاعتماد فيما أقول على دراسات أئمة الإسلام وشيوخه الكبار . . . مع إحساس فى الوقت نفسه بالمحن التى يتعرض لها المسلمون والهزائم التى أذلّت جانبهم !

ومن حقى أن أعجب لأناس يبحثون عن اللذة وأقوامُهم يُمرَّغون فى التراب أو يتغزلون فى النساء وأعراضهم تُغْزَى بنطف الكلاب كما يفعل الصربيون بفتياتنا .!!

قد تضحك أوروبا وأمريكا طويلا ، لأنهما منذ قرون ينهبون ثروات العالم الثالث كما أسموا بلادنا ! وبنوا مدنهم العظام على أنقاضنا ، وهم فى حال من خفض العيش وجماح الانتصار يغريهم بالمزيد من المجون !

أما نحن ففى أوضاع تملى علينا مسلكا آخر ! مسلكا لا يفكر أبدا فى إحياء أدب أبى نواس أو قلة أدبه !

لعل أدب الرثاء هو أولى الفنون بالإحياء فى أيامنا العجاف ! قد تقول ما معنى أن تطلب منا البكاء ؟ وما جدوى ذلك . .

وأقول : إن بنى اسرائيل آثروا البكاء عند حائط المبكى حتى أقاموا لهم دولة وهم الآن ماضون فى خطتهم حتى يهدموا المسجد الأقصى ويقيموا هيكل سليمان . .

وما أريد البكاء السلبىّ العاجز ، فليس ذلك من خلق آبائنا فى جاهليتهم قبل الإسلام ، فكيف بهم بعد ما شرفوا برسالته ؟ يقول دريد بن الصمة عندما قتل أخوه .

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا ... فقلت أعبد الله ذلك الرَّدى . . ؟
فجئت إليه والرماح تنوشه . . . ... كوقع الصياصى فى النسيج الممدَّدِ . .
فإن يك عبد الله خلَّى مكانه ... فما كان وقَّافا ولا طائش اليد . .

كميش الإزار ، خارج نصف ساقه بعيد عن الآفات طـلاع أنجـد . . .
قليل التشكّى للمصيبات ، حـافظ من اليوم أعقاب الأحاديث فى غد !

انظر معالم هذه الرجولة فى فارس بملابس كشّاف يعلوا الرُّبى بنشاط رياضىٍّ جَلْد ، لا يشكو ولا يتراجع ، ولا يحب أن يذكر فى المجالس بما يشين !!

أىّ فنٍّ هذا ؟!

إنه فن بناء الأبطال ! ولماذا لا يُتغنى به ، وقد كانت الفتيات تغنِّى بما قيل من شعر فى معركة بعاث ؟

إن فنون الأدب فى تراثنا كثيرة فما الذى يجعل أديبا كبيرا «كعبد المعطى حجازى» يأسى على أدب أبى نواس ، ويتألم لأن البعض يريد إهالة التراب على شذوذه ؟

ما الحرص فى هذه الأيام السود على أدب اللذة ، والبحث عن الشهوات ووصف القدر بأنه أحمق الخطا .

* * *

رسالة الفن !!

يظهر أننا فشلنا فى مقاومة الغزو الثقافى على حين نجح آباؤنا فى مقاومة الغزو العسكرى .

إن ثورات التحرير التى يمدها الإيمان والاحتساب قدرت على إجلاء جيوش الاحتلال وردّها على أعقابها .

لكن الاستعمار العالمى رأى أن ثمرات الغزو الثقافى أكثر وأخطر وأنها تحقق له غنائم باردة وتصيب الإسلام فى مقاتله فرأى أن يحرس هذا الغزو ويبسط يده لحماية أصحابه ! وحسبه أنه عطل الشريعة وأفسد الأخلاق والتقاليد وترك الإيمان فى حالة احتضار . .!

نظرت إلى ميدان الفنّ فى ظل هذا الغزو فرأيته يرحب باحتساء الخمر والطرب فى مجالسها فيغنى موسيقار الأجيال لعلى محمود طه مع عشيقة إيطالية قصيدة الجندول ، إن الحبيب نهم إلى شرب الخمر «كلما قلت له خذ قال هات» أما هو فيقول إن عشيقه «ذوّب فى كأس عطره» وعندما ينتشى يقول «قلت والنشوة تسرى فى لسانى هاجت الذكرى فأين الهرمان» ؟ الهرمان بشرّ حال أيها السكران . . .!

وفى قصيدة «كيلو باترا» يقول «ليلنا خمر . .» ويبحث عن حبيبه سائلا «هل رأيتن فتى غضّ الإهاب أسمر البشرة كالخمر فى النور المذاب» ؟

والذين احتفوا بهذا الغناء ، وهتفوا له هم الذين قال فيهم شوقى :

هتفوا لمن شرب الطلا فى تاجهم ... وأصار عرشهمو فراش غرام

ومشى على تاريخهم مستهزئا ... ولو استطاع مشى على الأهرام

وماذا بعد السكر ؟

بقى الغناء للكفر والشك فى وجود الله واعتبار الحياة شرودا ليس له هدف «جئت ولكنى لا أدرى من أين أتيت ، ولقد وجدت قدامى طريقا فمضيت» .

مضى إلى أين ؟ ليس يدرى ! إنه ملحد تائه ، ومغنى هذا السخف تمنحه الدولة لقب لواء ، ولقب دكتور ، ليجىء بعد ذلك كامل الشناوى فيغنى له فنان آخر «قدر أحمق الخطى . . .»

وتمضى رسالة الفن فى الطريق التى رسمها الغزو الثقافى لتجىء جماعة من الممثلين والممثلات تتهجم على العقائد والآداب !

إن للفنّ العالى رسالة أخلاقية عالية يقول فيها أبو تمام .

ولولا خلال سنَّها الشعر ما درى　　　بُغاة العلا من أين تؤتى المكارم ؟

أما السكر والكفر وشتم القدر فأمل إسرائيل لسحق أمة ، وإماتة دين .

* * *

جهل أقبح من جهل

أزعجتنى جراءة الجهال على الإسلام ثم نجاتهم من عقبى التطاول !

كنا ونحن طلاب صغار نعرف أن أبا حنيفة مات سنة ١٥٠هـ ، وأن الشافعى ولد فى هذه السنة فكنا نردّد فى هذه السنة ولد إمام ومات إمام . .

ثم قرأنا لأستاذ جامعى أن الشافعى كان من عمال الدول الأموية التى سقطت سنة١٣٢هـ ! كان من عمالها وهو فى ضمير الغيب !!

وتتسع دائرة الجهل عند الأستاذ المسكين فيقول : إن عثمان بن عفان تعصب للقرآن القرشى ، وأخفى القرآنات المكتوبة بلهجات القبائل الأخرى !

وهذا التفكير فضيحة علمية يستحق عليها صاحبها التعزير ، فلم يعرف التاريخ إلا قرآنا واحدا كان العرب القادمون من اليمن يفهمونه وإن كانوا من جنوب الجزيرة وكان أهل المدينة ومن فوقهم ومن حولهم يفهمونه وإن جاءوا من شمال الجزيرة ، فما هذه اللهجات التى نزلت بها قرآنات أخرى؟

لابد أن الكاتب كان مخمورا حين ساق هذا اللغو . . .!

وجهله الثانى أقبح من جهله الأول لأنه يتصل بأساس الإسلام ومعْجزته الباقية ! والمأساة أن يتصدى الشيوعيون للإسلام يبغون الارتقاء بمهاجمته ، فإذا كشف القدر سوأة أحدهم تنادوا من كل مكان ليناصروا صاحبهم المخذول ، ويمنعوه أن يسقط . .!

إن القرآن هو الكتاب الفذّ الذى تأذّن الله بحفظه ، إنه الوحى المصون الذى حرسته التلاوة والكتابة المتواتران ، وأسلمته للأجيال ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فكيف يتجرأ عليه كويْفر مغرور يتعثر فى بديهيات التاريخ ثم يناطح الجبال الشمّ؟

كناطح صخرة يوما ليوهيها . . . فلم يضرْها وأوهى قرنه الوعل !

كنت أعرف أن هناك حملة أقلام لا إيمان لهم ، لكنى لم أكن أعرف أنهم يكرهون الله ورسوله على هذا النحو ! ثم كشفت الأيام أنهم متآمرون بليل ، فإذا ضبط أحدهم متلبسا بكفره تصايح الباقون يطلبون النجدة لإنقاذ حرية الرأى ، وحرية الرأى هنا هى حرية الخطأ والضلال ، والإسهام مع الصهيونية والصليبية فى ضرب الإسلام !

ولما كان الإسلام الآن يتعرض لهزائم عسكرية وسياسية مخوفة فإن هجوم أولئك الملاحدة يتزامن مع ساعات العسرة أو أوقات الحرج التى تكتنف تاريخنا المهاجَم فى جبهات شتى ؛ فلنتخذ الحيطة ولنضاعف الحذر .

هُــراء

نحن نحارب فى جبهتين ، جبهة الجاحدين للإسلام وجبهة الجاهلين به ، وكلتاهما شرٌ من الأخرى ، إننا نريد عرض الإسلام الصحيح دون زيادة فيه أو نقص منه إن الزيادة تعنى إضافات بشرية من البدع والخرافات ، والنقص يعنى حذف عناصر من حقيقة الوحى قد تعطل الأثر المنشود منه ، وتسلِّط الهوى على الهدى !

أيًّاما كان الأمر فلن نتزحزح قيد أنملة عن هذا الموقف !

والتدين الفاسد لن يصلحه إلا التدين الصحيح وعلاج الإفراط والتفريط أن تعود إلى حدّ الاعتدال وللجاحدين أحيانا مسالك مزرية ، فقد يتطاولون على الهداة ويسلقونهم بألسنة حداد .

كان أبو نواس شريب خمر فلما نصحه أحد العلماء بتركها كان من إجابته .

فقل لمن يدعى فى العلم معرفة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء !

وأبو نواس فى جهالته لم يذكر أن الله أباح الخمر ، أو أن القرآن لم يَرِدْ به تحريم لها كما زعم أحد القانونيين المحدثين الذين يصحّ فيهم قول القائل :

وكنت امرءا من جند إبليس مالرتقت بى الحال حتى صار إبليس من جندى

ولعل الأعجب من هذا كلّه أن يُستدعى هؤلاء لعلاج الإرهاب والانحراف ! رأيت فى التلفاز صورا للرقص المفرد والمزدوج ، وهى صور يلعنها أهل العفة والاستقامة ، ولكن الممثلين والممثلات المشاركين فى تلك المهرجات الحيوانية جُنِّدوا فى حملة على الحجاب والحشمة ! على أساس أن المتبرجات صواحب أخلاق ، أما غيرهن من أرباب الجلابيب الطويلة فأهل سوء . .!

هل الإرهاب يحارب بالممثلين والممثلات ؟

متى كانت زعامة الإصلاح الاجتماعى تنبت فى هذه البيئة ؟

أين المفكرون والمربّون والعلماء ؟

إن الفتنة لا تطفأ بهذا المسلك ، إنها تزداد اشتعالا كما تعلو النار إذا صُبَّ عليها النفط .

إن الجماهير غضبت لدينها عندما تحدَّث هؤلاء الفنانون فى الدين وهم بأحكامه جهال ، ولا عجب ففاقد الشىء لا يعطيه .

ومن المضحك أن يستدعى فخامة «الولد سيد الشغال» ليحارب الإرهاب ويناصر رجال الشرطة فى مهمتهم الصعبة ...

إذا كانت ثقافة بعض المتدينين مغشوشة ، فالذى يصححها العلماء الراسخون لا الفنانون الهزليون .

ربما استطاع «شارلى شابلن» فى انجلترا أن يدفع الناس إلى الضحك بذكائه وحركاته .

فهل يلغى هذا الممثل دور الأدب والفلسفةوالدين والمؤسسات الكبرى فى حراسة الحق والخير ؟ ودعم رسالة الأمة ؟

* * *

سخرية واستعباد
متى نفيق؟!

عندما وضع الاستعمار الأوروبى يده على البلاد العربية لم يتريث فى توهين العقيدة وتعطيل الشريعة ووضع خطة وئيدة لضرب التراث كله وإحلال النزعة القومية محل الانتماء الدينى على نحو ما قال شاعر بعثى .

لا تسل عن ملّتى أو مذهبى   أنا بعثى اشتراكى عربى !

ذاك هو نصيب الإسلام من الولاء ! فهل وقف بنو إسرائيل من دينهم وتوراتهم وتلمودهم هذا الموقف ؟

كلا كلا لقد غالوا بأنفسهم وأمانيّهم وكلما ازداد العرب استهانة بالإسلام سال لعابهم إلى تحقيق إسرائيل الكبرى وليذهب السكان الأصليون إلى الجحيم .

وقد رسمت التوارة خطة الخلاص من هؤلاء السكان نثبتها هنا منقولة عن بحث علمى نزيه للزعيم السورى فارس الخورى - وهو مسيحى منصف يعتمد على العهد القديم فيما يقول - «إن تعاليم التوراة فى هذا المجال مبنية على القتل العام ومحو سكان البلاد المفتوحة سواء كانوا أسرى حرب أو مستسلمين صلحا - لا فرق بين رجل محارب مسلّح أو شيخ أعزل أو امرأة أو طفل . فالكل يذهبون طعام السيوف قال الرب «تمحو اسمهم مِن تحت السماء ، لا يقف إنسان فى وجهك حتى تفنيهم تدريجا لئلا تكثر عليك وحوش البريّة» !

ذاك فى المدن القريبة من إسرائيل أما المدن البعيدة فهناك نص آخر « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها ، استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك وفتحت أبوابها لك فكل الشعب المولود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف .

وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة ، فهو غنيمتك تغتنمها لنفسك وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريما» ومعنى التحريم القتل العام ، أو حرب الإبادة . .

ويصرح اليهود بأن مصر ملك اليهود كما قرر التلمود ، وأن الأرض التى عاش فيها آباؤهم الأقدمون يجب أن تُسترد كلها . .

ومن حقى أن أسأل أين خطط السلام التى يعرضها اليهود على العرب ؟ وهم إن عصوا كتبهم ومنحوا غيرهم حق الحياة فلكى يكون عبدا مسخرا !

إن مجزرة مسجد الخليل إبراهيم نموذج للفتك المشروع ، وقد سبقت مجازر فى مدن أخرى وسيظل العرب طعام السيف حتى يعلموا أن لهم دينا فرطوا فيه فضاعوا .

* * *

... لا تنقصهم الوقاحة

تابعت وقائع الحفل الذى أقيم فى البيت الأبيض لعقد صلح بين العرب وبنى إسرائيل وسمعت الخطب التى ألقيت ..

كان «رابين» كبير اليهود شامخا مع باطله قريبا مع جبروته . ومع أنه واضع سياسة تكسير عظام المجاهدين حتى يموتوا داخل جلودهم ، فقد اعتذر عن ذلك بأن أيام الحرب غير أيام السلام ! وقد تلا نصوصا من التوراة عبَّر بها عن مراده وعن يهوديته معا ثم رأى أن يصلّى لله ، وأن يقول للحاضرين جميعا إنى داع فأمّنوا ، ودعا وأمن الحضور وهم قيام يصفقون معجبين للسياسى المؤمن الذى سحرهم !!

قلت فى نفسى هذا يوم مشهود من أيام اليهودية ! أما كان لنا كتاب نتلو من آياته كما فعل اليهود مع توراتهم ؟ أما كانت لنا ضراعة نتقدم بها إلى الله طالبين نحن الآخرين أن يؤمّن الحضور عليها ؟

إن النازى فى ألمانيا عذب اليهود فلماذا يدفع العرب ثمن هذا التعذيب ، إن هناك أربعة ملايين طريد عربى فلماذا يبقون هائمين على وجوههم ويُستجلب اليهود من المشارق والمغارب ليحتلوا دورهم ، مَنْ لأولئك المسْتضعَفين من الرجال والنساء والولدان ؟

أما يدعو أحد لهم ؟

أما يستثار الضمير الغربى ليخجل من أحوالهم ؟

يبدو أنه لا يليق بمسئول سياسى أن يتلو شيئا من القرآن ! ويبدو أن دعاء الله هو عمل أئمة المساجد وليس عمل رجال السياسة العرب !

ورجعت بى الذاكرة إلى عام ١٩٧٣ فى أوائل معركة العبور وكان نصرنا فيها مؤزرا وخذلان اليهود فاضحا عجيبا ، وأخذ المؤمنون يتحدثون عن آيات الله ، وخوارق العادات ، وإذا كبير العلمانيين فى مصر يقول مستنكرا : لا تردّوا إلى الغيوب ما فعلت الشعوب !

إن السماء لم تفعل شيئا ! ولم يبطئ العقاب الإلهى فكان ما كان . . ولكن المنطق العلمانى الكفور سكن فى أدمغة بعض الساسة فهم لا يذكرون الله فى القضايا التى يعالجونها ، ولا يستشيرون كتابه ولا سنة نبيه فى المواقف التى تفرض عليهم ولذلك تجىء مبتورة مشئومة .

إن قضية فلسطين خاصة قضية دينية واليهود يعالنون بهذا معالنة مكشوفة ، فما معنى إبعاد الإسلام عنها ؟

ولو كان للشيوعية أو العلمانية منطق فى شىء مًّا لما كان لها منطق فى القدس أو غزة ! !

لكن العلمانيين العرب لا تنقصهم الوقاحة ، هم لا يعرفون صلاة ولا دعاء ، فهل يعرفون إدارة أو سياسة أو تثميرا أو تعميرا ؟ إنهم لا يعرفون إلا ما لقنهم الاستعمار من لغو . **«فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا»**[1] .

---

(١) مريم : ٥٩ .

إشمئزاز

يرفض الإسلام الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، يكره وقوعها ويكره السكوت عليها إذا وقعت .

وأول مظاهر الخلل فى المجتمع أن يرى الناس الآثام فلا يكترثوا بها ولا ينهوا عنها ! ذلك أن بذرة العصيان حيث تقع فى البيئة السيئة تكتنفها نفايات وفضلات تنميها وتضاعف شرورها ولذلك يقول الله تعالى «**لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون**»[1] .

جرت هذه الخواطر فى نفسى وأنا أتابع الحوار الدائر بين الأمريكيين : هل يجوز قبول الشواذ فى الجيش أو لا يجوز ؟

إن القوم منقسمون انقساما كبيرا لأن الرئيس الجديد وعد الشواذ - فى حملته الانتخابية - أن يقبلهم فى الجيش !!

أما الجمهوريون والمحافظون فهم ضائقون بهم كارهون لانتظامهم فى السلك العسكرى . .

فالحق أنى شعرت بغضب حيث تصورت ضابطا شابا شاذا تؤدَّى له التحية العسكرية ، ويعامل بالتجلّة والاحترام ويبدو أن الأمور فى طريقها إلى هذا المصير !

إن مجتمعات الغرب تجنى ما غرست ، والخط المنحرف يزداد طولا على مر الزمان !

لقد بدأت الكنيسة الإنجيلية فى لندن فأباحت الشذوذ ويسَّرت لأعضاء مجلس العموم واللوردات أن يصدروا التشريعات بإباحته ، أكانوا بهذا المسلك سائرين على منهج العهد القديم ؟ أو الجديد ؟

كلا ، إنهم خالفوا دينهم ، وبدلا من محاربة الرذيلة تساهلوا معها وأقروها ، ولم يبالوا بالنتائج التى ستترتب على هذا الانحطاط . .

(١) المائدة : ٦٣ .

فما وقع فى لندن انتقل وانتشر فى أمريكا . .

ونحن نرقب الأمور بقلق ، فإن الاستعمار الثقافى اشتدت وطأته وتبجح أتباعه ، ويوجد بيننا الآن من يقلد الغربيين فى مباذلهم أكثر مما يقلدهم فى مزاياهم ويضاف إلى ذلك أن القوانين التى تحكم أقطارا شتى فى العالم العربى تستمد موادَّها وفلسفتها من انجلترا وفرنسا وغيرهما ، ومع أن الدستور المصرى يقرر فى مطلعه أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى لكل القوانين ، فإن هناك بقايا تعالج ببطء ، ويحاول العلمانيون اعتراض العودة إلى الإسلام ووضع العوائق أمام تنفيذ الشريعة !

إننى أتمنى ألا يدخل الشواذ فى الجيش الأمريكى حتى لا يقول رجل مخدوش الشرف عندنا لنا أسوة !

إن المعصية استترت أو تبجحت قاذورة يجب البعد عنها وتحصين المجتمع منها وتأليب المشاعر ضدها .

* * *

الشرعية الدولية

هل كلمة الشرعية الدولية صادقة الدلالة نزيهة الغرض يهشّ لها المظلوم ويقلق منها الجائر ؟ يبدو أن الأمر ليس كذلك ! لقد شعرت بذلك مرارا ، ولكن ربا شعورى أو زاد ضيقى عندما سمعت أمين الأمم المتحدة يقول للإسرائيليين : أعيدوا هؤلاء العرب الذين طردتموهم إلى فلسطين ، ولو إلى سجن أو معتقل . .!!

قلت : لماذا لم يقل الرجل المسئول أعيدوهم إلى أرضهم وأهليهم ؟

هل الحرية محرمّة عليهم . وهم لم يقترفوا ذنبا ؟

هل تُخلى منهم دورهم لنستقدم بدلهم مستوطنين من بولندا أو من روسيا ؟ هل هذه هى الشرعية الدولية ؟

أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس ؟

لكن دولة إسرائيل - كما يعرف أهل الأرض - مولود غير شرعى وضعته هيئة الأمم من عشرات السنين ، وفّرت له ضمانات البقاء ، ووفرت لغيره ضمانات الفناء وذلك كله فى إطار الشرعية الدولية !!

ويظهر أن كرش هذه الشرعية يقبل الكثير فقد رأت السكوت على هلاك مئات وألوف من مسلمى البلقان ، وعلى فعل المناكر بنسائهم وعلى التطويح بمستقبل الأطفال والشيوخ هناك ، لأنه لا يجوز أن تقوم فى أوروبا دولة إسلامية !

أما فى القرن الإفريقى فقد رأت الشرعية الدولية أن تدرك أطفاله الجياع وأن ترسل الجيوش من دول شتى ، وأن تساعد الهيئات الإنسانية على أداء رسالتها النبيلة . . وودت لو صدقَتْ هذه الأغراض ! إننى أخاف أن يكون الاستحواذ على شرق القارة تأمينا لمستقبل الحملات التبشيرية الناشطة فى إفريقية السوداء عامة . .

إننى أستبعد الإخلاص والشرف على من قضى عمره صاحب هوى وغرض .! والفرصة لم تفت هيئة الأمم لتتوب من مسلكها الجائر ضد العروبة والإسلام ، تستطيع تحت لواء الشرعية الدولية أن تغيث المستضعفين فى قطاع غزة وفى الضفة الغربية للأردن ، فقد رضوا بالدون من العيش وقبلوا أن يعيشوا فى نصف أرضهم ، ولكن اليهود يأبون ، ويبدو أن ضمير الشرعية الدولية لا يزال يحابى الدولة اللقيطة ويسارع فى هواها على حساب العرب أجمعين !

نظرة للرياضة

انتـهت دورة «برشلونة» الرياضـيـة ، وشـرع مندوبو ١٧٣ دولة يعـودون إلى بلادهم فكيف عاد العرب من هذه الدورة المشهودة ؟ كانوا أقل الناس نجاحا وأبخسهم حظا إلا أفراد قلائل نالوا الأوسمة فلم يخفف ذلك من عبء المصاب !

قلت فى نفسى : حتى فى ميدان الرياضة البدنية نتخلف ويتقدم غيرنا ؟

يبدو أن للنَّفَس الواهن طبيعة تسرى فى كل مجال ، وتجرّ الهزائم هنا وهناك !

وتذكـرت أن عشاق الرياضة عندنا يذهبون لحضور المباريات قبل الموعد بساعات طوال لا تؤدّى خلالها صلاة العصر وربما كانت المباريات فى رمضان فلا يصوم إلا النزر اليسير ، كأن الرياضة ضد التدين !

إن الألعاب الرياضـيـة مران جـمـيل على تقوية الأجـسام وتحمل المتاعب وإصابة الأهداف ومنافسة الآخرين وتقوية العزائم ، وقد اختلفت أنواعـها فى هذا العـصر ، وكانت قديما لا تعدو الجرى والرمى والملاكمة والسباحة . . . وكان الاشتراك فيها حفاظا على الجسد حتى يبقى قديرا على الكفاح حمّالا لتكاليف الجهاد . ويذكر الرواة أن النبىّ عليه الصلاة والسلام مرَّ بفريقين يتباريان فسرّه منظرهم - **وكانوا ينتضلون بالسهام - فقال : ارموا بنى اسماعيل فإن أباكم كان راميا ، ارموا وأنا مع بنى الأدرع ! فأمسك القوم وقالوا : من كنت معه فأنَّى يُغلَب ؟**

فقال ارموا وأنا معكم كلكم ! فرموا عامة يومهم فلم يسبق أحدهم الآخر أى انتهت المباراة بالتعادل . .

ولا شك أن عددا كبيرا من الألعاب الشائعة مقبول وجميل الأثر وهو يدل على مبلغ ما أودع الله فى الأبدان من قدرة وسحر ومرونة واكتمال ، وقد كنت أرجو أن نلفت أنظار العالم ببطولات فذّة فى آفاق شتى ، لكن خيبتنا كانت ثقيلة ، مع كثرة ما ننفق فى هذه المجالات . . ويبدو أننا فى حاجة ماسّة إلى مراجعة سياستنا التربوية وسياستنا الرياضية على سواء .

ولفت نظرى فى مباريات «برشلونة» منظر تفردت به حضارتنا الحديثة وكان من أسوأ مباذلها ، منظر السباحة الراقصة على نغمات الموسيقى وتقلّب الأجساد العارية على سطح الماء ، والعيون المحملقة تجتاحها ظهرا لبطن !!

لماذا هذا السخف ؟ وما جدواه؟

إننا نستطيع أن ننقل آداب ديننا إلى الساحات المائجة بالشباب ، ولكن متى يسمع الناس منا ويصغون إلينا ؟ يوم نكون طلائع ظافرة فى الملاكمة والمصارعة وحمل الأثقال وقطع المسافات الطويلة والقصيرة ! والوثب على الخيل وتخطِّى العوائق ورمى الأقراص . . . إلخ .

إن الناس تستمع إلى المهرة وترى إشارتهم تقليداً يتَّبع أما أن نذهب إلى المحافل الدولية فيرانا الناس قاصرين أو مقصرين فإن نظرتهم تقتحمنا بغير مبالاة ، إن خدمة الإسلام تحتاج إلى أساليب ذكية مادية وروحية فهل نرتفع إلى هذا المستوى ؟

إنه لا يحتاج إلى تفجير الذرة ! يحتاج لأن نكون بشرا عاديين .

* * *

إســراف طـائش

فى إحصاء محزن قرأت أن الجماهير العربية أنفقت ٦٤ ألف مليون دولار على الخمور والمخدرات فى العام الماضى ، وأنا أعلم أن ثمن المعاصى فادح ولكنى ما تصورت أن يبلغ هذا الحدّ !

إن هذا المبلغ الضخم يحرر دولا استرقّتْها الديون وأذلت جانبها ، وينفق على يتامى العالم الإسلامى أجمع وينقذهم من غوائل التنصير ، بل إنه يسد ثغورا مادية وأدبية فى كياننا نحار كيف نحمى المسلمين من بلائها . .!

والخمور والمخدرات محظورة شرعا ومع ذلك يتهافت عليها الآثمون والضائعون ، ويعرضون حاضرهم ومستقبلهم للبوار .

ويمكن أن تضم التدخين إلى الخمور والمخدرات فتتضاعف مغارمنا فى ميادين العبث ، ونحقق أرباحا هائلة لشركات التبغ العملاقة على حساب ما يصيب عافيتنا من انحطاط . . .

وقد كثر المال فى أيدى المسلمين أخيرا بيد أن أساليبهم فى الإنفاق - حتى فى وجوه الحلال - تحتاج إلى مراجعة !

نظرت إلى جمهور العمال الذاهب إلى الخليج يلتمس الغنى ، فوجدت فى تصرفه ما يرضى وما يسخط ، لا بأس على من استفاد مالا أن يبنى لنفسه بيتا إن لم يكن له بيت أو كان له بيت من اللبن الهشّ ، ولا بأس أن يقتنى من الأثاث ما تحتاج إليه أسرته !

أما الإسراف الطائش فهو لونٌ من السفه والعصيان ، إننا نحن العرب دعمنا المصانع التى تنتج الكماليات ، وأعطيناها قوة مضاعفة . لأن شهوة الاقتناء عندنا لا يرد تطلعها شىء . .

ودخل لون من التكاثر المزعج إلى مطالب البيوت فأمسى العامل لا يستريح إلا إذا كان عنده آخر ما أنتجت مصانع الغرب من أدوات الترف ! !

كان التنافس قديما فى الكرم والتقوى وصار الآن يجرى فى ميادين أخرى . ولست هنا أتتبع ما يجوز وما لايجوز ، وتكفى القاعدة الدينية التى وضعها القرآن لعباد الرحمان « وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا »[1] .

والقاعدة التى وضعتها السنة المطهرة **«كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة»** .

إنه من المحزن أن يتحول السرف إلى عادة لازمة عند الفقراء ، فكيف بالأغنياء ؟ وأن تكون الخيلاء أو طلب إعجاب الآخرين خلقا عاما فى السلوك العام ، ولا ريب أن تكاليف هذه المعيشة ثقيلة ، وقد رأيت أنها قبضت الأيدى عن الإنفاق فى وجوه الخير ، وقعدت بالسواد الأعظم عن تلبية مطالب الإسلام ! .

إن الإسلام رسالة تضبط كل شىء ، والمسلمون فى هذا العصر يواجهون أعداء لايرضيهم إلا اغتيال الدين وطمس آثاره ، والمال سلاح خطير ، والذين يبعثرونه فيما يجدى ومالا يجدى يهددون مستقبلنا . . ويؤسفنى القول بأن اليهود والنصارى أحرص على المال وأدقّ فى إنفاقه منا ، إن الشهوات الجامحة لا تقود إلى خير أبدا .

* * *

---

(١) الفرقان : ٦٧ .

أموال الأغنياء

أغلب علمائنا يرون أن الغنىّ الشاكر أفضل عند الله من الفقير الصابر لأحاديث صحاح أفادت ذلك ! ولكن المحققين يرون أن تعميم الحكم فى ذلك خطأ ، وأنه عند التأمل لا يوجد غنىّ خال من المتاعب التى تستوجب الصبر كما لا يوجد فقير مجرد من النعماء التى توجب الشكر ، وللنيات التى يعرفها الله وحده دخل فى مصاير الفريقين ودرجاتهما .

وقد روى أثر أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حَبْوًا لكثرة أمواله ، وهو أثر شاذ لا يجرح واحدا من العشرة المبشرين بالجنة . . !

فى كل دين نُسَّاكٌ يعيشون عيشة خشنة وفى كل دين موسرون يبذلون أموالهم بذل السماح ، ويجاهدون بها فى سبيل الله ، وكلا الفريقين يؤدى واجبه فى نطاق الآية الكريمة « لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ مَا آتَاهَا »[1] أن تقوم دولة على الفقر العام ، ولا أن يحيا مجتمع بأسره على الاستدانة ، وكما يستعين الفرد بالمال على صون مروءته وتربية أولاده تستعين الدول بالمال على أداء رسالتها ، وإعلاء رايتها ، وبناء الجيوش والمصانع ، ورد الطامعين والمعتدين . . .

أكان السابقون الأولون يستطيعون رَدْع الرومان فى تبوك إلا بأموال الأغنياء ؟ لقد جاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، وكان سواد الجيش بعد ذلك من أهل الفداء وإن قلّ مالهم . .! والأمة الإسلامية اليوم تنتشر على مساحات فيحاء فى آسيا وإفريقية ، ويوجد فيها الموسر والمعسر ! وليس فى دين الله ولا دنيا الناس أن تكون بين الفريقين جفوة فأين إذن أخوة الإسلام ؟ وأين إذن مشاعر الجسد الواحد ؟ الذى إن تألم بعضه تألم كله . .؟ فى القرن الإفريقى عامة وفى الحبشة خاصة تتابع الأزمات على السكان ، وينتشر الجفاف والضنك .

---

(١) الطلاق : ٧ .

وتوجد الآن ثمان وأربعون هيئة للإغاثة تعمل فى الحقيقة للتبشير وتقيم الملاجىء للفقراء واليتامى والأرامل ، وما يجرؤ أحد على إنكار وجودهم ولا اعتراض صنيعهم! فهو جهد إنسانى مقدور مهما كانت بواعثه والسؤال الذى يرِدُ بحق : أين أغنياء المسلمين ؟ وأين ماقدَّموا لاستنقاذ إخوانهم من هذه الأزمات السود ؟

إن المال سلاح خطير ، وقد ملكه الشيوعيون فى بعض الميادين فحولوا به المؤمنين إلى ملاحدة ! ثم رسموا سياسة ماكره لجعل المحتاجين إليهم يساندون مبادئهم ! ومسلمو روسيا - وهم ثلث السكان - لا يقدرون على الفكاك من مخالب الدب الكبير لأن حركة المال والإنتاج ليست بأيديهم !

بين يدىّ تقرير عن أحوال مسلمى الحبشة ، وهم ٦٥٪ من السكان - مع استبعاد ارتريا - رأيت فيه كيف أكل الفقر جمهورنا البائس وخفض رأسه أيام الامبراطور المتعصب «هيلا سلاسى» الذى أصر على نظام إقطاعى كالح كان المسلمون فيه يزرعون القمح ويأكلون الطين . . ثم هلك الامبراطور الحقود ، وحل بعده نظام شيوعى كان أَحْنى على الكثرة المسحوقة من حكم الكهنة ، ولكنه نظام يستبعد الأديان كلها!

ومسلمو شرق أفريقية على الإجمال يفترسهم الفقر ، وتسترِقّهم الإعانات الأجنبية ، والمطلوب من أغنياء المسلمين فى كل مكان أن يسارعوا إلى نجدة إخوانهم واستبقاء إيمانهم . . .

إن أصحاب الثروات الكبيرة الذين يبحثون عن اللذة ويطيرون إليها حيث كانت يقترفون جرائم هائلة ، وسوف يعاقبون مرتين : أولاهما على سفه الإنفاق ، والأخرى على إضاعة إخوانهم الفقراء ، وتركهم يواجهون فتنا كقطع الليل المظلم لا يستطيعون منها النجاة ، ولنتدبر هذه الدعوة التى يرسلها مسلم بائس : اللهم لا تجعل لفاجر نعمة علىّ فيميل إليه قلبى . . ! !

إن المال الإسلامى يجب أن يكون أسبق إلى فقراء المسلمين . . . ! !

* * *

القيمة الإنسانية

يعرف المشتغلون بالثقافة الإسلامية أن شرائع الحدود والقصاص فروع من أصل قائم وركن جامع وأنها إذا انقطعت عن أصلها الذى انبعثت عنه أو ركنها الذى نهضت عليه أشبهت أطراف الجسم إذا انفصلت منه لسبب أو لآخر ، إنها لا تساوى شيئا ، ولو أن دولة فى شرق أوروبا أو غربها تبنت العقوبات الإسلامية - لأمرما - ما اعتنقت بذلك الإسلام ما دامت باقية على عقيدتها أو فلسفتها !! .

إن ارتباط الشريعة بالعقيدة لا يمكن فكّه ولا التهوين منه ، ولذلك فإن إدارة أى حوار حول التشريعات الفرعية يكون ضرباً من اللغو إذا لم نجب بحسم على الأسئلة الآتية : هل الألوهية حق ؟

هل لله وحى ملزم ؟

هل الإنسان حرّ فى تجاوز مراد الله ؟

إن الذى يجهل أين جاء ؟ ولماذا خلق ؟ لا معنى للحديث معه فى صلاة أو صيام . . .

ومع ذلك فسأترك الحديث عن الإيمان وما يرتبط به من أنظمة خلقية خطرة وتقاليد اجتماعية بعيدة الأثر وسأشارك فى أى حوار يقترح حول القيمة الإنسانية لأى تشريع فرعى أو أى حكم فقهى ، يكون معلوماً من الإسلام بالضرورة ، بيد أن من حق الباحث المسلم أن يتساءل :

هل هذا الحوار حرّ حقا ؟

هل سيكون ختاماً لسياسة العصا الغليظة التى استخدمت عشرات السنين ، وأصابت الفكر الإسلامى بعاهات مستديمة ؟

إننى مستعد للنسيان وبدء صفحة جديدة أساسها الإقناع الحرّ ، إننى أومن بالحرية إلى أبعد مدى ، وعندما أعجز فى ظلها عن بلوغ هدفى أعلن انسحابى من الحياة العامة .

إن الإيمان ليس فقيرا فى أدلته وحقائقه حتى يخاف الحوار ! لكنى أوجِّه سؤالا له ما بعده .

هل الديمقراطية أن يحكم الشعب نفسه بنفسه إلا أن يكون مسلما فإنه يجب أن يحكمه غيره بقوانينه وتعاليمه المستوردة ؟ !

وسؤال آخر يخرج من المنبع نفسه : هل القلة تنزل عن رأيها وتتبع الكثرة فى جميع البلاد الحرة إلا أن يحدث ذلك فى الأقطار العربية والإسلامية فإن للقلة أن تفرض نفسها بالقهر الإعلامى ، والسلطات المفروضة ، ثم تبلغ الجراءة حدها الأقصى فيقال : إن ذلك تم باسم الشعب ؟ !

مرحبا بالحوار فى ظل الصدق ، والنزاهة ، وكرامة الأفراد والجماعات .

* * *

الأخلاق والعبادات

تساءل الأستاذ الكبير الدكتور «محمود محمد سفر» : هل حقا تسبق الأخلاق العبادات فى الإسلام كما يفهم من كلامى ؟ وطالبنى بمزيد من الشرح والتوضيح لهذه المقولة . .

وأجيب بأن اللبس قديزول إذا ظهر أنى قسمت الأخلاق قسمين ، أخلاقا ربانية جوهرها علاقة المرء بربه كما تحددت فى كتاب الله وسنة رسوله وأخلاقا إنسانية عامة يعرفها طلاب الكمال من جميع الأجناس والملل .

فأما الأولى فهى خشية الله والرجاء فيه ومحبته والتوكل عليه ، والاستمداد منه والتوبة إليه ، وقد شرحت ذلك كله فى كتابى «الجانب العاطفىّ من الإسلام» .

وأما الثانية فهى الفضائل الضابطة للسلوك البشرى من صدق وأمانة ورفق وحياء وشرف ووفاء . . .إلخ .

والإسلام يقيم صروح هذه الأخلاق جميعا ، وينظر إلى المتجرِّد من هذه وتلك على أنه امرؤ لا خير فيه ، فإذا فقد الإخلاص مثلا وكان عمله للرياء والسمعة فإن عباداته تطيش ويمسى حطبا لجهنم ويكون أول من تُسعَّر بهم النار ، ما نفعه علم ولاعطاء ولا جهاد . .!

وإذا فقد الصدق مثلا – وهو من الأخلاق العامة – تدرج به الكذب من درك إلى درك «**ولايزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذابا**» . .

أحسبنى مصيبا إذا قلت : إن العبادات إذا فقدت الأخلاق رفضت ، فالمصلى الذى يقرأ بلا وعى ، ويقوم بلا خشوع والمجاهد الذى قاتل الروس بشجاعة ، فلما هزمهم قاتل إخوانه الذين يحولون بينه وبين الرياسة ، هؤلاء جميعا يفقدون الأخلاق الربانية ، فلا خير فيهم . .

والمتعاملون فى الأسواق الذين لا تربطهم كلمة ، ولا وفاء لهم بوعد ولا عهد ولاعقد ، هم كما عبرت السنة منافقون !

إن الله سبحانه بشر بجنته الخاشعين فى صلاتهم « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ »[1] ووعد الصادقين - ووعده الحق - بالنعيم الخالد « هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ »[2] أى أنه نظر إلى الأخلاق المقارنة للعبادات ثم تقبلها ، على أن النتيجة قد تتحول هى الأخرى إلى سبب ، فالذى واظب على صلواته استجابة لأمر الله ستجعله صلاته بعيدا عن الفحشاء والمنكر ، أى ستجعله صلاته يكتسب أخلاقا أرقى وهكذا . .

والمسلمون اليوم مصابون فى أخلاقهم على الإجمال ، مما جعلهم متخلفين فى كل سباق إنسانى يقوم على ظهر الأرض !!

والخطب سهل فى هذه التقسيمات الفنية ، فنحن متفقون على أن الدين يشمل الأخلاق والعبادات معا ، ولن يضرنا تقديم أحد المتعاطفين على الآخر ، تستطيع أن تقول الماء يتكون من «أوكسجين» و «أيدروجين» ، أو من «أيدروجين» و «أوكسجين» !! ويمكن التساهل فى العبارات لكن لا يمكن أن نقبل فى ديننا إنسانا تنظر فى قلبه فلا تراه يخاف الله أبدا ، أو تنظر فى عمله فترى مسالك الكفار أفضل منه ، وعلى من يغار على دينه أن يعلن حربا على هذه الأوضاع حتى يغيرّ الله ما بنا .

وأخيرا فللدكتور سفر أطيب تحية وأعمق المحبة .

* * *

---

(١) المؤمنون : ١ ، ٢ .

(٢) المائدة : ١١٩ .

في القناعة .. غنى

فكرت ملياً في مصائب الأسرة المالكة في انجلترا ، والمعاناة التي جعلت الملكة تقول : إن العام الأخير كان من أسوأ ما مرّ بها طول حياتها ، إن احتراق قصرها العتيق وما حوى من آثار أهون في نظري من تقطّع العلاقات بين أولادها وأزواجهم وانتشار الوحشة في بيوتهم جميعا ، هل أغنى المال الكثير ؟

هل أجدى الجاه العريض ؟ لم يحقق السعادة شيء من هذا كله !!

أعرف رجلا فقيرا يعيش مع زوجته في غرفة واحدة كان يخرج من بيته إلى عمله بادي الراحة مستريح البال !

قلت له : كيف أمسيْت البارحة وكيف أصبحت اليوم ؟

قال : أويت إلى الفراش مجهودا من كدح النهار فقرأت الدعاء المأثور «**باسمك ربي وضعتُ جنبي ، وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمْها . وإن أرسلْتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**» فضمنت بهذا الدعاء الدنيا إن بَقيتُ والآخرة إن تُوفيتُ ، ثم أغمضت عيني إلى الفجر ، فلما استيقظت قلت «**الحمد لله الذي ردّ إليّ روحي ، وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره**» وهأنذا استفتح يومي بالذهاب إلى عملي على بركة الله . .

إن الإيمان نجح في تحقيق السعادة ، كما لم ينجح الثراء والملك !

لست من دعاة الفقر ، فإن نبينا - عليه الصلاة والسلام استعاذ منه ، وإنما أنوّه بالغنى الروحي ، وقيمة الصلة الحسنة بالله . .!

وأذكر أن علماءنا بحثوا قضية طريفة : هل الأفضل عند الله الفقير الصابر أم الغنيّ الشاكر ، ومع أن الكثرة اتجهت إلى تفضيل الأخير إلا أن للمحققين رأيا آخر ، فقد قالوا : ليس يخلو بشر من نعمة تستحق الشكر ، ومحنة تتطلب الصبر ، ولو فتّش كل امرئ في حياته لوجد فيها ما يثير الرضا ، وما يثير الألم ، وعليه أن يجمع بين

الفضيلتين ليكون ممن قال الله فيهم « إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ »[1] يشكر على العطاء ويصبر على الحرمان ولا أنكر أن هناك من تتصل متاعبهم فى هذه الحياة ، وأن هناك من تترادف نعماؤهم !! بيد أن الآخرة تجيء لتصحيح هذا كله .

وفى الحديث أنه يجاء بذى نعمة جحود ، فيغمس فى النار لحظة ثم يقال له : هل رأيت خيرا قط ؟ فيقول : لا . . لقد أنساه هول لحظة ما ذاق فى دنياه من لذات . . .

وطبيعة عصرنا الإعراض عن هذه الآثار أو الضحك منها لأنه عصر الإيمان باليوم الحاضر لا باليوم الآخر . .

إن الجرى المسعور وراء اللذة طبيعة الناس فى دنيانا هذه ، فهل فرضنا إرادتنا على القدر ؟

أم أنزلنا القدر على حكمه ؟

هذه الأسرة المالكة فى انجلترا تبحث عن السعادة والستر بعدما نشرت الصحف صورة عارية لفتاة منها !! ما أحرانا بشكر الله على أن جنبنا هذه الآلام ، هل صدقت أن الفقر حشمة ؟ إنه حشمة لهؤلاء الماجنات . . . .

* * *

---

(١) سبأ : ١٩ .

حوار مع كاره للإسلام

قال : أنا أكره الإسلام السياسى وأضيق بأتباعه وأرى أن وراء صياحهم مآرب أخرى!

قلت : إن اصطلاح «الإسلام السياسى» جديد على أسماعنا ! فهل تعنى أنك تتبع الإسلام فى ميادين الأخلاق والعبادات والتقاليد وجملة الشرائع «الداخلية» التى يقوم عليها ؟وتكره توجيهات الإسلام فى المجالات العالمية والتوجيهات السياسية الأخرى ؟

قال مراوغا : ربما . . .

قلت : فما أعلمه من حياتك أنك ما رُئيتَ قطّ مصليا ولا دخلت يوما مسجدا . .!

قال : لقد صلّى هؤلاء السياسيون ثم قتلوا السائحين ، فلتسقط هذه الصلاة ! !

قلت : صل معنا وحافظ على حياة أولئك السائحين ولا تترك الصلوات ! أأنت مؤمن بالله حقا ؟

قال : إنهم آمنوا به وكفروا بالشعوب وأكلوا حقوقها أما نحن فآزرنا الشعوب ووقفنا إلى جانبها فليسقط هذا الإيمان !

قلت : دعك من الكذب إننا أول من حارب المظالم الاجتماعية ، ونادى بحق الشعوب فى الحياة الكريمة العزيزة ، وقد صدرت لنا عدة كتب من نصف قرن تجعل الدين ظهرا للمغبونين وتتلوا الآية الكريمة « وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ »[1] فأين كنتم ؟ كنتم تشيعون الإلحاد وتحسبون العدالة الاجتماعية تجىء من موسكو وحدها وتظنون أن أى فلسفة أرضية تغنى عن وحى الله ، كنتم تضيعون الصلاة وتبغون الشهوات ، وما زلتم على سيرتكم !

إن كراهية الإسلام السياسى غطاء جديد لكراهية الإسلام كله ، والعمل الماكر لمحوه من التعليم والتربية والمجتمع والدولة ، ونحن فى مصر بذلنا جهودا متتابعة لجعل

---

(١) القصص : ٥ .

الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للقانون كله ، وقد جعلنا ذلك فى صلب الدستور ، وعلمنا أن ما فسد فى سنين لا يصلح فى أيام معدودات فتربصنا مع الزمن لتسود الشريعة كل شىء فلا يبقى قانون مضاد لهدايات الله وتعاليم المرسلين . . ولكنكم جثمتم فى مخابئكم كارهين لله ورُسُله ، تزعمون أن لا إله والحياة مادة وتحاربون كل حركة إسلامية بخبث وضغينة ! تحت عنوان محاربة الإسلام السياسى!

نحن نعرف أن هناك إسلاميين ينقصهم الفقة ، وتشينهم مسالك حمقاء ، ونحن نحارب فهْم هؤلاء المعوج ، ونضيق بهم أكثر مما تضيقون ، فلماذا تخلطون بين الإسلام وبين من أساءوا إليه . .؟ وتستغلون الفرصة لضرب الإسلام فى صميمه تحت عنوان كراهية الإسلام السياسى ؟ إن كنتم مسلمين حقا فاحملوا الراية ونحن نصلى وراءكم ، ولعنة الله على أصحاب النيّات المغشوشة !

إننى أكره الكفر بالله ، وأكره من يُبغّضون الله إلى عباده ، وأكره من يصدّون عن سبيله وأعلن أن الشيوعية الجديدة لن يكون لها بيننا مكان .

* * *

الفنانات التائبات

يقول الله لنبيه « فاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ »[1] فمكانة النبوة الاستجابة لأمر الله ، أما ما عدا الرسول فهو يقلع عن ذنبه ويعود إلى ربه ويستقيم على دربه ، نحن البشر جميعا خطاءون وخير الخطائين التوابون !

ومن أشهر التوبات توبة «أبى نواس» الذى غام شبابه بسوء كثير ، ثم استيقظ فجأة واصطلح مع ربه وقال :

وما المرء إلا هالك وابن هالك   وذو نسب فى الهالكين عريق . . .

إذا عرف الدنيا لبيب تكشفت   له عن عدو فى ثياب صديق . . .

ومن أشهر التوبات كذلك توبة «رابعة العدوية» التى صحت من غفلتها وناجت ربها بقول الشاعر

فليتك تحلو والحياة مريرة   وليتك تصفو والأنام غضاب

وليت الذى بينى وبينك عامر   وبينى وبين العالمين خراب !!

وقد استقبل الناس هذا المتاب بتقدير واحترام ، ولم يحاول أحد خدشه أو الريبة فيه ولذلك استغربت الحملة على الفنانات التائبات ومحاولة التهوين من شأنها والتشكيك فى أسبابها ، والعدوان على أصحابها !! لم ذلك ؟

وبلغ السخف حدّ اتهامهم بأنهم تابوا لأسباب مادية ، ثم زعموا أن فلانة عرضت عليها مبالغ طائلة لتتوب فأبت . . .!! وأن فلانة عرض عليها مائة وخمسون ألف جنيه شهريا لترتدى الحجاب فرفضت بشمم . . !

والقصد من وراء هذا كله اتهام الفنانات المحجبات بأنهن ما تحجبن وتركن حياتهن الأولى إلا جريا وراء المال ! وهذا كله لون من الإسفاف ما كان يَنبغى أن يقع . .

---

(1) هود : ١١٢ .

ولفت نظرى أن سيدة تجاوزت الستين من عمرها وهى تزحف نحو السبعين قالت إنها رفضت الحجاب . والمال المعروض معه !

من هذا العارض ؟ لا أحسب هذا الكلام إلا من خرف الشيخوخة ، ولا أحسب الغرض منه إلا تجريح الأشراف التائبات . .

وأحبّ أن تعلم هذه السيدة أن الشارع لم يلزمها بالحجاب الذى يلزم به الشوابّ قال تعالى «**والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة** . . .»[1] فقد تُتْرَكُ المرأة العجوز كاشفة شعرها ، أومتخفِّفة من بعض ثيابها ، أما الشابة فأولى بها التصوّن والاحتشام !

أطلب من أصحاب الأقلام الجريئة وقف الحملة على الفنانات المحجبات التائبات فذاك أشرف لهم ، أما اللاتى مسّهن رشاش هذا النزق فمعذرة ولهن الله .

* * *

(١) النور : ٦٠ .

دائرة الغش!

لا يجوز أن تمرّ بنا المصائب دون استفادة واعتبار ، والزلزال الذى ضرب مصر أخيرا تكشف عن أخطاء اقترفها أصحابها وضمائرهم غافية لا صاحية أو قل ميتة لاحية . . .!! فإن عددا من المدارس الحديثة انهار على عجل ودفن تحت أنقاضه أبناء لنا أعزة كانوا يتلقّون العلم فى سكينة وأمل . .

لماذا تهدّمت هذه المدارس بينما صَمَدَتْ أخرى قديمة وتحملت الهزات الأرضية ؟ ظاهر أن الغش فى طريقة البناء وموادّه من وراء هذا البلاء ، وأن أطماعا خسيسة طغت على أصحابها ففعلوا ما فعلوا دون حذر أو بصر !!

وفى الحديث الشريف «**ليس منا من غشّ**» وفى رواية أخرى «**من غشنا فليس منا ، والمكر والخديعة والخيانة فى النار**» نعم فهذه الرذائل من وراء نكبات نفسية واجتماعية هائلة ، ونحن نفهم الغش فى أدنى صوره ، نحسبه وضع الثمار الأحلى فوق الثمار الأدنى ، أو بيع المعطوب تحت السليم !

وهذا لا ريب غش ولكنه دون الغش فى الامتحانات مثلا فإن العبث فى الاختبارات ينشئ أخطارا كبيرة على مستقبل البلاد وحاضرها ، لأنه إجازة بالطب لمن لا يحسن العلاج وبالدراسة لمن قلّت معارفه ، وبالهندسة لمن يعجز عن وضع الأمور فى مواضعها ، وهيهات أن تقوم أمة بهذا العوج !

ومن الغش المقبوح إعطاء تصريح ببناء عمارة شامخة مع أن المرافق الموجودة بالحى لا تتحملها ، فلا أنابيب المياه تكفى ولا أنابيب الصرف الصحى تتسع ومعنى ذلك أن تنفجر هذه الأنابيب وتشيع الفوضى والأقذاء هنا وهناك . . .

إن التعامل الشريف الصريح أساس المجتمع المؤمن ، ويروى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « **المؤمنون بعضهم لبعض نَصَحَة وادّون – أى متوادّون – وإن بعدت منازلهم وأبدانهم ، والفجرة بعضهم لبعض غَشَشَة مُتَخاوِنُونَ – أى غاشون خونة وإن اقتربت منازلهم وأبدانهم** » .

ولننظر إلى هذه الحكاية المروية عن أحد الصحابة وقد بيعت من بيته ناقة . قال المشترى : فلما خرجت بها أدركنى الصحابى فى الطريق وهو مسرع ، قائلا اشتريت؟ قلت نعم ! قال أبين لك ما فيها ! قلت وما فيها ، إنها لسمينة ظاهرة الصحة ؟ قال الصحابى : أردت بها سفرا ، أو أردت بها لحما ؟ قال أردت أن أحج عليها قال الصحابى : فارتجعها ، يعنى أنها لا تصلح لما تريد بها من سفر . قال المشترى أنا راضٍ بها فقال الصحابى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**لا يحل لأحد بيع شيئا إلا بيَّن ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بيّنه**» .

إن الأمم تقوم على الصدق والمصارحة وإحسان العمل وإخلاص النية ، أما ما يتم فى الظلام فهو بغيض إلى الله مشئوم المستقبل

السِّتــر دون الفاحشــات وما يلقــاك دون الخيــر من ستــر !

وما يرتكب فى الخفاء من غش لا يلبث طويلا حتى يفتضح وإن ربك لبالمرصاد .

* * *

إكبار

نظرت إلى الشجرة الباسقة عن بعد ، والريح تعصف من حولها ؛ وكنت أفكر فى عظمة الله البادية فى الأنفس والآفاق ، فرأيت غصنا مورقا فى ذوائبها ، تعلو به الريح فينتصب قائما ، ثم تتركه فيهوى ساجدا ، خُيِّل إلىّ أنه يصلىٍّ !

ليكن من أمره ما يكون ، إن الشجرة كلها ؛ وظلالها من تحتها تندرج فى قوله تعالى : « أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ » ؟(١)

إن الذى عنانى ليس هذه الشجرة ، إن الذى استوقفنى هو الريح المتحركة حولى وحولها ، ما هى ؟ تيار من الهواء يندفع بقوة أو لِين هنا وهناك ! فما هذا الهواء ؟ وما علاقتى به ؟

يقولون : إن الغلاف الهوائى يحيط بأرضنا عشرات الأميال ثم ينتهى ويتلاشى ، إنه خلق لنتنفّس فيه ، وحياتنا تتصل من الشهيق والزفير المتواصلين يمدان أجسامنا بما يحدد الدماء وينشط الأعضاء . .

على أننا لسنا وحدنا الذين نعيش به ، هناك أمم من الدوابّ والطيور والحشرات تشاركنا العيش على ظهر الأرض ، والتنفس فى هذا الهواء وسمعت أمس درسا فى عالم الحيوان يقول : إن الطيور تصطاف فى أوروبا ، وتشتوفى إفريقية ، وإنها فى رحلتها ذاهبة آيبة قد تعتمد على الطيران الانسيابى وتيار الهواء من تحتها ، فتضم أجنحتها وتنطلق . كما يقع أحيانا للسباحين الذين يتخذون بين الأمواج وضعا معينا ، ثم يتركون التيّارات البحرية تتقاذفهم !

قلت لنفسى : أين يذهب الهواء الخارج من صدرى ؟ كم صدرا يدخله بعدى ؟ وبعد تردُّده فى عشرات أو مئات الصدور أين يستقر ؟ إن الرياح تسافر به مسافات شاسعة !

رُبّ نَفَس أُرسله غير مكترث به يتجه غربا مع تيارات الريح فيتجاوز الصحراء الكبرى إلى المحيط الأطلسى ؛ وأنا فى وادى النيل ، أو يتجه شرقا إلى جزيرة العرب

(١) النحل : ٤٨ .

ثم أعماق الهندى والهادى ، إننا نسمع فى النشرات الجوية حديثا موصولا عن تحركات الرياح فى كل اتجاه . . .

وسألت نفسى مرة أخرى : هل أنا أهيم فى أودية الخيال ؟ مع جمهور الشعراء ؟ وكان الجواب : أننى مرتبط بحقائق الأشياء لا أعدوها ، وتذكرت أن القرآن الكريم أقسم بالرياح ووظائفها فى غير موضع « وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ . . »[1] والجمل الأخيرة تشير إلى أن الهواء هو الوسيط الذى يحمل الأصوات ، وأنه عندما ينقل الوحى إلى الناس فهو عذير أو نذير !!

ما أعجب هذا الهواء الذى يهب عنيفا فيدمّر أو خفيفا فيلطّف .

وقد نبه القرآن مرّة أخرى إلى وظائف هذا الهواء « وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ . . »[2] إن الذرّات التى تبعثرها الريح لا حصر لها ، وهناك السحب التى تحملها فنراها مختلفة الشكل حافلة بالخير ، أو ملّوحة به لتبعث الأمل . . « اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ »[3] كم فى الهواء من آيات تدعو إلى التأمل .

وعدت إلى نفسى أتأمل فى الأنفاس الداخلة والخارجة : من يحصيها ؟ ومن يتابعها ؟ والأحياء على الأرض جماهير لا تحصى ! وكان الجواب وما شأنك أنت وهذا ؟ يحصيها ويتابعها من قال عن نفسه « كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ »[4] يشرف عليها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم .

إن ذلك كله يتم وفق نظام مقدور وكتاب مسطور ، ولذلك قال العلماء : . . . شئون يُبديها ولا يبتديها ، إن لُبابها عنده ، وظواهرها لدينا ، وعلينا التدبر والاعتبار ؛ والتمجيد والإكبار .

---

(١) المرسلات : ١ - ٧ .
(٢) الذاريات : ١ - ٦ .
(٣) الروم : ٤٨ .
(٤) الرحمن : ٢٩ .

استنزاف القوى

كان اليهود ومَنْ وراءهم يرون أن تكون قوة إسرائيل معادلة لقوى العرب أجمعين ، أى قوى عشرين دولة أخرى !! وذلك لضمان بقائها على تغير الأحداث . . ولكن هذا التفوق الساحق أخذ طابعا أقسى عندما تقرر أن تكون إسرائيل وحدها هى المالكة للقنبلة الذرية فى المنطقة كلها !!

إن ذلك لا يعنى التقدم اليهودى فقط ، بل فرض صَغار أبدىٌّ على العرب ؛ يجعل أرضهم ورسالتهم ومستقبلهم تحت أقدام الصهيونية العالمية ، ويجعل إسرائيل الكبرى قضاء مبرما لا فرار منه . . .

يقول «موشى دايان» أمام الغرفة التجارية الإسرائيلية الأمريكية : على إسرائيل أن تؤمِّن نفسها بامتلاك السلاح النووى ، وأن تنتج وحدها صواريخ أرض - أرض بعيدة المدى ، إننا نملك الآن القدرة على تفجير الذرة ، وذاك لابد منه لدولة صغيرة (!) ولنعلم أن الولايات المتحدة ليست شرطىّ العالم الذى يُستنجد به ، فلنعتمد على أنفسنا وحدها .

وقال - أيضا - : على إسرائيل امتلاك الخيار الذرى حتى يعرف العرب أننا نستطيع تدميرهم إذا نشأ وضع أحسسنا معه أن دولتنا معرضة للخطر ، وفى لقاء لشارون مع الشيخ الأمريكى «جون جلين» والسفير الأمريكى «صموئيل لويس» سنة ١٩٨٢ قال «شارون» : إذا أقيم مفاعل نووى جديد فى العراق فسوف نهاجمه وندمره ، ولن نسمح بوجود سلاح ذرى لدى جيراننا العرب ، ولن ننتظر هذه المرة حتى يصبح المفاعل النووى العربى فى وضعه الساخن .

ثم قال : لقد رسمت إسرائيل خطا أحمر للأسلحة التى تسمح للعرب بحيازتها ! هذا أمننا ، ولن نسمح لأى بلد عربى أن يعكره بامتلاك القنبلة الذرية . .!!

إن اليهود - انبعاثا من عقيدة توارتية راسخة - ماضون فى إقامة إسرائيل الكبرى بالسلاح الذى يفنى العرب كلهم إذا اقتضى الأمر ، ولست متجافيا عن الحق إذا قلت : إننى وسائر المسلمين نؤثر الموت المجهز على ترك إسرائيل تفعل ذلك ، ونحن نرفض هذا المصير ، وليكن ما يكون . .

لقد نجح العراق فى بناء مفاعل نووى من عشر سنين ، ثم استطاعت إسرائيل تحطيمه فى غارة جوية ضحك العالم بعد وقوعها ، ولم يصنع شيئا !

وكان بين العراق وبين صنع قنبلة جديدة عام ونصف كما يقول المحققون ، ولكن حرب الخليج أجهزت على هذا السلاح قبل اكتماله !!

ولست آسى على شىء كما آسى لما يصنع العرب بأنفسهم ، إنهم ينتحرون قبل أن يشتبك العدو معهم ! من قال من أهل الأرض : إن اليمن هى الطريق إلى القدس حتى يُرسل الجيش المصرى إليها ليفقد خيرة قواته ؟ فإذا وقعت حرب سنة ١٩٦٧ انهزمنا فى ست ساعات ، وضاعفنا مساحة إسرائيل ثلاث مرات !!

إن مؤتمر السلام الحالى هو معالجة يائسة لآثار هذه الهزيمة المخزية !

ومن قال : إن الكويت هى الطريق إلى القدس حتى يُستدرج الجيش العراقى إلى غزوها والفناء فيها ، ثم ترْكِ تقدُّمه الذرى نهبا فى أيدى الحلفاء !!

إننى أتحدث وقلبى ينفطر وعلى لسانى قول الشاعر القديم :

كفى حزنا ألاّ أزال أرى القنا ... تمجّ نجيعا من ذراعى ومن عضدى

وإنى وإن عاديتهم .. وجفوتهم ... لتألم مما عضّ أكبادَهم كبدى !!

إن العرب يستطيعون أن يفعلوا الكثير ، وأن يمحوا الغرور اليهودىّ ، وأن يؤمِّنوا المسجد الأقصى ، وأن يغيثوا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ؛ الذين أكلهم الذل داخل سجون إسرائيل ، إنهم يستطيعون ذلك يوم يغيرون خططهم القديمة ، ويفتحون صدورهم لمبادئ الإسلام وتوجيهاته ، ويستهدون بالله فى حربهم وسلامهم . .

ماذا يصنع العرب الآن ؟ يقولون لليهود نترك لكم ما أخذتم سنة ١٩٤٨ ، وتردون لنا ما أخذتم سنة ١٩٦٧ ، ويجيب اليهود لا ، لن نترك من «أرضنا» شيئا !!

إن تفاوضنا يدور مع اليهود على هذا المحور إن دل على شىء فعلى أن العرب منهزمون نفسيا ، وأنهم يجهلون طبيعة المعركة القائمة ، وأنهم لا ينبعثون عن صلة بالله الذى اصطفاهم لرسالته ، واختار لهم الإسلام دينا .

مؤتمر السكان

ينعقد فى القاهرة مؤتمر عالمانى ضخم يزيد المشتركون فيه على عشرين ألف شخص جاء أغلبهم من أوروبا وأمريكا كى يبحثوا فى قضايا السكان والتنمية .

والمؤتمر من أنشطة الأمم المتحدة . وقد قرأت مذكرة تزيد على ٢٠٠ صفحة أعدتها الأمانة العامة للمؤتمر عن برنامج عمله . ومع أن الكلام فى المذكرة عن الناس كلهم - أنا وأنت وهو- فإنه لم يعرج على الدين من قريب أو بعيد ، ما ذكر اسم الله أو الوحى أو الحلال والحرام أو الضمير وحساب الآخرة ، كأن الله بعد أن خلق البشر نفض يديه من شئونهم فلا أمر ولا نهى ولا وعد ولا وعيد ، وهذا التجاهل للتوجيه الإلهى لا يتناول الإسلام وحده ، بل الأديان السماوية والأرضية كلها ! وعلينا نحن المسلمين عندما نشارك فى هذا المؤتمر أن ننسى تراثنا الثقافى كله وأن نتبع الخط العقلىّ لبعض الناس الذين يستوحون غرائزهم ويحتكمون إلى أهوائهم ولايحترمون قال الله . وقال الرسول .

لقد كان الفقيه المسلم قادرا على إصلاح عوج كثير فى الحياة العامة لكن ماذا أصنع إذا جاء دعىٌّ فى العلاقات الإنسانية ثم شرع يصوغ مقترحاته الإصلاحية فى هذه العبارات ص٢٧ : «إن من الأساسىّ تحسين الاتصال بين الرجل والمرأة فيما يتعلق بقضايا الجنس والحياة الجنسية والصحة التناسلية وتحسين فهم كل منهما للمسئوليات المشتركة بينهما» وقبل ذلك يقول : «يلزم بذل جهود خاصة فى مجال التعليم والإعلام للتشجيع على معاملة البنات والأولاد على قدم المساواة فيا يتعلق بالتغذية والرعاية الصحية وحقوق الميراث . . » ! !

ما هذا الخلط ؟ ولمن يقال هذا الكلام ؟

إن الإسلام شرع حقوق الزوجين والأولاد فى عبارات أشرف وأذكى وأعدل . ولكن عشرين ألف شخص يجيئون إلى القاهرة لنستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ! وليرشدوا الذكور والإناث إلى أيسر وسائل منع الحمل !

ما معنى هذا القول الوارد فى ص٤٣ «ينبغى أن تكون برامج الرعاية الصحية والتناسلية والجنسية مصممة لتلبية احتياجات المرأة والفتاة المراهقة» !

هل هذا هو الإصلاح الاجتماعى ؟ فما يكون الإفساد ؟

وتمضى الدراسة الواعية فتقول : إن الأساليب الطوعية والمناسبة لمنع الحمل لدى الذكور ، فضلا عن الوقاية من الأمراض المنقولة بالاتصال الجنسى والإيدز ينبغى ترويجها وتيسير منالها» .

ظاهر أن من أهم أغراض المؤتمر تيسير الخنا ، وتخفيف عواقبه ونشر الأغشية الواقية من الأمراض القتالة المرتبطة بالصلات الجنسية المنحرفة !

وفى ص٥٣ يقول : ينبغى توفير برامج للوقاية والعلاج من الاعتداء الجنسى وسفاح المحارم» ثم يقول «والمراهقون الناشطون جنسيا يحتاجون إلى نوع خاص من المعلومات والمشورة والخدمات» ! ! !

أبدل تعليم الدين والعفة والصلاة تجمع مؤتمرات لمدارسة هذا العهر ؟ أخشى أن يكون هذا المؤتمر العلمانى زلزالا يهدم ما بقى لنا من بيوت وأخلاق .

* * *

مبادئنا

هناك صياح عالى النبرات حول السلوك الجنسى لسكان العالم ، وأنا باسم الإسلام وقد أكون باسم الأديان السماوية جميعا أقدم هذه المبادئ قواعد لمؤتمر أرشد يعالج مسار هذا السلوك المضطرب :

(١) الإنسان مالك جسده ومن حقه أن يفعل به ما يشاء كما يقول أكثر العلمانيين ، ولكننا نذكّر بأن الله صاحب الحق الأول فى هذا الجسد ، فهو خالقه وولىّ أمره ، ومصدر التشريع الذى ينفعه ويرفعه ويطهره ، ولا نقبل مماراة بتّةً فى هذا الحق .

(٢) فراش الزوجية وحده هو الملتقى المقبول بين الرجل والمرأة ، وما عداه إثم ، والعلاقة الجنسية دعامة بيت شريف وتربية فاضلة لما يمنحه الله من أولاد ، والزواج ببواعث العفة ورعاية النشء عبادة من أزكى العبادات فيجب تيسيره وإزاحة كل عائق أمامه . .

(٣) البغاء واللواط والسحاق وسائر المباذل الشهوانيةمناكر مرفوضة ، وتشريعها محاربة لله ، وظلم للفطرة وتهديم للمجتمع . .

(٤) يجوز لظروف خاصة المباعدة بين أوقات الحمل ، وتترك لتقدير الزوجين .

(٥) الأصل فى الإجهاض أنه جريمة ، ولا يلجأ إليه الطبيب إلا صونا لحياة الأم .

(٦) خالق هذه الأرض أودع بها ما يقوت ساكنيها على أساس أن تتعاون القوى على استثارة الأرض واستخراج خيراتها ، وهذه الأرض تستطيع إطعام أضعاف سكانها المعاصرين على شرط أن يتوقف الإثم والعدوان ويتعاون البشر على البرّ والتقوى .

(٧) عندما نجح الشيطان فى إيقاد الحروب تهدمت المدن والقرى وجمّدت مئات المليارات فى أسلحة الدمار الشامل ، وكان يمكن اختفاء الجوع لو كرست هذه الجهود لإطعام الجياع .

(٨) مؤتمر السكان الذى انعقد فى القاهرة لم يجئ فى دراساته حرف واحد لاستنكار الشذوذ ، ومحاربة القوانين التى تنظمه ، بل بدا من دراساته الطويلة المملة أنه يقرّ الحرية الجنسية فى حدود منع الضرر !

فإذا أمن طاعون الإيدز وأشباهه فلا حدود لهذه الحرية الدنسة !! كما أن رغبته ظاهرة فى تقليل سكان العالم الثالث وضمان مستوى عال من المعيشة للعالم الأول ، الذى يحكم الأرض الآن . . .

(٩) إن المؤتمر المذكور لم يرفع عينه إلى السماء يوما ، أتراه لا يعرف رب السماء ؟ لكننا المسلمين نؤمن برب الأرض والسماء ، ونحترم وحيه الذى توارثه نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، فإذا خان غيرنا دينه فسنظل نحن نقول لربنا «**سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**»[١]

* * *

(١) البقرة : ٢٨٥ .

أفكار متخابث

قال «فهَامة» فى علم الأحياء لصاحبه : لقد تبيَّن لى أن نسبة الزيادة فى سكان الأرض تزيد على نسبة الموارد الطبيعية اللازمة لتغذية البشر ، وأن كارثة رهيبة توشك أن تقع بالناس فلا يجدون ما يأكلون ! !

قال له صاحبه : عاود البحث لعل نظرتك موضعية لا تنتج مبدأ عاما أو مؤقتة لا تنتج قانونا خالداً . .

قال : أنا متأكد خصوصا فى العالم الثالث الذى يتكاثر بجنون وبين المسلمين الذين تتفاحش زيادتهم ! يجب وقف هذا كله لمصلحة العالم أجمع !

قال له صاحبه : كيف ؟

قال كما توقفت الزيادة فى دول أوروبا ولولا الجوائز والمكافآت لنقصت أعدادها إنه عن طريق الشهوات المطاعة يسهل الصعب ، يكتفى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، وتتاح الخلوات الحرّة ، والرقص المزدوج ، والتخلص من الحمل الكريه ، وإشاعة البغاء فيكتفى عدة رجال بامرأة ، وقد فتحت أوروبا وأمريكا الطريق وقرر اللواط والسحاق بقانون .

وسارت مواكب الشواذ فى أمريكا تطلب الالتحاق بالجيش حتى نالت وعدا من رئيس الولايات المتحدة ، إن النقص فى المواليد سيكون حتما بعد استقرار هذه التقاليد .! وعندما ننجح فى نشرها بالعالم الإسلامى سيتراجع المدّ السكانى فيه ، بل قد ينقص عدده !

قال السامع : لكن هؤلاء الناس متمسكون بدينهم ولن يقبلوا هذا الانحلال المعروض عليهم !

قال : عندما تعرض عليهم انحلالا لا تلومن إلا نفسك ، عليك بالعبارات اللطيفة

والجمل الخادعة ، خذ مثلا هذه الكلمات : الكبت الجنسى يصنع العقد النفسية . المساواة مطلقة بين الذكورة والأنوثة . الحبّ حق طبيعى للجنسين . ليس للآباء التدخل فى أسرار الفتى أو الفتاة . الضوابط الطبيعية للعلاقات التناسلية . التجمل حق للرجل والمرأة . المباعدة بين الولادات مطلوبة . .إلخ إن العبارات الرجراجة المطاطة تحفظك من الحرج . . وعندما ينعقد مؤتمر السكان فى القاهرة فستكون المصطلحات المطاطة خير طريق لدحرجة العقائد والضحك على الذقون ! . .

إننا نحن المؤمنين بالوحى الإلهى نكره الختل والمراوغة فى أمهات الفضائل وفى تقاليد الأسرة وأول ما نطلبه من المؤتمر أن يقرر تحريم الزنى ، واللواط والسحاق ، والخلوة ، والرقص مفردا أو مزدوجا ، والعرى المختلط فى البر والبحر وجعل الملابس ستارا لوصف الأعضاء وتحديدها . . . . إلخ .

إن الملابس النسائية فى تقاليدنا الإسلامية والشرقية كالملابس النسائية عند الراهبات المسيحيات ، والخنا مرفوض فى أديان السماء كلها وسنقاوم باسم الله كل حركة ضد هذه المقررات .

* * *

منطق مغالط

إذا رأيت جثة مجرم تتدلى من حبل المشنقة ؛ فلا يتطرق إلى قلبك عطف عليه أو ألم له ، وتذكر كيف فتك بضحاياه دون رحمة ، وتخيل أولئك المساكين وهم يتلقون ضرباته ويخرون صرعى تحت قدميه !

إن القصاص حق ، وما يضيق به ذو عقل ، ولولا القصاص لاسودّت الآفاق من فعال المجرمين واستهتارهم بسفك الدم وظلم الضعيف .

ولقد قرأت قصة فى صحيفة كبيرة تصف مصرع قاتل وصفا يفيض بالأسى ، ويملأ النفوس شفقة على المسكين !!

وعمل الخيال الجامح فيها عمله ، فإذا أنت أمام مأساة ينبغى أن يتحرك لمنعها مجلس الأمن . . ! !

إنه من الممكن بهذا الفن المؤنّث المولول تحسين القبيح وتقبيح الحسن .

لقد قرأت أن زوجة خائنة تآمرت مع عشيقها على قتل الزوج المسترسل بدسٍّ السم له ، فهل جزاء أولئك إلا القتل ؟

ما معنى أن يجىء صاحب قلم تائه فيذرف الدمع على الزوجة التى اشترى جسدها أحد القادرين ، فكانت تسلم نفسها له ، وقلبها بعيد ! حتى تاحت الفرصة فالتقت بقُرّة العين ، وكان من جيشان العاطفة وألم الحرمان ما أدى إلى موت الزوج بطريقة أو بأخرى . . ! !

أليس هذا الكلام تزيينا للجريمة واعتذارا عن بواعثها ؛ وفتوى بإباحة القتل ؛ وتسويغا لكل ما يهجس فى الأنفس من شرور ؟

إن الفنان الذى كتب فى الصحيفة الكبيرة وصفا لساحة القصاص فى مكة المكرمة ، وأطلق العنان لخياله كى يثير الأحزان على الشاب النحيل الذى قُتل عدلا ، وحشد من الصور الكئيبة ما يثير العطف على الضحية ؛ هذا الفنان كان يكذب فى كل حرف خطَّه ، وكان يفتعل حكايات مبتورة لا صلة لها بالواقع أبدا !

وأول أكاذيبه أنه رأى يد لص معلقة منذ مدة طويلة ، وأفواج الذباب تغطيها وتطنُّ حولها ، وهذا الكلام لا أصل له ، ولا مصدر له إلا نفس الكاتب الكذوب ، وهو فى حقيقته تنديد بشرائع الحدود ، ودفع إلى تعطيلها . .

وأشهد ما رأيت أمتنا أحوج إلى شرائع الحدود والقصاص منها فى هذا العصر الكالح ، فقد تبجح المجرمون ، وفدحت المغارم ، وشاع القلق ؛ فلا أمان فى بيت ولا فى طريق ، وليس أنجح من العلاج السماوى فى حسم هذه البلايا . .

إن كاتب هذه القصة زعم تمشيا مع خياله المريض أن السياف الذى ينفذ القصاص رجل لديه عشة دجاج يتأنق فى صفها وذبحها وتعليقها ؛ لأنه متعطش إلى سفك الدماء !!

أى دماء أيها الأحمق ؟ وهل عشماوى عندنا فى مصر لديه هواية خنق القطط والكلاب حتى ينفس عن رغبته بشنق المجرمين . . ؟

ومن قال : إن المحكوم بقتله يحضر والده ليرى مصرع ابنه ؟

الذى نعرفه أن ولىّ الدم يحضر القصاص ، وله الحق أن يعفو ، فيقف التنفيذ للفور . . . .

ويوجد من السّراة والمحسنين من يعرض عليه الدية أو أكثر حتى ينزل عن حقه ، فإذا أبى إلا قتل من قتل أباه أو ابنه نفذ الحكم ، وهذا حقه . .!

ومن قال : إن بركة الدم تبقى حتى تتجلط ، وتلوث الرخام الأبيض . . إلى آخر السخف الذى أثبته هذا الكاتب المخبول ؟

ألا فليهنأ المجرمون من قتلة ولصوص بدفاع هذا المحامى المبطل عنهم ، وليخالط الروع والفزع أفئدة الكبار والصغار ، لأن بعض الناس يكره التأديب والعقاب . . ! !

* * *

النفــاق

للمرء المنافق والمجتمع المنافق أركان يعرف بها ، هى - كما جاء فى السنة - الكذب والخيانة والغدر وخسّة العداوة . .

ونسبة النفاق تزيد أو تنقص حسب مقادير هذه الخلائق الرديئة فى سلوك الناس !!

بعض من نعامل لا يعرف للكلمة وزنا ولا حرمة ، إنه يدير فمه فى لسانه وحسب ، لا يصدق فى وصف ولا خبر ، وربما كان كلامه تغطيه للحقيقة لا كشفا لها . .

والرباط بين أولى الألباب هو الكلمة التى تعطى ضمانا للوعود والعهود والعقود ، بيد أن كثيرين يعدون فيُخلفون ؛ ويعقدون فينقضون ، ويعاهدون فيغدرون ، وشيوع هذه المناكر يشيع الفوضى فى أرجاء الحياة ، ولذلك يقول الله تعالى : « وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ »[1] .

والمصيبة الطامّة أن تكره إنسانا فتحاول النيل منه بكل أسلوب وتجتهد وسعك فى إلحاق الأذى به ، وهو ما سماه النبى ﷺ : الفجور فى الخصومة . . .

وقد رأيت الناس الآن تهوى فى خصومتها إلى مكان سحيق ، وتستبيح الدم والمال والعرض ، وتجعل آفاق الحياة سوداء أينما اتجهت . .

والأمة لا تنجو من هذا السواد بعظة عابرة ، ولا بد من نظرة جادة إلى أصول التربية ومكونات الأخلاق فى البيت والشارع ، وأركان البيئة كلها ، وهذا عمل أصيل للجماعات الإسلامية الصادقة ، وتخلفها عنه إيذان بالويل والثبور . .!

وقد لمحت فى جوانب أمتنا أمور أخرى لها دلالتها !

قال لى صديق : كنت فى «هونج كونج» فلمحت بدلة سرتنى لكنها دون قوامى ، فذكرت للبائع ما عندى ، فقال : هاك القماش ، خذ منه القدر المناسب ، يفصله لك الخائط ؛ وبعد ستين دقيقة تتسلم البدلة ! !

---

(١) النحل : ٩٢ .

قال : وفعلت مغامرا ، فإذا أنا بعد ساعة مضبوطة ألبس البدلة الجديدة !

قلت : يتم هذا عندنا في أسبوع أو يزيد !

إن رداءة الأداء خاصة مستغربة بيننا ، وتنشأ عنها خسائر كبيرة ، فكم من حريق مستعر يسببه إهمال عامل في مدّ أسلاك الكهرباء ! وكم من مبنى هدّده سباك لم يحسن توصيل المياه ، فتخللت الجدران ، ورشحت ظاهرا وباطنا ..

إن تغيير النفوس - لتبرأ من هذه العلل - أساس لا بد منه لبناء أمة ذات رسالة كبيرة ، بل أساس لابد منه لبناء مجتمع يستطيع الحياة ، وهذا جهد أول لعمل الجماعات الإسلامية مصداق قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ .. »[1]

إننا بالموازنة المنصفة نشعر بأن حقيقة الإنسان عندنا مشوبة ، ومضطربة ؛ وسائبة إلى حد بعيد ، وإذا كان الفكر مختلا والقلب معتلا فأنّى تجيء النجاة ؟ وكيف يقترب النصر ؟ ؟

قلت لأحد المتحمسين : إنني أشد منك شوقا إلى إقامة حكم إسلامي ، ولكن هل أجنح إلى البطالة والصياح حتى يتحقق النصر ؟

أبواب العمل كثيرة ، فالإسلام دين النفس والمجتمع والدولة وعلينا - إذا فاتنا الحكم - أن نعرق في تزكية النفوس بالأخلاق العالية ، وفي دعم المجتمع بالتقاليد الصالحة ...

إنه لا إسلام إذا لم يكن الفكر واعيا والضمير صاحيا ...

فلتنشط الجهود في هذا الميدان ، وفي نجاحها تحقيق الآمال .

* * *

(١) الرعد : ١١ .

سبحان الله وبحمده

قلت فى نفسى لو أنى على بعد مائة ميل من كوكب الأرض فماذا أرى وماذا أسمع ؟ ؟

هل أرى سحب الأدخنة والأتربة التى لوثت الجو وعكرت صفاءه ؟

هل أسمع عاصفة الضوضاء التى تنبعث من المركبات والمصانع والتى غطّى ضجيجها كل شىء ؟ أعرف أن لهذا الكوكب أجلا مسمىّ فهَل هو يستعجله ويبحث عن حتفه بظلفه ؟

ثم ماذا نحن فى هذا الكون الكبير ؟

قرأت أن علماء الفلك اكتشفوا ما يعتقدون أنه ثقب أسود فى مجرّة نائية أكبر مائة مرة من أى ثقب أسود تم اكتشافه من قبل ! وذكر راديو «صوت أمريكا» أن العلماء يعتقدون أن هذا الثقب الهائل يضمُّ ألف مليون نجم ! وأن تجمّع النجوم والمواد الأخرى فيه يشكل مركزا كثيفا للجاذبية يبلغ من القوة أنه لا يفلت منه شىء حتى الضوء . . . !

قلت : إذا كان هذا ثقبا فى جانب من الكون فما يكون الكون نفسه ؟ يبدو أن ما بين السماوات والأرض أعجبَ منهما . . !

وانفتح أمامى أفق عريض عامر بالدلائل على عظمة الله وعلو شأنه . . « اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ »(١)

قد أرى حولى جماهير من الناس ، وقد أرى محيط الأرض وأنا داخل قمر صناعى ، لكن القصة ليست رؤية إنسان من بين مليارات الأناسىّ .

إن هذا الإنسان وحده كون صغير ! على جلده مائة ألف شجرة أعنى مائة ألف شعرة تنمو وتنقصف ليعود مكانها مثلها ! لعلّ الشعر أهون ما فى الإنسان فلننظر إلى

---

(١) الرعد : ٢ .

ألوف مؤلفة من كرات الدم تسبح فى عروقه ، إنها كرات متجدِّدة ، لها مصانع تنشئها وترسلها حسب الحاجة ، ولننظر إلى شبكة الأعصاب المنتشرة فى الجسم إنها تتلقّى الأوامر ليلا ونهارا من المخّ الذى عجز البشر عن معرفة تلافيفه المعقدة ووظائفها الخطيرة ، من فجر الإنسانية إلى الآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يدبر ربُّنا شئون هذه الأجساد ، وما يعرض لها من بؤسى ونعمى « وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا . . »! ![1]

إن الكون كبير كما كشف العلم ، ولكن الله أكبر كما يجب أن يشعر العلماء .

فى مجتمعاتنا نحن البشر نرى الساسة الكبار مثلا مشغولين بالأمور الكبيرة غافلين عن الصغائر ، ولكن رب العالمين لا يشغله شأن عن شأن فهو يسمع مُوَاء هِرّة معذبة ويدخل مَنْ عذبها النار كما يسمع دعاء جماهير بائسة ، ويجزى الظالمين بما كانوا يعملون إنه يسمع سقوط ورقة من شجرة ويرى تجلُّط الدم فى عرق كما يرى ويسمع قصف الرعد فى السماء ، وأفول نجم فى الفضاء ! «سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته» .

* * *

(١) النجم : ٤٢ : ٤٤ .

ماذا.. بعد قتل الأم؟!

بليت مصر كما بليت أقطار إسلامية أخرى بالأحكام الوضعية التى حلّت محل الشريعة الإسلامية ، فقد رأى الاستعمار العالمى أن هذه الشريعة يجب أن تختفى وأن يكون اختفاؤها بداية للإجهاز على الإسلام كله فى شتى الميادين ، ومن أمد طويل والاستعمار ماض فى التنفيذ ونحن ماضون فى المقاومة ولاندرى ما يتمخض عنه المستقبل !!

وقد قرأت فى «الأخبار» أن ولدا عاقا قتل أمه بالفأس لأنها لم تعطه ما ينفقه فى بعض ملذاته ، وشكت إليه ضيق الحال ، فرفض هذا الاعتذار وما زال يضربها بالفأس حتى أزهق روحها !! ولم تبد عليه بعد ارتكاب جريمته علامة ندم ، واقتيد إلى القضاء فحكم عليه بالسجن المؤبد !

لماذا لم يقتصّ منه ؟ ويقتل كما قتل أمه ؟ لأن القانون الاستعمارى - المنقول عن فرنسا - يشترط للقصاص الترصد وسبق الإصرار ، والولد قتل أمه فى لحظة غضب !!

وقد تمنت المحكمة لو استطاعت الحكم بالموت ، ولكن القانون لا يعينها والقوانين الأوروبية عموما تستند إلى آراء بشرية ووثنيات رومانية أو يونانية وعلاقتها بالسماء مقطوعة أو واهية وقد ضاق أولو الألباب بها ذرعا كما أن آثارها العامة زادت من شيوع الجرائم وإرخاص الدماء وإهانة الإسلام وإضعاف الأخلاق ، وقد تحرك أولو الغيرة لعمل شىء والوضع الآن يتلخص فى مسلمين يريدون إحياء ماماتت من تعاليم الإسلام وكافرين يريدون إماتة ما بقى حيا من هذه التعاليم !

إن النزاع لا تحسمه جولة واحدة ، إنه نزاع ممتد طويل ، أمل أعداء الإسلام أن يتحول موت الشريعة إلى موت للعقيدة والتربية والتقاليد ، وأملنا نحن أن يعمل الدين فى مجاله العتيد فيتناول شئون الحياة كلها ، كما قال الله فى كتابه . « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ »[1] .

---

(١) النحل : ٨٩ .

وأريد لفت النظر إلى أن الهزائم المادية والأدبية التى نزلت بالمسلمين فى الأعصار الأخيرة تجمعت أسبابها من الداخل قبل أن تجىء من الخارج ، وأن الفرعونية الحاكمة والقارونية الكانزة وفقه الفروع التافهة والتقليد الغبىّ ، كل ذلك ألحق بنا هزائم نكراء وأزرى برسالتنا وحضارتنا ، وأن الإسلام إذا أراد أن يعود سيرته الأولى فلابد من شعوب تتأسّى بالصحابة والتابعين فى حدة الذكاء وسلامة الفطرة ونظافة القصد ونشدان الآخرة . .

إن أعداء الإسلام مصممون على إماتته ونحن مصممون على الدفاع عنه والله غالب على أمره .

* * *

ظلومة للنساء

من مآثر الجاهلية الأولى أنها كانت تزدرى المرأة وتصادر حقوقها وتهمل شئونها وتفرض عليها أن تعيش فى زاوية من الإهمال والخمول . ويظهر ذلك بوضوح عند تقسيم المواريث ! فإن الرجال يذهبون بالمال كله ولا يبقى للزوجات والبنات إلا الثكل والأحزان . .!

والغريب أن تقاليد الجاهلية القديمة لا تزال حيّة فى ضمائر البعض ، فهم يضنّون على البنت بأخذ نصيبها لا سيما إذا كانت متزوجة ، ويقولون لها : تذهبين بمال الأسرة إلى الغرباء ! فإذا كانت لما تتزوج خلطوا مالها بأموالهم تمهيدا لأكله بالباطل ! وهذا كله فسوق عن أمر الله ، ورغبة فى ردِّ النساء إلى الجاهلية التى حررهن الإسلام منها . .

ويحكى المفسرون سببا لنزول الآية الكريمة « لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا »[1] .

قالوا : نزلت هذه الآية فى أوْس بن ثابت الأنصارى ، تُوفى وترك امرأة تُسَمَّى «أم كحة» وثلاث بنات وترك ثروة حسنة ، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصيّاه ، يقال لهما سويد وعرفجة فأخذا المال كله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا . . . وذلك حسب تقاليد الجاهلية التى لا تورث النساء ولا الأطفال ، وإنما يذهب بالتركة الرجال الكبار متعلِّلين بأن الإرث لا يستحقه إلا من قاتل وحاز الغنائم وحمى الحَوزَة . . .!

فجاءت امرأة أوس إلى رسول الله ﷺ ، وشكت له ما وقع وقالت : إن زوجها ترك مالا كثيرا وتركنى وثلاث بنات وليس عندى ما أنفقه عليهن ، وقد اجتاح «سويد» و «عرفجة» كل شىء ولم يعطيانى ولا بناتى منه شيئا ، وهنّ فى حجرى لا يُطعمن ولا يُسقين ! !

---

(١) النساء : ٧ .

فدعاهما الرسول ليسائلهما عما فعلا . . فقالا : يا رسول الله إن أولادها لا يركبن فرسا ، ولا يحملن كَلاً ، ولا يكدْن عدوا . . فأنزل الله هذه الآية مبينا أن الإرث ليس مختصا بالرجال ، بل هو أمر مشترك بين الرجال والنساء . .

فلما نزلت الآية مجملة لم تحدد فيها الأنصبة أمر الرسول ﷺ بتجميد التركة حتى ينزل بيان بالتقسيم ، فنزل بعدئذ قوله تعالى : « يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ »[1] . . . إلى آخر آيات المواريث ! فقسم ميراث أوس بن ثابت على هذا النحو وفق تعاليم الشريعة $\frac{٣}{٢٤}$ للزوجة $\frac{١٦}{٢٤}$ للبنات $\frac{٥}{٢٤}$ لأولاد العم ، وهذا هو التقسيم المعتمد عند جمهور المسلمين !

ذلك ، وقد لوحظ أن اليتيمة تكون عند الوصىّ ، فيحب أن يتزوجها لأنها أقل مؤونة ومهرا ، وبذلك يأخذها ويأخذ معها ميراثها فنزل قوله تعالى « وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا »[2] أى ذنبا عظيما . . .

إن المجتمع الذى يهين النساء ، ويقلل من شأنهن ، ويستبيح حقوقهن المادية والأدبية مجتمع أنانى ظلوم بعيد عن تعاليم الإسلام ووصاياه وكذلك المجتمع الذى يجور على المستضْعفين الذين لا شوكة لهم ، ولا يستطيعون دفاعا عن أنفسهم !

إن الله سبحانه أمر بالعدل والرحمة ، ووصى بالإحسان والفضل ، وأقام الأمم على التكافل الكريم ، وعلى أن يتنفس الصغار والكبار فى جو إنسانى رفيع ، وقال للناس بعد ذلك « وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا »[3] .

* * *

(١) النساء : ١١ . (٢) النساء : ٢ . (٣) النساء : ١٢٧ .

مفارقات

هناك معاصٍ مركّبة تلتقى فيها عدة رذائل ، أو تتشابك فيها بضعة آثام !

ماذا تقول فى رجل يأتيك بالعمل ناقصا ، ثم يطلب عليه أجرا زائدا ، فإذا اعترضته اتهمك بالجور وهضم الضعفاء ؟؟

عمال كثيرون يبنون حياتهم على هذه السيرة الرديئة ، تخرج الأعمال من أيديهم مشوهة ، ويطلبون لقاءها الثمن الغالى ، فإذا أخذ أحدهم ما يريد شرع ينفقه فى التدخين ، أو يبعثره فى وجوه الشر !

قلت : رحم الله أياماً كان آباء هؤلاء العمال يزرعون القمح ويأكلون الطين ، ويجيدون ما يكلَّفون به ويطلبون العِوَض باستحياء !

لقد دافعنا عنهم بحرارة ، وطالبنا حقوقهم بقوة ، فلما تقررتْ هذه الحقوق بعد لأى كانوا قد ماتوا وحلّ محلهم كسالى أدعياء لا يحسنون شيئا ويطمعون فى الكثير .

لقد نزلت فى القرآن الكريم سورة عن المطففين « الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ »[١]

وهذا الصنف من الناس موجود فى ميادين شتى ، شيمته أن يدور حول نفسه يصبح فيتصور أن ما فى أيدى الناس ملكه فهو يعمل على استرداده ، وهو كثير الحديث عما يرى أنه له ، قليل الحديث عما يجب عليه ، بل سريع الجحود والنكران!

« أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ »[٢] .

إن الحديث كثر عن الإسلام السياسى وعن ضرورة تطبيق الشريعة فى دروب الحياة كلها ، وهذا مطلب جليل ، ولكن دونه أهوال فهلاّ أكثرنا الحديث عن الإسلام الأخلاقى ، وعلى غرس الفضائل الجليلة بين الكبار والصغار !!

---

(١) المطففين : ٢ ، ٣ .

(٢) المطففين : ٤ ، ٥ ، ٦ .

إن الحضارة الحديثة قامت على صناعات دقيقة قد ترى آلاتها بالجهر وقد تكون آلاتها الضخمة قائمة على علاقات بالغة الدقة ، والنجاح فى تصريف هذه الآلات يتطلب اللطافة واللباقة والأناة والحذر ، ويستحيل أن يُهدَى إليه الهجَّامون على الحياة بغباء ، أو المتقلبون فى شئونها باستهانة ، أو عبيد أطماعهم بعمى ونزق . .!!

لماذا يكون العامل عندنا دون نظيره فى أوروبا ؟

إن اليابانيين يرون الأمريكان كسالى ! والأمريكيون يرون الأوروبيين دونهم ! فما منزلتنا نحن فى دنيا الناس ؟

وكيف ينتصر دين يكون أتباعه من المطفِّفين الذين لهم الويل ؟ أو من الهمل الذين فقدوا بريق العقل ؟ ؟

الميزان القرآن يتحرك بالذرّه ليميل يمنة أو يسرة « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ » ! ! [١]

فهل ينصف هذا الميزان أناساً فوضويين فى النواحى الفنية والخلقية ؟

على المسلمين أن يعرفوا دينهم ويرتفعوا إلى مستواه ، وإلا هلكوا .

* * *

(١) الأنبياء : ٤٧ .

العقل الغائب

للإسلام أركان يعتمد عليها ، وعزائم يقوم بها تشبه الآيات المحكمات التى هى أساس الدين ولبابه ! هذه الأركان والعزائم ليست موضع خلاف ، وإذا كان هناك من تفاوت فى المواقف فهو تفاوت سطحى خفيف الوزن .

ولنضرب مثالا يوضح القصد ، قد يقول الله تعالى « ... أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً »[1] هل الملامسة تعنى اللمس المطلق فكل لمس ينقض الوضوء أم التعبير مجازى ، والمراد لمس معين ؟

إن الفقهاء يختلفون ، وميدان الفقه مجال رحب لوجهات النظر المتعدِّدة ، وأجمع العلماء على أن هذا الخلاف لا حرج فيه ولا ضرر منه ولا يسىء إلى الإسلام ولا يفسد للودّ قضية .

لكن إذا قال رسول الله **«أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من خصال النفاق حتى يدعها ، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان ، وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»** فالمعنى واضح حاسم فإن يكن فى الفقه خلاف فلا خلاف فى الأخلاق . .

وقد لاحظت أن فئات من الناس ظهرت فى هذه الأيام رباطها بالعقيدة غامض ، والأخلاق ضعيف ، وبمصلحة الأمة منقطع ، يتركون عزائم الدين وفضائله ويتبنَّوْن وجهات نظر فقهية معينة يتعصبون لها أشد التعصب ، ويفاصلون الآخرين عليها فمن لم يشاركهم الرأى فليس بمسلم .

هناك قضية السروال والجلباب وقضية النقاب والحجاب وقضية التصوير والغناء وقضية المنبر العالى والمنبر القليل الدرجات . . إلخ .

وقد غام جوّ الصحوة الإسلامية لطول اللغط فى هذه القضايا ، إن الجدال فيها غلب النظر فى مستقبل شعوب إسلامية مهددة ، وأهداف دينية رئيسة ! بل إن أعداء

---

(١) النساء : ٤٣ .

الإسلام فى الداخل والخارج أصابوا الإسلام فى مقاتل بسبب هذا الوضع المزرى والشقاق المفتعل .

فى هذه البيئات وجد المتطرفون الذين يسيئون أكثر مما يحسنون ، ويضعون بمسالكهم العراقيل أمام أولى الألباب . . .

إن أعداء الإسلام فى هذه الأيام يملكون قوى أفتك وتظاهرهم ظروف مسعفة ! ونحن نعانى من متاعب موروثة ومعاصرة إذا شغلنا بها اجتاحنا عدونا !

فلنكن صرحاء فى تعريف الفتيان المتعصبين لبعض الأفكار الفقهية بأن حالة المسلمين العالمية لا تحتمل هذا التحجرُّ ! وأن من الخير تحكيم هذه القاعدة «نتعاون على ما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه» .

إننى أخطّ هذه السطور وقد شرع أعداء الإسلام فى محوه من أوروبا فخرست منائر ومنابر كانت أمس غانية بذكر الله !! على حين شغل بعض رجالنا وفتيتنا بالجدال المُرّ هل تخرج زكاة الفطر نقودا أو حبوبا ، إنه جدال قطع الأرحام فى وقت تزلزل فيه دار الإسلام ! فهل يعود العقل الغائب ؟

* * *

قبل أن يقتلهم القهر

هناك حكومات عربية تكره الجماعات الإسلامية كرها شديدا ، تنكِّل بالمتهم وترتاب فى البرىء ، وهذا مسلك يحتاج إلى تعليق من الناحيتين الإسلامية والحضارية لأنه بعيد عن الإنصاف . . !

أنا أعلم أن فى الإسلاميين من لا يفرق بين ركن ونفل ، وعادة وعبادة ، وشكل وموضوع !

وأعرف أن منهم من يمقت اسمى وفكرى . . . ولكننى أعلم أيضا أن فيهم من آتاه الله رشده وأراه قصده فهو يخدم الإسلام جهده ولا يطلب أجرا إلا عند الله وحده ! وهؤلاء كثيرون ، بل جماهير غفيرة ! !

وأرى أن على الحكومات الغاضبة أن تقلد الحكومات الأوروبية فى موقفها من المتطرفين ، فهى توفر لهم حقوق الإنسان ، وتعتمد فى مخاصمتهم على البرهان وتنأى عن التعذيب والهوان . .

وقد قامت فى أوروبا أحزاب عنصرية متمردة تصارح بطرد العرب والمسلمين ، ودائرة التأييد لها تتسع ، وأثرها يمتد إلى الأحزاب المستولية على السلطة ! ومع ذلك لا تلقى مطاردة ولا اضطهاداً . . .

فلماذا تستمتع هذه الأحزاب بحق الحياة هناك ، ويُستكثر هذا الحق أو يُستنكر على الأحزاب الإسلامية هنا ؟؟

كتب الدكتور «أحمد القديرى» فى صحيفة «الشرق» يقول : صدرت فى فرنسا مجلة «جولياس» المسيحية المعتدلة تحمل فى عدديها ٢٧ ، ٢٨ تحقيقا ضافيا عما سمته المجلة : عودة الصليبيين ، أثبت بالبراهين أن المنظمة المتطرفة المدعوة بالإخاء المسيحى ، والمنظمة الأخرى المدعوة بإخاء القديس بطرس عقدتا حِلْفًا سياسيا مع حزب الجبهة الوطنية اليمينية الذى يترأسه «جون لوبان» المعروف بعدائه الشديد للإسلام ومقاومته للمهاجرين المسلمين - القادمين من الغرب - وأطلق هؤلاء وأولئك على حلفهم «الوطنيون الكاثوليك» وهو نوع من التحزب العرقى المتطرف .

وقد نشر القسّ «لاجيرى» مقالا فى جريدة «لوموند» فى ٩٠/٨/١٧ قال فيه «إن المسلمين كلهم كالنساء يَضعفون إذا قويت معهم ، ويَطغون إذا ضعفت بإزائهم» .

هكذا يتحدث كاتب الإخاء المسيحى !

أما المنظمة الثانية فقد أصدرت مجلة بعنوان «إعادة الغزو» !! وفى آخر عدد من هذه المجلة كتب برنارد أنتونى مقالا جمع فيه - فى سلك واحد - بين الكفر والنازية والشيوعية والإسلام . . .

والأغرب والأنكى ، أن هذه المنظمة المتطرفة تلقت من الرئيس الزائيرى جنرال «موبوتو» مبلغا ماليا كبيرا مشاركة منه فى بناء المعبد البندكيتى الجديد الذى بلغت تكاليفه عشرين مليون دولار ! وهكذا فإن الصليبيين عائدون !!

وقد أسأل : هل يجد مسلم فى سلطان «موبوتو» بصيصا من نور . أو أملا فى حياة؟ إن الدعم الذى يلقاه المتطرفون الدينيّون سواء فى إسرائيل أم فى أوروبا وأمريكا يدعو إلى التأمل العميق ، فكيف الحال فى العالم العربى ؟ إن الحملة عامة على كل موصوم بالتطرف . واتسع نطاق الحملة حتى شمل الدعاة الأبرياء والمعلمين المعتدلين وأمسى من يدعو إلى تحليل الحلال وتحريم الحرام وإقام الصلاة وإحياء شرائع الإسلام أهلا للتهمة . . .!

إن خلط الأوراق على هذا النحو مزلقة إلى محاربة الإسلام نفسه ، وإهمال كتاب الله وسنة رسوله ، والقول بأن الجماعات الإسلامية سواء كلها قول تنقصه الدقه أو قل ينقصه الصدق ، وهو تنفيذ لمخططات استعمارية تريد تدويخ اليقظة الإسلامية والإجهاز عليها . .

ويوم تخلو الساحة من الشباب المسلم الصاحى الغيور فسوف يتحول الغزو الثقافى إلى غزو عسكرى ، وعندئذ نبحث عن أولى النجدة فلا نجدهم فقد قتلهم القهر قبل أن يقتلهم أعداء الإسلام الصرحاء ، من صهاينة وصليبيين . . ! !

* * *

قلوب لا تعى

لكى تكون دعايتنا للإسلام ناجحة يجب أن تتوفر فى الداعية خصلتان : الذكاء والنقاء ، أعنى ذكاء العقل ونقاء القلب .

ولا أريد بالذكاء عبقرية فائقة ، يكفى أن يرى الأشياء كما هى دون زيادة أو نقص .

فقد رأيت بعض الناس مصابا بحَوَل فكرىّ لا تنضبط معه الحقائق قد يرى العادة عبادة ، والنافلة فريضة والشكل موضوعاً ، ومن ثم يضطرب علاجه للأمور ، وتصاب الدعوة على يديه بهزائم شديدة !

كما أنى لا أريد بنقاء القلب صفاء الملائكة ، وإنما أنشد قلبا محبا للناس عطوفا عليهم لا يفرح فى زلّتهم ولا يشمت فى عقوبتهم ، بل يحزن لخطئهم ويتمنى لهم الصواب .

جاءنى طالب جامعى يخبرنى بأن بعض المنحرفين يريد إقامة حفل غنائى ، وأنه هو وأصحابه سوف يمنعون هذا الحفل بالقوة !

قلت له أوافقكم على عدم إقامة الحفل ، وانقُلْ لهم رأيى مصحوبا بهذا النصح ! لا مكان للفرح فى أيام كثرت فيها الأحزان المحلية والعالمية ! كيف نغنى وعشرات الألوف من المسلمين بين قتيل وجريح وشريد ؟ إن مصابنا فى فلسطين وأفغانستان ينزف ، ومستقبل الإسلام فيها غامض . . وإن الحرب الأهلية فى الصومال تزيد ضحاياها مائة مرة أو مئات المرات على الحرب الأهلية فى يوغوسلافيا ، ولا نزال فى مصر حديثى عهد بنكبة الباخرة فى البحر الأحمر وغرقى السيول فى الإسكندرية فعلام الغناء ؟ هل قدّت قلوبهم من صخر ؟

قال لى الطالب : لن يقنعهم هذا الكلام !

قلت : سلهم بم يغنون ؟ بغَزَل رقيع ، ولحن هابط ، إن الأوساط الفنّية مريضة الذوق والحسّ فلن يصدر عنها إلا ما يسوء ! والواجب فى الأيام العصيبة التى تحيط بنا أن تنزه الأسماع عن اللغو . . .

قال لى الطالب : لن أقول شيئا من هذا الذى توصينى به !

سأقول لهم : الإسلام يحرم الغناء ، وسنهدم الحفل المقام على رءوس أصحابه !

قلت له إنك ناشىء فى ميدان الدعوة فلماذا لا تنتفع بتجارب من سبقوك ؟ وإن للإسلام خصوما متربصين فلا يجوز إعطاؤهم حجة على سوء فهمنا وسوء سلوكنا ! فأبى إلا ما استقر فى ذهنه ، وأخيرا تدخلت الشرطة ودخل البعض السجون !

إننى لا أزال أنصح الإسلاميين بأن يرعوا الحكمة فى مجال الدعوة ، وألا يمكنوا خصوم الإسلام من النيل منه بسبب حماس طائش !

وليكن الهدف الأول بناء العقائد والأخلاق والعبادات أما الخلافات الفقهية فلا صلة لها بميدان الدعوة ، ولا بقاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر !

إن داود وسليمان عليهما السلام لم يختصما من أجل قضية الحرث الذى عاثت فيه الغنم ، ومن الفقهاء من رأى حكم الرضاع فى الكبر كحكم الرضاع فى الصغر . . ! فليقع الخلاف وليدرس فى ميدانه أما نقله إلى ميدان الدعوة فخطأ فادح . .

إن الداعية الذى لا يجمع بين الذكاء والنقاء يثير مشكلات معقدة أمام انتشار الإسلام ، وقد رأيت فى كندا والولايات المتحدة - وكانت رابطة العالم الإسلامى قد أوفدتنى إليهما - رأيت دعاة وضعوا فى طريق الإسلام أحجارا نقلوها من البيئات التى عاشوا فيها قديما كى يقف سير الدعوة فى العالم الجديد !

إنهم يغضبون لمذاهبهم وأهوائهم باسم الغضب للإسلام ، ويعلم الله حاجتهم إلى من ينير عقولهم ويطهر أفئدتهم .

* * *

الحريق الشهوانى

عقب مؤتمر إسلامى انعقد فى انجلترا أخيرا قالت إذاعة لندن إنه لم يقع شىء ذو بال إلا أن تظاهرة للشواذ جنسيا تجمعت فى المكان معلنة احتجاجها على ما يلقاه إخوانهم فى أرجاء العالم الإسلامى من اضطهاد !!

وتفرقت المظاهرة دون أن تُضرب بالسياط أو بالنعال ! وانتهى الأمر . .

كان أولئك الشواذ يطالبون بحقوق الإنسان بعد ما اختلط مفهومها بحقوق الحيوان ، وذابت الحدود بين الفضائل والرذائل فى مجتمعات تائهة !

قلت فى نفسى : هل سمع أولئك المنحرفون الضِّياع كلمة نصح من «حاخام» أو «كاردينال» ؟

يبدو أن حيوانيتهم قوبلت بالصمت المطلق حتى أمسى المعروف منكرا والمنكر معروفا وحتى تجرأ هؤلاء السفلة على حدود الله وبلغت الجراءة بهم أن خاصموا المسلمين الحافظين لحدود الله ، وتجمّعوا للإنكار عليهم .

لقد وقع هذا من قديم وسط أهل الكتاب « وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ »[١] .

وخيانة رجال الدين لأمانات الوحى الإلهى جريمة نكراء ، إن صمتهم الجبان أبطل رسالات الخير وترك الشياطين تعربد دون قلق .

قرأت وصفا للنساء فى عواصم أوروبا للأستاذ «أنيس منصور» جاء فيه «هناك اتفاق سرّى بين المرأة والشمس . الشمس تطلع والمرأة تطلع من ثيابها ، فلم يبق لها إلا بعض أوراق التوت موزعة توزيعا شحيحا هنا وهناك . وخصوصا هنا !! النساء كأنهن خيول عربية . والرجال كأنهم حمير أحسائية ليس لديهم ما يكشفونه فى هذه الجهنم فهم دائخون سياسيا واقتصاديا وجنسيا » ! !

---

(١) المائدة : ٦٢ - ٦٣ .

لماذا هذا الحريق الشهوانى ؟ وماذا فعلت المعابدلإطفائه ؟

أين رجال الدين ؟

لقد فر الجبناء مكتفين من إقامة الشعائر بمهاجمة الإسلام ! وعقد المؤتمرات العلمانية فى بلاده للقضاء على تقاليده ووصاياه !

إن البلاد الإسلامية - على ما تعانى من هزائم - هى أبعد البلاد عن طاعون الإيدز ، فبقايا الإيمان لديها تعصمها من هذا الداء الفاتك .

لكن هل يُعترف للإسلام بفضل ؟

أتحدى المؤتمر [1] الذى تعقده هيئة الأمم بالقاهرة أن يثبت الإحصاءات المعروفة هنا وهناك ، وأن يقول إن التقاليد الإسلامية من وراء الطهارة والبراءة التى تسود أمتنا . .!

إنه لم ينعقد للثناء على الإسلام ، أو للتنويه بالوحى الإلهى على الإجمال ، إنه يرفع راية المساواة بين الجنسين لا فى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، بل فى تحقيق الرغبات وتدليل الغرائز ! ألا فليعلم المسلمون أن دينهم إيمان وتقوى ، وأنه عدو لدود للفوضى الحيوانية الى يرفع الغرب رايتها ويرغب فى أن تعلو مسيرتنا . .

* * *

(١) مؤتمر السكان الذى عقد بالقاهرة ١٩٩٥ .

بئس ما يقولون

كنت معتقلا بطور سيناء سنة ١٩٤٩م مع ألوف من الإخوان ، ورأت الحكومة يومئذ أن تعتقل معنا عدة مئات من الشيوعيين ، فقلت لإخوانى : ما رأيكم ونحن فى هذا القفر الموحش أن نذهب للجناح الذى يضم الشيوعيين كى نتعرف عليهم ونتحدث إليهم ؟

فردّ أحد السامعين نعم إن المصائب يجمعن المصابينا !

قلت : لا ، وأريد أن يعرفوا الإسلام معرفة حسنة لعل الله يهديهم ! وذهبنا إلى مهاجعهم فى ضحوة هادئة ودخلنا أول غرفة ففوجئنا بنحو عشرين شابا يلبسون سراويل توارى سوءاتهم أما بقايا الأجسام فعارية !

قلت وأنا أتكلف الابتسام ما هذا ؟ كأنكم على شاطئ البحر !

فردّ أحدهم نحن نؤثر العيش هكذا !

فقلت الملابس أستر للبدن وأصون للمروءة ! وكدت أقول : وأرضى لله !! ولكننى طويت الكلمة الأخيرة ، ما لهم ولله ؟

واستأنف الشاب الشيوعى الكلام : إننا لانشغل أنفسنا بمحاربة الغرائز ما الغريزة ؟ غدة تمتلئ ثم تفيض ، ليس لكبتها معنى !

فقلت لأصحابى ! نعود أدراجنا !

ونسيت ما وقع حتى قرأت برنامج مؤتمر السكان الذى ينعقد فى القاهرة فإذا الفكر واحد والنظرة إلى الحياة لا تختلف ، لامكان للدين وإيحائه ، أتباع موسى وعيسى عليهما السلام نسوهما كل النسيان وربما وجدتْ فلسفات روحية أو خلقية يعجب البعض بها ، لكن هذه الفلسفات اختفت فى برنامج المؤتمر فالفكر المعروض مقطوع عن

السماء ، وقد قلت : إن كلمة الله لاوجود لها فى طول البرنامج وعرضه ، وليس لواحد من أنبيائه ذكر .

الكلمة التى ترددت كثيرا فى أثناء البحث هى تعاون البشر على «الصحة الجنسية والحياة التناسلية» وقد وضعت بين أقواس !!

والمعنى النظرى للكلمة شرحه «فرويد» عندما حذّر من الكبت وبين أنه صانع العقد النفسية والأمراض العصبية ، أما التطبيق العملى للكلمة فشرحته التقاليد والقوانين الغربية عندما أباحت اللواط والسحاق والبغاء وأقامت المراقص المزدوجة ويسَّرت الخلوات البعيدة وأزاحت كل عائق أمام النزوات الجنسية ، إن كلمة مؤتمر السكان تفهم عنوانا على موضوعها إذا كان البحث فى العمران البشرى وما يعتريه من متاعب !

أما أن تكون أغلب فصول البرنامج عرضا لفلسفة الانحلال الغربى ، وتوكيدا لبعده عن الوحى الإلهى فهنا العجب !

إذا كان اليهود والنصارى فى أوروبا وأمريكا قد رفضوا الولاء للوحى الأعلى فبأى حق يطلبون منا أن نقلدهم ؟ ولماذا نفتح أبوابنا لهم ؟

أنفتحها لنسمعهم وهو يقولون : إن الله سيعجز عن إطعام البشر وهم يتزايدون بهذه الكثرة ؟

أنفتحها وهم يقولون : نفِّسوا عن الغرائز بعيدا عن جوّ الأسرة ، فجوها مظنة تكاثر الأولاد !! شاهت الوجوه وبئس ما يقولون .

* * *

أطفال للبيع

كل من يعكر صفو الأمن أو يشعل نار الفتنة فهو آثم لا يوجد من يدفع عنه أو يعتذر له ولكن ما يقع فى أغلب البلاد الإسلامية شىء آخر ، خذ مثلا كشمير ، إن أهلها يطلبون حق تقرير المصير ، وقد أظهروا فى انتخاب حرّ أنهم يأبون الانضمام إلى الهند فلماذا تصادر مشيئتهم ؟

ولماذا يستكثر عليهم حقٌّ يتقرر لغيرهم فى هدوء ؟ ثم لماذا يوصفون بالإرهاب أو الأصولية أو الخروج على القانون وتبقى مشكلاتهم معلقة عشرات السنين ؟

وخذ مثلا «نيجيريا» أو «الجزائر» إن انتخابات حرة جرت فيهما ودلّت على اتجاه الجماهير إلى لون معين من الحكم وصنف معين من الناس فلماذا يصدر أمر عسكرى بإلغاء هذه الانتخابات ؟ وكيف يزعم أن الاتجاه إلى الإسلام ضد الديمقراطية ؟

ولماذا تسارع الدول إلى محاصرة «هايتى» التى رفضت حكومتها مثل هذه النتائج على حين تبارك الأوامر العسكرية إذا كانت ضد الإسلام ؟ وما معنى استخدام القوى العسكرية فى «الصومال» ورفض أى تدخل عسكرى فى «البوسنة» ؟ بعدما استيقن أهل الأرض أن مسلميها يواجهون حرب إبادة لا شرف لها ولا ضمير !

لماذا يُستكثرعلى المسلمين أن يعيشوا بدينهم وأن تتوفر لهم الحقوق والحريات التى توفرت لغيرهم ؟

وقرأت هذا الخبر منقولا عن «إسلاميك ريفيو» السويسرية تحت عنوان «بيع أطفال المسلمين» قالت هل وصلت حاجة ألبانيا إلى العملة الصعبة إلى حدّ بيع أطفالها ؟ ذكرت هيئة التلفزيون السويسرى أن حكومة ألبانيا باعت ألفى طفل مسلم إلى إحدى المؤسسات التنصيرية الأمريكية ! وستتولى هذه المؤسسة تنشئة الأطفال على المسيحية بالتعاون مع أسر أمريكية مستعدة لتبنّيهم . وكان منظرا رهيبا بعد أن أذاع التلفزيون صور الأطفال وهم يتعلمون الصلوات المسيحية وغيرها من التقاليد الكهنوتية تحت رعاية المنصِّرين .

وذكرت هيئة التنصير الأمريكية أنها أتمت الإجراءات القانونية المتعلقة بتبنّى وشراء هؤلاء الأطفال . .»

أإذا شعرت بالقهر ، وسالت العبرات لهذا الخبر أُعْتبَر أصوليا متعصبا وأحسب خارجا على القانون ؟

إن الاستعمار العالمى حين احتلّ البلاد الإسلامية ألغى الشريعة وهوّن العقيدة ، وحفر لها القبور فى انتظار أن تخمد أنفاسها ، فإذا جئنا نحن نريد إحياء شريعتنا وصيانة عقيدتنا قيل لنا إن الإسلام السياسى مرفوض !

وقام نفر من المرتدين وسماسرة الغزو الثقافى يصيح فى وجوهنا نرفض التخلّف ! إن التخلّف والضياع ما تجهرون به ضد القرآن والسنة خدمة لأعداء الإسلام فى كل مكان .

فليعرف المسلمون حملة هذه الأقلام فهم خونة ساقطون .

* * *

مواكب الماكرين

قرأت أن بابا الفاتيكان ينوى فى مطلع العام الجديد أن يزور جبل «موسى» تحية للمكان الذى نزلت فيه الوصايا العشر وهو يود أن يصحبه نفر من أصحاب الأديان الأخرى لإقام الصلوات وترديد الدعوات . .

ونحن المسلمين نؤمن «بموسى» عليه السلام وتوراته ونقرأ فى كتابنا قول الله له : « يا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ »(1) .

فهل الذين تبعوا «موسى» عليه السلام آمنوا بما أوتى ونفذوا وصاياه ؟ أو بعبارة أخرى : هل الذين احتفوا بالعهد القديم احترموا شريعته وبنوا عليها مجتمعهم ؟ وما جدوى أن نزور مكان النزول إذا تواطأنا على إهمال ما نزل ؟

إن قادة الحضارة الحديثة فى أوروبا وأمريكا لا يبالون بتحريم الحلال وتحليل الحرام ، ولا يكترثون بذكر الله إلا عند الموت ، عندما يفرض الفراق نفسه ثم تمضى بعدئذ مواكب الحياة مجنونة لا تلوى على شىء !

إن التشريع السماوى فى الحضارة الحديثة قد أهيل عليه التراب ويعتبر ذكره تخلّفا عقليا ! !

وقد تم فى القانون العالمى احترام الزنى إذا تم بالتراضى ، وأكرهت الدول الإسلامية على التزام ذلك فى تشريعها ! كما ألغيت عقوبة الإعدام ، ورفض مبدأ النفس بالنفس والعين بالعين المقرر فى التوراة ، ولا نزال نذكر كيف أباح مجلس العموم البريطانى اللواط حتى سن الثامنة عشرة وكيف حاول رئيس الولايات المتحدة إدخال الشواذ فى الجيش ! !

إن إهانة الوحى الإلهى وإطلاق العنان للغرائز الحيوانية أمسى سمة غالبة للنشاط الإنسانى فى العالم أجمع فهل يغنى عن ذلك أن يذهب آحاد أو ألوف إلى جبل الطور لإحياء ذكرى الوصايا العشر ؟

---

(1) الأعراف : ١٤٤ .

لقد ذهب نيافة بابا الفاتيكان إلى أقطار فى إفريقية وقبّل ترابها وأقام بها أحفالا دينية مائجة ، فماذا تم فيها ؟ انتشر الإيدز وبلغت ضحاياه الملايين ، وفى بعض الفتن العرقية قتل مائتا ألف فى رواندا وحدها . . فهل هذه ثمرات التبشير الحق ؟

إن للدعوة إلى الله أسلوبا آخر تنكره أوروبا وترفض أصحابه أساسه إيمان لا شرك معه وصلاح لا ريب فيه ! ونحن نعرف أن بابا الفاتيكان دبلوماسى محنك ودارس كبير وأعتقد أنه محيط بعقيدتنا فى المسيح وأمه عليهما السلام ، إننا نحبهما ونثنى عليهما وننفى عنهما كل دنس ، ومع ذلك فدول العالم المسيحية تؤثر علينا اليهود وتناصر قضاياهم ضدنا !

أى سلوك هذا ؟

وما موقفنا فوق جبل الطور إذا كان ألوف المسلمين بعيدين عن بيوتهم يعيشون فى العراء ؟

هل الله العلىّ الكبير ترضيه هذه «الدبلوماسية» الجائرة الماكرة ؟

أليس إحياء التشريع الإلهى أهم من هذه المظاهرات ؟ .

* * *

ابتغاء الفتنة...

لا نبالى بمن يخاصموننا فى الله فنحن موقنون بربنا الواحد وثابتون على احترام وحيه واتباع أنبيائه . وإذا كانت هزائم الآباء قد عطلت شريعته وأهانت عقيدته فذاك عرض زائل وسنعود سيرتنا الأولى ما بقى فينا نفس يتردد . ولن توجد فى المصحف آية ميتة أو حكم مجمد . . وسيفشل عبدة الطاغوت فى لىّ زماننا بإذن الله « اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »[1] . .

من غرائب الزمان أن الكارهين لله وهداه يسمّون أنفسهم «تنويريين» ! وأنهم لن يستريح لهم بال حتى يحققوا رغبات الاستعمار العالمى فى محو الإسلام من الأرض . .!

الهدف محو الإسلام وحده ! ولتبق الأديان كلها بعد ذلك فما يعاب عليها شىء وما يخاف منها شىء . .! جرى ذلك الفكر فى نفسى وأنا أقرأ بعض ما كتبه الدكتور «مراد وهبة» تحت عنوان «تيار الأصولية يتحكم فى الإعلام ويهيمن على التعليم» قلت : ماذا يريد الرجل ؟

لقد أوهمنا أن «الغزالى»[2] درويش كبير وأن جموده العقلى نال من الفكر الإسلامى كله ، وأن «ابن رشد»[3] هو إمام التنويريين (!) وأن العالم الإسلامى لن يبصر الطريق إلا إذا مشى خلفه وبهذا التوجيه أصبحت عصابة الشيوعيين التى تعمل تحت عنوان التنوير تعتمد على أبوة عقلية محترمة !

و «الغزالى» و «ابن رشد» من علماء الإسلام الكبار ، وكلاهما يحترم الكتاب والسنة ، والخلاف العقلى بينهما كالخلاف الفقهى بين «الشافعى» و «أبى حنيفة» لا

(١) البقرة : ٢٥٧ .

(٢) أبو حامد الغزالى ت ٥٠٥ هـ .

(٣) ابن رشد أحد أعلام الفلسفة الإسلامية - رد عليه أبو حامد فيما ذهب إليه . . .

يعنى شيئا ذا بال ، ولو وجدا فى هذا العصر لكانا صديقين حميمين ولتعاونا معا ضد الإلحاد الأحمر أو الأصفر .

إن منهج الشك عند «ديكارت» مستقى من منهج الشك عند «الغزالى» وعندما نقد «أبو حامد» فلسفة الإغريق كشف عن عقل من أكبر العقول فى دنيا الناس ، كان يسبح فى أفق أسمى من آفاق «أرسطو» و «أفلاطون» و «سقراط» جميعا ، وبالعقل الذرّى الذى منحه الله إياه ترك هذه الفلسفة خرائب فى أغلب قواعدها . .

أما- «ابن رشد» فهو مع يقينه الجازم بالكتاب والسنة فله وجهة نظر تقترب أو تبتعد عن «الغزالى» وليس فى ذلك حرج ولا لوم ، وكان العالمين الجليلين من قمم الفكر الدينى .

ولا أدرى ما علاقة «مراد وهبة» - وهو مسيحى يخدم مسيحيته بإخلاص - بهذه القضايا القديمة وما معنى اتهامه الإعلام والتعليم بالأصولية ؟ أظنه لن يرضى إلا إذا أقيم تمثال « لماركس » أو «لينين» فى أحد ميادين القاهرة ، وخلع الإسلام من جذوره .

* * *

عبيد الحياة

الظن الغالب أن العلمانيين العرب امتداد للعلمانيين فى الغرب يجمعهم كره الدين والإخلاص للحياة وحدها ! وهذا خطأ فالعلمانيون فى أوروبا وأمريكا اصطلحوا مع المسيحية – وهى الدين الغالب – وتعايشوا معها .

فالملكة فى انجلترا رئيسة الكنيسة الإنجيلية وحاميتها ، والحكومات فى حلف الأطلسى من الأحزاب الديمقراطية المسيحية ، والصبغة السياسية العامة تميل مع «إسرائيل» وتنحرف عن «البوسنة والهرسك» ، وتضيق بقضايا الإسلام كلها . .

أما العلمانيون العرب فصفتهم الأولى كراهية الإسلام والبعد عن عباداته وإعلان الحرب على شريعته ومخاصمة كل من ينادى بإحيائها ! هذا كل ما يعرفونه عن العلمانية ، وهذا نفسه هو ما يجعل أوروبا وأمريكا تحتفيان بهم وتدفعان عنهم .!

لكن ما العمل إذا كان سير الحياة محرجا ، وإذا تدحرجت الأوضاع وتقرر نهائيا التسليم بقيام إسرائيل ومحو العروبة والإسلام عن جزء غالٍ من دار الإسلام ؟

إن عبيد الحياة لا يكترثون بذلك ، إنهم لا يعرفون مقدسات فى جنوب أو شمال ، إنهم يعرفون مآربهم ومصالحهم وحسب . .

وقديما – فى أثناء الحروب الصليبية – اشتبك الوزيران «شاور وضرغام» ، هذا مع الصليبيين ، وذاك مع المسلمين ، ودارت بينهما الحروب ، بل إن الملك «الكامل» حفيد السلطان المظفر «صلاح الدين» – ساوم الصليبيين على أخذ بيت المقدس وتركه آمنا فى مصر !! ، وطالت الأيام المظلمة ، فماذا حدث بعد ؟

بقيت أرض الإسلام له وهلك المتآمرون عليه « ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (17) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ »[1] .

---

(١) المرسلات : ١٦ : ١٩ .

ونحن المؤمنين نرقب الأحداث بقلق وغضب ونعلم أنه من الممكن استرداد الحقوق بالتجزئة إن عزّ الحصول عليها دفعة واحدة !

ولكن كيف يتم ذلك مع النفور من الإسلام وترك شرائعه وشعائره . .؟

كنت فى ندوة – من بضع سنين – لدعم الكفاح فى فلسطين ، وأعلن الأذان لصلاة المغرب فهبّ الجميع للصلاة إلا واحدا هو مندوب منظمة التحرير ، فقلت : لعله مسيحى وعذرته ثم عرفت بعد أنه مسلم علمانى فقلت : ما أبعد النصر . .!!

إن اليهود متشبِّثون بكل كلمة فى توراتهم وهم محاربون أشداء عن مواريثهم التى يزعمون فهل يغالبهم إلا أصحاب إيمان أقوى ، وتعصب أشد ؟ « وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ »[1] ، « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ »[2] .

* * *

(١) الحج : ٤٠ .

(٢) محمد : ٧ .

ليسوا دعاة

رمقت بعض الناس فى ميدان الدعوة ثم تمنيت لو اشتغلوا بحرفة أخرى ! وما أظن أن الحرفة التى يختارونها لأنفسهم ستكون سعيدة بهم ! إذا كان الدين تيسيرا فهم معسِّرون ، وإذا كان تبشيراً فهم منفِّرون ، . والمعروف فى خلق رسولنا ﷺ أنه كان هاشاً باشّاً لكن هؤلاء فى ملامحهم تجّهم ، وفى أعطافهم شراسة . . .

ومحور نشاطهم بعض الأحكام الفرعية يؤثرون فيها رأيا ويقاتلون الرأى الآخر ، ولو أخلصوا لله نياتهم لوجدوا ألف طريق لخدمة الإسلام بعيدا عن هذا الجدال المحموم .

أذكر أنى سئلت يوما عن رجل أدرك الإمام راكعا فى الأولى ، وأتم الركوع معه ثم أتم بقية الصلاة هل عليه شىء ؟

فقلت غير مكترث : لا !

فقال رجل بصوت حادّ : بل يقضى الركعة الأولى ! فنظرت إليه فإذا هو يستعدّ لخوض معركة بدنية فقلت متجاوزا القضية كلها : ماقلت هو الرأى الراجح ، وإذا أردت غير ذلك فأنت حرّ !! فرأيته راغبا في الاشتباك والأخذ والرد فغادرت المكان . . .

ليس هؤلاء فقهاء ولا دعاة وديننا أحوج ما يكون إلى حسن الخلق وسعة الأفق والتأتِّى إلى الأمور من باب اليسر والأدب .

إن أعداء الإسلام فجروا الذرَّة ، ولديهم أسلحة أخرى لا ندريها وليس أمامنا إلا إحكام الرأى وإيثار الحسنى وعرض الحق بأشرف الأساليب ، وهذا هو ما تعلمناه من ديننا . . .

وهناك شىء آخر ، ليس كل ما مضى من تاريخنا يصلح لأن نعود إليه ، ونتأسّى به ففى تاريخنا الطويل كبوات مفزعة تشبه الأيام التى نحياها الآن !

إن الفترة التى سقطت فيها بغداد تحت سنابك التتار ، أو سقطت فيها القدس تحت

سنابك الصليبيين ليست موضع الأسوة الحسنة ، إنها فترة يُحكم عليها ولا يُحتكم إليها ، والأسوة إنما تؤخذ من خير القرون وأعظم الناس اتباعا لصاحب الرسالة العظمى ، وقد رأيت من الدعاة من يخلط بين الأيام الحلوة والأيام المرّة فى تاريخنا وينشد العودة إلى الماضى وحسب !

إن أمامنا الكتاب والسنة ، وصورة الإسلام فيهما واضحة ، فمن أحسن العمل بهما تآخينا معه وإلا نبذناه والهزائم التى مرت بالمسلمين فى التاريخ القريب والبعيد يجب أن تدرس أسبابها ، وأن نضعها تحت المجهر لنكتشف أدقّ جراثيمها ونأخذ الحيطة منه ، وبذلك نبنى مستقبلا أكرم .

لقد رأيت بعض الناس يحسب السلف الصالح هم أجداده الأقربون ، ويحسب أن سيرتهم فى الدين والدنيا هى المثل الأعلى ، لا ، إن سلفنا الصالح هم مؤسسو دولة الإسلام وحضارته وثقافته الرفيعة ، هم هازمو الباطل وتاركوه يلتمس المهارب فى المشارق والمغارب .

* * *

المتفيقهون

العوام وأشباهم من المتعالمين يعرفون القليل ويجهلون الكثير ولا يتقون الله فيما يعرفون بل قد يرتكبون به الإثم ويثيرون الفتنة !! ولعل ذلك ما دعا الغزالى إلى تأليف كتابه «إلجام العوام عن علم الكلام» .

لماذا لا يتقن هؤلاء الحِرَف والصناعات الميسورة لهم ويحسنون علاج الأعطاب الشائعة بدل أن يشتغلوا بالفتاوى ويثرثروا بالإصلاح ؟

إن ما يحتاج إليه الناس من أحكام شرعية ليس معضلا إنه نزر يسير ثم ينضم إليه الإخلاص والنشاط وحب الإصلاح فتستقيم الأمور إن أنصاف المتعلمين - أو أعشارهم - يحبون المباهاة بما لديهم على ضحالته كما يسارعون إلى انتقاص الآخرين وإظهارهم قليلى المعرفة . .

كنت أحدث بعض الناس فقلت له : يا سيدى الأمر كذا وكذا . . .

فأسرع يقول لى : يا سيدى هذه شرك ! السيد الله !!

فأجبته للفور : السيادة المطلقة على العالمين هى لله لا ريب كما أن العلم الشامل له تبارك اسمه ، ولا يمنع هذا من أن يكون بين الناس علماء وقد استعمل القرآن كلمة سيد فى وصف «يحيى» عليه السلام « وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ »[1] وفى وصف زوج صاحبة يوسف عليه السلام «وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ »[2] .

ووصف الرسول عليه الصلاة والسلام الحسن بن على رضى الله عنهما فقال : **إن ابنى هذا سيد . .! .**

وقال للأوس عندما قدم سعد بن معاذ رضي الله عنه : « **قوموا إلى سيدكم** » .

---

(١)آل عمران : ٣٩ .

(٢) يوسف : ٢٥ .

إنك يا سيِّد حفظت شيئا وغابت عنك أشياء ، إنك تشتهى شتم الناس ، ولو كنت مصيبا ما قبل الله منك حتى تخلص لربك وتتعلم الأدب !

وفى ميدان الفقه الإسلامى - والخلاف فيه بحر ليس له ساحل - وجدت هذا الصنف يحفظ بعض الأحكام ويريد المماراة بها وتغليبها على غيرها ويبسط لسانه بالأذى فى بعض الأئمة الكبار فلا كرامة لأحد خالف ما يعرف ! !

أنا أصلى الفجر وراء أئمة يقنتون ووراء أئمة لا يقنتون عالما أن الأئمة الأربعة الكبار اختلفوا فى هذه السنة فمالك والشافعى يقنتان وأحمد وأبو حنيفة لا . . . والخطب سهل وإغلاق المسجد عندى أهون من حلّ هذه المشكلة بالعصىّ .

إن الأمة الإسلامية تواجه أياما كالحة وأعداء مكرة مهرة فهل نلقاهم برجالنا الواعين ، أم نضع زمامنا فى أيدى الرعاع وأعشار المتعلمين ليقودونا إلى الهاوية .

إن بعض المنتمين إلى الإسلام يظلمونه بقصورهم ورفضهم سؤال أهل الذكر فهل نتعجل الهزيمة الماحقة بهذا التعصب .

* * *

تسليمة نسرين

دأب الغرب على إهداء الثناء المستطاب للكتاب الملاحدة ، وتشجيعهم ماديا وأدبيا على ضرب الإسلام وإهانة شريعته .

وفى الشهر الماضى تسلمت الكاتبة البنغالية «تسليمة نسرين» جائزة نادى القلم وهى أكبر الجوائز فى السويد بعد جائزة نوبل ، وتعيش الآن فى السويد عيشة راضية ، بعدما تركت «دكا» التى حوكمت فيها بتهمة مهاجمة الإسلام !

وتذكر مجلة «تايم » الأمريكية إجماع النقاد على أنها كاتبة نسوية كافرة ، وأن أسلوبها مفكك وقصصها ضعيفة لا ترتفع إلى مستوى الكتابات الجادّة ، ولكنها اكتسبت شهرتها من صرختها ضد المعاملة الرديئة التى تلقاها المرأة فى المجتمع الإسلامىّ ! !

وعندما سئلت هل تعمدت استثارة المتطرفين ؟

قالت : من بدء حياتى وأنا أهاجم الشريعة الإسلامية !

وأمام المحكمة فى «بنجلادش » قالت : إنها لا تقصد القرآن وحده بالنقد ، ففى رأيها أن الأديان كلها تحتاج إلى مراجعة !!

لكن كيف سارع نادى القلم إلى إهدائها الجائزة الثمينة ؟ رغم أنها كاتبة مغمورة تافهة القيمة ؟

تكفى الإشارة إلى أن مؤسس الجائزة التى يمنحها نادى القلم هو الصهيونى الكبير «كورت تشولسكى» الذى حارب الإسلام والمسلمين أمدا طويلا ، واستمات فى ترويج قصة أن فلسطين أرض الميعاد وأن إسرائيل ملتقى يهود العالم .

وإذا كانت نسرين قد نالت هذه الجائزة عام ١٩٩٤ فقد سبقها سلمان رشدى فى نيل هذه الجائزة سنة ١٩٩٢ .

وتقول جريدة الراية المغربية : إن هناك أكثر من كاتب مصرى وعربى يرشح لنيل هذه الجائزة ! . .

إن تشجيع الأقلام المرتدة خطة سياسية أوروبية وأمريكية .

وفى تونس منح أرفع الأوسمة لكتاب يناصرون الانحراف ومخاصمة الإسلام ! فى الوقت الذى يطارد فيه أهل اليقين والوفاء لدينهم وتراثهم !

الغريب أن فرنسا التى تحارب الحجاب الإسلامى فى مدارسها توزّع بالمجان موانع الحمل على الطالبات ، ويكاد الأولاد غير الشرعيين يزيدون على الأولاد الشرعيين !

ونتساءل ماذا فعل المسلمون للسويد حتى أثاروا ضغائنها على الإسلام وتعاليمه ؟ لا شىء !

إن جماهير المسلمين لا تعرف هذا الاسم ، وما أساءت قط إلى السويد سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا ، إنها الصليبية المتوراثة من قرون طوال تحيّرنا كيف نرضيها ونكتفى شرها .

* * *

حقارة فكرية

اهتممت بسماع «الرأى الآخر» فى قضية المرتدة «تسليمة نسرين» الطبيبة البنغالية التى أهانت القرآن ونسبت إليه ظلم المرأة وطلبت إلغاء شريعته !

قالت إذاعة لندن إن دول أوروبا الغربية أعلنت حمايتها لها ويسّرت لها أن تهاجر إليها ، بل إن ألمانيا عرضت عليها أن تقيم فيها وتنشر آراءها على أرضها . .!

ودول أوروبا الغربية - من بضعة شهور - منحت سلمان رشدى جائزة سنية وأكدت رضاها عن ارتداده واستعدادها للدفاع عنه .

إن أوروبا كلها بالنسبة إلى الإسلام عدوّ ينتظر نائبة ! ويسرّها أن يرتد المسلمون جميعا لا رجل أو امرأة .

قالت الطبيبة البنغالية : لماذا يبيح القرآن للرجل أن يتزوج أربع نسوة ، ولا يبيح للمرأة أن تتزوج أربعة رجال ؟

ونسيت المرأة أن تعدّد النّطف فى وعاء واحد هو سبب الزهرى والسيلان ، ولعله إذا ساد يضاعف طاعون الإيدز !

إن شذوذ العلاقات الجنسية باب إلى الدمار والفوضى وقضاء مبرم على الأسرة ! ومن الغلط الشائع تصور أن الإسلام انفرد بإباحة التعدد ، فالأديان كلها سماوية أو أرضية أباحته ، ولم يوجبه واحد منها وقد زعمت التوراة أن سليمان عليه السلام كانت لديه ألف امرأة !! لماذا ؟

وقرأت الباب الغريب الذى سجّلته التوارة عن شَبَق سليمان عليه السلام تحت عنوان «نشيد الإنشاد الذى لسليمان» كان الرجل المشتاق يبحث فى دروب القدس عن الحبيب المجهول أو المعلوم ويشتاق إلى الوصال بنهم مفرط ! !

قلت فى نفسى هذه الصورة المذهلة لأدب الفراش يصمت أمامها الأوروبيون ، ثم يجرون وراء النبى الذى تجاوز الخمسين من عمره مع زوجة تكبره كثيرا يلتمسون له التهم ويفترون عليه الأكاذيب ويكافئون من يشتمه !

إن حضارة الغرب تمنع الزواج بثانية وتبيح الزنا بمئات ، وتعاقب على تعدد الزوجات وتشرع اللواط وتحميه . .

وتنظر إلى دار الإسلام فإذا وجدت رجلا أو امرأة يطعن فى سيرة محمد ﷺ هشّت له وفتحت ذراعيها مرحبة ! !

وقد عُرف الآن بين المثقفين أن الإلحاد أقصر طريق إلى الشهرة والترقية ! وأن الانحراف ضمان للأمان والرضا . . .!

أطلب من الشباب المسلم أن يحتقر هذه الأوضاع ، وأن يتشبث بدينه وشرفه رغم المثبطات والعوائق !

إن الإلحاد حقارة فكرية وسوأة خلقية ، وإذا كان حاضره مريحا فإن مستقبله محفوف بالمكاره مقرون باللعنة والغضب .

* * *

حقد وحماقة

عدوى التحامل على الإسلام سرت إلى الصين ، فانتشر فى المناطق الإسلامية كتاب يهين تعاليمه ويشوه حقائقه ويصور المسلمين يصلون على خنزير !

حدث ذلك فى مدينة «شنغهاى» فوقعت مظاهرات غاضبة ، وقالت وكالة الأنباء الصينية إن المتظاهرين اعتدوا على مكاتب الحزب الشيوعى والدواوين الحكومية وهاجموا سيارات الشرطة وحاصروا قوات الأمن ، واتهم المسلمون بأنهم لا يحافظون على الوحدة الوطنية!! على أن العقلاء من رجال الحكومة سارعوا إلى علاج الموقف بالحسنى ، وفصلوا مدير دار النشر ونائبه وحظروا توزيع الكتاب ، وبذلك سكت المسلمون واستأنفوا حياتهم العادية .

ومسلك الحكومة الصينية أرشد من مسلك الأتراك الذين أذنوا بطبع نسخة من كتاب الوغد الهندى «سلمان رشدى» «آيات شيطانية» فلما غضب الجمهور لإهانة دينه أطلق الرصاص على عدد من المتظاهرين ، فقتل بضعة أفراد ، ذهبوا شهداء غيرتهم الإسلامية ، ورفضهم تحقير الإسلام !

إن شتم ديننا والنيل منه يتمان وفق مؤامرة عالمية بدأت من أوروبا ، وانتشرت شرق آسيا وغربها وشمال إفريقية وجنوبها ، وقد لاحظت أن «كينيا» حظرت تكوين حزب إسلامى مع أن عدد المسلمين بها قريب من نصف السكان ! أى نحو ثمانية ملايين !

وفى مباراة «المغرب» مع «زمبابوى» استحمق أحد الرؤساء المشتغلين بالتبشير ، وأراد شحن العواطف ضد لاعبى المغرب ، فقال لقومه إن المباراة حرب صليبية ! ولابد من الانتصار فيها . . وانفجر غضبه عندما جاءت النتيجة بما لا يشتهى !

ما دخل كرة القدم فى اختلاف الأديان ؟ !

إنها الكراهية عندما تتحول إلى حماقة !

ويؤسفنى أن قوى خفية - وقد تكون جليّة - تكيد للإسلام بكل وسيلة تتيسر لها ، وقد انتهزت فرصة الهزائم العسكرية والسياسية التى حلّت بأهله فشنت حرب منشورات وإذاعات على الدين المثخن بالجراح كأنما تريد الإجهاز عليه ، ولكن حراس الإسلام - بالوسائل القليلة المتاحة لهم - يقاومون ، ويثبتون فى أماكنهم برغم ضراوة الهجوم وضعف الأدوات . . .

إن دولا عظمى تمنع السلاح عن مجاهدى البوسنة ، وتُمِدُّ به خصومهم حتى ينهار الدفاع الإسلامى وتسقط حصونه ، ولكننا لن نستسلم « وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ »[1] .

* * *

---

(١) يوسف : ٢١ .

غَـرور

قرأت وصفا لسرب من الجراد يطير بين غرب آسيا وشرق إفريقية ، قالوا طوله ألف كيلو متر ، ويضم أربعين مليار جرادة !

شعرت بفزع فإن هذا السرب يقارب طول القطر المصرى من الشمال إلى الجنوب ، وإذا بلغ أرضنا ترك الديار بلاقع ، وحصد الحدائق والحقول ، وتركها عيدانا ذاوية لا خير ولا ثمر !

سألت نفسى : ما يكون الجراد بين مخلوقات الله ؟ حشرة طائرة لا تلفت النظر لتفاهتها ! لكنها إذا اجتمعت مع غيرها كانت خطرا داهما . .

وتذكرت دودة «البلهارسيا» التى تجعل البشر يبولون دما وتورثهم عللا مشقية أو مردية ، إن المليارات منها تغمر مساحة محدودة الطول والعرض ، فإذا أصاب بعضها أبناء آدم نال منهم وأودى بهم .

وانتقل الخاطر بى إلى الطبيب الألمانى «بلهارس»الذى اكتشف هذه الدودة ومسارها فى الجسم الإنسانى والأوصاب المتخلفة عنها .!

وقلت : لماذا بقينا ذاهلين حتى جاء الخواجة فأسدى لنا هذا الجميل ؟

لأترك هذا السؤال المعترض ولأعد إلى ما يهدد البشر من أخطار !

لقد لاحظت أن ما نستضعفه من العناصر هو الذى يتحول ماردا عاتيا يهددنا بالهلاك ، خذ الماء مثلا ، إننا نرتفقه شرابا وطهورا طيّعا بين أيدينا ، ولكن ما الحال إذا أمطرت السماء وظلت تمطر أياما وليالى ؟

لقد رأيت صور بلاد نكبها الفيضان فهدم بيوتا وقطّع أوصال أخرى وغمرت الأمواج الشوارع فلم يلق أحدٌحداً وقد رأيتُ موجَ البحارِ وهو يعلو ويهاجم ويفور ويمور ؟ إنه لا يبقى ولا يذر !

بل انظر إلى النسيم العليل ، إنك تحركه بيدك كى يرطب وجهك ، وتستقبله بالرضا فكيف الحال إذا تحرك ريحا عاصفة ، وبلغ من قوته أن يحمل سيارة فيقذفها بعيدا . .

إن أضعف شىء قد يتحول بالمشيئة العليا إلى أقوى شىء وما يحقره الإنسان قد يتحول - بهذه المشيئة - إلي عدو ذى بأس شديد ، وتدبرّه مع هذه الحقائق قوله تعالى « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ »[1] .

إن الإنسان قد تهزمه جرثومة أقل من الذبابة ألف مرة ، ومع ذلك يغرّه بالله الغرور ! .

* * *

(١) الحج : ٧٣ .

هل هذا تناقض؟!

تمر بالمتهم أحوال شتى بعدما يقبض عليه ويقدّم للمحاكمة ، سيزعم أول الأمر أنه بريء وقد يقسم على ذلك . حتى إذا أحاطت به الأدلة وتظاهرت ضده القرائن اضطر إلى الاعتراف وهو صاغر .

وقد ذكر القرآن الكريم مواقف المجرمين ، وما يمر بها من تناقض فقال فى الأولى « وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ »[1] .

وقد يفجؤهم الفراغ الذى يصفر حولهم ، وعدم وجود نصير يدفع عنهم فيعترفون بضلالهم « . . . حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ »[2] .

وقد ينكرون ما وقع منهم حتى تنطق أركانهم بكذبهم « حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ »[3] .

وبديهى أن المجرمين يستسلمون بعد مقاومة أو تقصير ، ثم يساقون إلى مصارعهم على نحو ما قيل « فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ »[4] .

وقد شرح العلماء هذه المواقف جامعين بين شتى الآيات وقد قرأت أخيرا أن أحد الحمقى وصف القرآن بالتناقض لماذا ؟ لأنه وصف يوم القيامة طورا بأنه ألف سنة وفى مكان آخر بأنه خمسون ألف سنة ! !

قلت للفور : الآية الأولى غير الثانية : فالخمسون ألفا هى يوم العروج لقطع المسافة

(١) الأنعام : ٢٢ - ٢٣ .
(٢) الأعراف : ٣٧ .
(٣) فصلت : ٢٠ .
(٤) الرحمن : ٣٩ .

بين الأرض الدنيا وعرش الرحمان « ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾»[1] لكن الملأ الأعلى يقطع هذه المسافة أسرع من الضوء الذى يقطع المسافة بين الشمس والأرض فى بضع دقائق !

أما الألف سنة فهو ظرف تدبير الأمر فى شئوننا الأرضية « وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ »[2] ، وتدبير الأمور كلمةواسعة ، قد تتم فى لمح البصر ، وقد تستغرق دهرا طويلا .

وحساب الزمان فى عالمنا الأرضى غيره فى كواكب أخرى ، قد يكون العام فيها ألف عام عندنا . .

إن آجالنا محدودة وأعمارنا موقوتة ورب العالمين لا يرسل أقداره وفق وعينا القاصر إنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض وفق حسابات أخرى تتلاشى فيها القاصرة ، وما عمر الإنسان العادى إلا قطرة يسيرة فى بحر الحياة الطويل ، وما إحساسنا بما حولنا إلا جزء تافهٌ من الوجود السرمدىّ الذى يسود الكون من أزله لأبده .

* * *

---

(١) المعارج : ٤ .

(٢) الحج : ٤٧ .

عوائق فى طريق الإسلام

عدد من المثقفين العرب المعاصرين يشغب على التراث ويتمرد على العبادات ويكاد ينسلخ من دينه لولا ما فى ذلك من تبعات ولكنه على الإجمال معتلّ القلب مضطرب الوجهة !!

تساءلت عن عمل أولئك المثقفين أيشتغلون بدراسة الكيمياء والفيزياء والكهرباء وعلوم الفضاء وسائر ما تخلّفت فيه أمتنا ، كى يسدُّوا الخلل ويستدركوا ما فات ؟

فوجدت أغلبهم يشتغل بالأدبيات العامة ولا علاقة له بدراسات الكون والحياة!

ووجدت أساس ثقافتهم المعلومات السُّوقيَّة المأثورة عن فلاسفة معلولين أمثال «ماركس» و «سارتر» و «فرويد» وغيرهم . وأنهم مقطوعون عن السبق العلمى الذى تفوّق فيه الغرب وما يدرون عنه شيئا . . .

وربما كانت لبعضهم دراسات فى العلوم الحديثة أنالتهم إجازات علمية أمّنت معايشهم فقط ، ووقفتهم عند حدودهم لا يستطيعون حراكا ولكنهم ناشطون نشاطا محموما فى تعكير الصفو وبعثرة العوائق فى طريق الإسلام واللغط الطويل حول قدرتهم على التنوير . . . ، أى تنوير هذا ؟

لقد قلت إنهم لا صلة لهم بالعلوم الحديثة ، فهل التنوير المزعوم إثارة الغبار حول ثقافتنا التقليدية وترديد مزاعم المستشرقين حولها ؟ والصياح بالحق فى الارتداد !! والتعاون مع بعض الجامعات الأجنبية على تشويه الإسلام ؟

أعرف أن أحدا من هؤلاء لم يُر فى مسجدولم يتورع عن خمر ، ولم يتجاوب مع شَعْب إسلامى مظلوم ، ولم يعترض شهوة استعمارية جامحة ، فما بقاؤه بيننا ؟ ولماذا لم يلحق بمن هواه معهم ؟

لقد أدركت أن لهؤلاء الناس رسالة خسيسة يحملونها ويقدمون لسادتهم حسابا عنها . إنهم كثروا بيننا ، وربما كانوا قلة فى بعض الأقطار التى عافاها الله ، لكنهم كثروا حيث تنتظر للإسلام نهضة ، ويرتقب لأنصاره نجاح . .

والأمة الإسلامية الآن فى مفترق طرق ، والمكر بها سىّء ، ولا معنى لفسح الطريق أمام الكائدين لها والضائقين بدينها ولعل عجبك يزداد للصلف الذى تشعر به هذه الطوائف المرتدة ، والأسلوب الذى يتحدثون به عن غيرهم ، إننى ذكرت الآية الكريمة فى المنافقين الأقدمين « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ »[1] .

إن ملاحدة العرب المعاصرين لاحظوظ لهم من الارتقاء العلمى المزعوم ولكنهم يحسنون التطاول على دعاة الإسلام وحملة ألويته وهيهات فالعاقبة للمتقين . .

* * *

(١) البقرة : ١٣ .

سب القمم.. وحقوق الإنسان

ليس يصحُّ فى الأذهان شىء إذا كان السبّ العلنى جزءا من البحث العلمى ، أو كان تجريح الكبار جزءا من حقوق الإنسان . .

إن الذين يدافعون عن «سلمان رشدى» إما أنهم لم يطلعوا على ما كتب ، وإما أنهم حاقدون على «محمد» ﷺ لأنه حمل رسالة الإسلام للعالم ، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور . .

إن عددا من ساسة الغرب - وفى طليعتهم الإنجليز - يضيقون بمحمد ﷺ وتاريخه، ويشجعون كل طاعن فيه ، ويروجون لكتبه فى الأسواق ، ويعطون الرشاوى المادية والأدبية لمن يتناول «محمدا» ﷺ بسوء !

ونحن نعرف القوم ، ولكننا نستغرب أن يُلبسوا مخازيهم رداء حرية الرأى وشارات حقوق الإنسان !

للإنسان أن يقول ما يشاء دون حرج ! هكذا يزعمون !

ولما كان القانون الانجليزى يأبى التهجم على الدين ، فقد لجأ بعض المسلمين إلى القضاء ليمنع نشر «رواية آيات شيطانية» إنفاذا للقانون ، ولكن قيل لهم : إن المراد بالدين هنا هو المسيحية لا الإسلام ، وانتهز أعداء الإسلام الفرصة ليصدروا طبعات شعبية من الرواية القذرة ، ويضاعفوا الحراسة المسلحة على كاتبها ويوسعوا دائرة النشر فى العالم كله .

وقد قام أحد الملاحدة الأتراك بترجمة الرواية ليوزعها بين أفراد الشعب التركى المسلم ، ووقعت معركة بين الجمهور الغاضب وبين الكاتب الملحد وشيعته قتل فيها خمسة وثلاثون رجلا !!

ولما كانت الضغينة على «محمد» ﷺ ودينه لا تنتهى فإنى أتوقع أن تترجم الرواية إلى لغات أخرى ليزداد الهجوم على الإسلام ضراوة وتكثر الضحايا بين المدافعين !

والسؤال الذى ألحّ فى توجيهه وأطلب الإجابة عليه : ما العلاقة بين حماية سلمان رشدى وبين الدفاع عن حقوق الإنسان . .؟

إن فرنسيا نذلا ألف رواية عن عيسى بن مريم عليه السلام اتهمه فيها بالشذوذ ! ! ، وقد أحرق الجمهور السينما التى مثلت فيها الرواية ، وهذا حقه فلم يقل عاقل : إن حرية الرأى تعنى سفالة التهمة وتلمس العيب للقمم !

ما علاقة حقوق الإنسان برغبة وغدٍ فى الهجوم على نبى كريم ؟

قلبى مع الأتراك الذين طاردوا مترجم آيات شيطانية وأرغموه على الفرار ، إن ذلك الغضب لله بقية إيمان حرّ ، والإيمان كما جاء فى السنة الشريفة حب وبغض . .

* * *

عصابات من المجانين

لست قاسيا وأكره قساة القلوب ، ولست أتتبع العثرات ولا أنا من متلمسى العيوب للأبرياء لكنى أرفض مبارزة الله بالمعصية والتبجح بالرذيلة فى جنبات المجتمع . .

وأذكر النصيحة النبوية الحكيمة «**اجتنبوا هذه القاذورات ، فمن أَلَمَّ بشىء فليستتر بستر الله فإن من أبدى لنا صحيفته أقمنا عليه حدَّ الله**» .

قلت لشخص عَلْمانى سكّير : إذا عجزت عن ترك الخمر فلن تعجز عن الاختفاء بها فلا يراك الناس غائب الوعى !

فقال فى بلادة : أنا أشربها علانية على مذهب القائل :

ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرا إذا أمكن الجهر . .!!

قلت له : إن هذا الماجن تاب إلى ربه وعرف سوء ما كان يفعل وقال :

إذا عرف الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق . . .

فقال لى : تذم الدنيا ؟ لم يبق إلا أن تحدثنى عن عذاب القبر !

فقلت له : إنك بهذا المسلك تنحدر من الفسق إلى الكفر !

فقال : أنا أعرف منك بالشريعة ألم تقرأ التحقيق العلمى أن الخمر حلال !!

قلت له : أى تحقيق ؟

قال : ما كتبه المستشار سعيد العشماوى المفكر الإسلامى الكبير وهو يفسر قوله تعالى « قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ . . . »[1]

فقلت على عجل : هذا السعيد ليس مفكرا إسلاميا ولا نصرانيا ولا مفكرا أصلا . . هذا كلام من يهرف بما لا يعرف . إن الخمر رجس بنص القرآن فهل أباح

---

(١) الأنعام : ١٤٥ .

القرآن شرب الرجس وحرم أكله ؟ كل من الخمر والخنزير رجس فكيف يباح أحدهما ويحرم الآخر ؟ إن تحريم الخمر من المعروف بالدين بالضرورة ومن جحد تحريمها مرق من الإسلام ، وكفر بالكتاب والسنة معا . . .

إن عصابات من الماجنين انتشرت فى أرجاء العالم الإسلامى لا تعرف صلاة ولا زكاة ، ولا تعترف بحلال أو حرام أخذت تنخر فى كيان الأمة منتهزة الهزائم العسكرية التى نزلت بنا ، وهى فيما أرى «طابور» خامس يتهدد قلب الإسلام ، وما أحسب هذا التوافق بين الهجومين تمّ من تلقاء نفسه !

وهناك دور ثالث لجامعات أوروبية وأمريكية تسعى نحو هذا الهدف وتستعمل أسماء إسلامية للنيل من صميم الإسلام ، وآن الأوان لنكشف أعداءنا .

* * *

عصيان خبيث

العمل محرم على اليهود يوم السبت ، ولكن بعضهم رأى أن يخترق هذا التحريم بحيلة قد تنطلى على الله فذكر جل شأنه نبأهم فى هذه الآية . « وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ »(١) .

لقد لاحظ الصيادون الذين يعيشون حول الميناء أن السمك يملأ البحر يوم السبت ، فإذا جاءت الأيام الأخرى قلت الأسماك أو اختفت فماذا يفعلون ليغتنموا سمك السبت ؟

صنعوا وراءه سداً يمنعه من العودة ، واستولوا عليه يوم الأحد ! وبذلك أرضوا أنفسهم وحفظوا سبتهم !! وحسبوا أنهم خدعوا ربهم بترك الصيد محبوسا فى الماء يوم السبت .

وبعض المتدينين يحسن صناعة الحيل فيأتون بالعمل يشبعون به هواهم فى صورة تتفق مع تعاليم الدين أو تلتقى به فى ناحية ما . .

ولكن هذا العصيان الخبيث لا يقبله الله . ولا يخرج أصحابه عن دائرة الفسق !!

إن التكليف الإلهى امتحان جادّ يكشف طبيعة النفس ومدى صبرها على طاعة الله ، ولو أن هؤلاء المحتالين احترموا السبت ونجحوا فى الاختبار لأرسل الله إليهم الخير غدقًا فى سائر الأيام .

ومن الصلاح المغشوش ما روى أن أحد الناس قال للرسول ﷺ : أريد أن أقاتل معك فى سبيل الله ، وأن يرى الناس مكانى . أى يرون شجاعتى وكرّى وفرّى ! !

إنه عرض مريب ، إن سبيل الله لا يتحمل هذه الشركة ، ولذلك سكت الرسول

(١) الأعراف : ١٦٣ .

ليتكلم الوحى « فَمَن كَانَ يرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا »[1] .

إن انتظار رأى الناس والتماس إعجابهم يفسد العبادة ، والعمل الصالح هو الذى يتم ابتغاء وجه الله وحده . .

لقد أرى الرجل فى منصبه يحب أن يأخذ سمته وتتوفر له حرمة ، وهذا حقه وحق المنصب الذى يشغله ولكن لا يجوز أن تتحوّل هذه الكرامة إلى جبروت واستعلاء يشبعان الجوع إلى السلطة والظهور ، فحفظ الكرامة شىء والتطاول على الناس شىء آخر . .

ولذلك قال العلماء : إن العمل لا يقبل إلا إذا توفر فيه شرطان : الأول صلاح النية وشرف القصد .

والثانى جريانه وفق تعاليم الشرع « **فمن أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد - أى مردود عليه -** »[2] .

إن النية الحسنة لا تشفع للمسلك المعوج . . ليس الدين فوضى ، ولا مكان للتسيُّب فى نهجه وعلى المؤمنين أن يُعلوا قدر الدين بالقلب الطيب والمسلك الدقيق فإن الدين يعانى فى عصرنا هذا من سوء القصد حينا ، ومن اضطراب العمل حينا آخر .

* * *

(١) الكهف : ١١٠ .   (٢) حديث شريف .

فوضى منكورة

مطلوب من علماء الدين فتوى تبيح الارتداد ، وتنسى عقوبته ، وتقرر ما يسمونه حرية الكفر والإيمان على أنها جزء من حقوق الإنسان ! وهم يجيئون إلى آيات الدعوة وينقلونها إلى نظام الدولة وبنائها الداخلى ! فإذا قال الله « الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ »[1] كان معنى الآية أن يتصرف كل امرئ وفق ما يحب . فمن شاء شكر ومن شاء لا ! ومن شاء نهب ومن شاء لا . . .

والمعنى الحقيقى الوحيد للآية أنها فى عرض الإسلام على الناس عامة لا قسر ولاجبر ، ولا إكراه فى الدين . .

فإذا آمن أهل الإيمان وكوّنوا جماعتهم أو دولتهم التزموا بأوامر الله ونواهيه فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وتركوا الفحشاء والمنكر والبغى . ولا مكان لمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، لأنهم آمنوا بالفعل ، وأقاموا بالإيمان دولة تحرس حدود الله وتصون حقوقه . .

إن نقل آيات الدعوة إلى معنى الدولة عبث . فالدولة تطارد اللصوص ولا تقول من شاء سرق ومن شاء لم يسرق ! وإذا قيل لمبلغ الدعوة « فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ »[2] فإن أجهزة الدولة تقوم على السيطرة فتضرب على أيدى المفسدين ، وتقتصّ من القتلة والمعتدين .

والخطأ الفادح الذى وقع فيه منكرو الدولة فى الإسلام أنهم جاءوا إلى آيات البلاغ وأرادوا تطبيقها فى دائرة التأديب والتهذيب ، وتلك جهالة قبيحة وفوضى منكورة !

وإذا كان بعض الناس يضيق بالأساس الذى قامت عليه الدولة لأن الدولة مؤمنة وهو كافر بالله فليطو نفسه على ما بها ، أو ليرحل إلى مكان آخر !

أما أن يصيح بين الحين والحين : لا إله والحياة مادة ! أو لا تشغلونا بهذه الصلوات المعْنتة ! أو افتحوا أبواب الحانات! أو دعونا نلتقى بالنساء كما نشاء! فهذه الصيحات الكفور تقرب أجله .

إن المسلمين يلتصقون بدينهم عن حب وإعزاز ، وهم يبذلون دونه النفس والنفيس والجماهير المحرجة تقاوم أعداءه باستماتة ، أما العصابات التى ارتدّت إثر الغزو الثقافى فهى قلة مغموصة ، وهى تستعين بالاستبداد السياسى لتفرض ضلالها وهيهات « فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ »[3] .

---

(١) الكهف : ٢٩ . (٢) الغاشية : ٢١ ، ٢٢ . (٣) الروم : ٦٠ .

فى تعاليم المسيحية
«صوت المرأة»

كان وضع المرأة سيئا جدا فى التاريخ القديم لأوروبا ، وامتدٌ هذا السوء حتى نهاية العصور الوسطى وبدايات عصر الإحياء ، والسبب فى ذلك ما استقر فى تعاليم الدين من أن حواء كانت المغوية لآدم بالأكل من الشجرة المحرمة ، فاستحقت بذلك - هى وزوجها - لعنة الطرد من الجنة والهبوط إلى الأرض والتعرض للمعاناة والآلام .!

والأوروبيون يرون كل أنثى هى حواء ، وأن الحذر منها واجب . . وظل الأمر كذلك حتى ظهر الإسلام مقررا أن آدم هو المخطئ لنسيانه وخور عزيمته ، وقد تتبعه امرأته ثم أحسَّا جميعا بالندم ورجعا إلى الله يدعوانه « رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ »[1] فغفر الله لهما ، وبدآ معا عهدا جديدا على ظهر الأرض .!

ما العلاقة بين الجنسين بعد هذا الهبوط ؟

إنها علاقة ماسَّة حميمة « هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ »[2] « خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً »[3] وليست هذه العلاقة وليدة إكراه أو ضرورة ! كلا إنها وليدة ودّ ورغبة « وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا . . »[4]

ولم تعرف أوروبا طبيعة العلاقات الزوجية السليمة إلا بعد ظهور الإسلام وحفاوته بالأسرة والأولاد وجعله الزواج عبادة .

وفى تعاليم «بولس» : «أريد أن يكون جميع الناس كما أنا - بلا زواج -» ولو تمت هذه الإرادة لهلك العالم وأقفرت القارات ! !

---

(١) الأعراف : ٢٣ . (٢) البقرة : ١٨٧ .
(٣) النساء : ١ . (٤) الأعراف : ١٨٩ .

إن هذه الوصايا الناضحة بكره المرأة كثيرة ، ولعلها من وراء جواز بيع الزوجة كما تباع السلعة! وقد ذكرنا أن القانون الانجليزى إلى القرن الماضى كان يجيز هذا البيع معتمدا على تعاليم وردت فى سفر الخروج ، وراعوث . .

ويقول بولس : «**لتصمت نساؤكم فى الكنائس ، لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن . ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئا فليسألن رجالهن فى البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى كنيسة . . .**»!

هذا الجفاء فى معاملة المرأة كان جوهر التقاليد فى أوروبا قبل عصر النهضة حتى بزغت شمس الإسلام ، وسمع القرآن يصرح بأن المرأة من الرجل والرجل من المرأة .
« لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ »[1] .

ويقول الرسول الكريم «النساء شقائق الرجال» وفى مواجهة الحملات المجنونة على مكانة المرأة يقول «**حُبِّبَ إلىّ من دنياكم النساء والطيب . . . وقرة عينى فى الصلاة**» لقد ضمّ المرأة إلى الأزهار والورود عندما كان غيره يجعلها نجسة منبوذة . .

لا أدرى كيف تسرب ازدراء المرأة إلى أذهان بعض المسلمين ، وكيف قيل : إن الإسلام ظلم المرأة حتى جاءت حضارة الغرب فأنصفتها ، لقد ألَّف اللواء المهندس «أحمد عبد الوهاب» كتابه الإسلام والأديان الأخرى ، أحصى فيه نقاط الاتفاق والاختلاف ، أرجو أن يرجع إليه من يطلب المزيد من النصوص والأدلة فى هذا الموضوع ، وفى غيره من القضايا .

* * *

---

(١) آل عمران : ١٩٥ .

القرآن بين الحفظ والوعى

رأيت صورة لطفل فى العاشرة من عمره نال جائزة سنيّة لأنه حفظ القرآن الكريم وأحسن تلاوته !

تفرست فى وجهه فرأيت أمارات السذاجة تكسوه ! على أنى لم أكتم إعجابى بذاكرته الواعية على حداثة النشأة !!

لقد مررت بمثل هذه الحالة فحفظت القرآن فى عشر سنين والتحقت بالأزهر بعد بضعة شهور ، ثم أنسيته ثم استعدتُه ولله الحمد .

إن يكن لهذا الحفظ المبكر من أثر فهو كنز نحسن الانتفاع به عند النضج وحصانة تصون السيرة الخاصة ، أما أن هذا الحافظ الناشئ قد استدرج النبوة بين جنبيه وصار بذاكرته الجيدة من العلماء ، فلا . . .

إننى لا أزال أمرّ ببعض الآيات والسور فأذكر أن المعلّم ضربنى هنا وتركنى هنا وكافأنى هنا !

أما أنى أفقه المراد منها فهذا ما لم يخطر بالبال ! كنا أشرطة مسجّلة للأحرف فقط .

والآن أتساءل : هل القرآن الكريم كتاب مطالعة ونصوص ، حسبنا منه القراءة العابرة ؟

لقد تأملت فى موقف المسلمين من كتابهم ثم قلت : ما أشبهه بموقف هذا الطفل ابن العشر سنين ! كأن هذا العالم الإسلامىّ طفل كبير ! إنه فى مجالس القرآن يلقى السمع وهو بعيد لا شهيد ، وتتحرك به أمواج الإذاعة ولا تتحرك به الضمائر أو تحتكم إليه المجتمعات ، وما لهذا نزل القرآن . . « هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ »[1] .

---

(١) إبراهيم : ٥٢ .

إن علامة المرور تحمرّ فتقف المواكب ويهدأ المتعجل ويسكن الحراك فإذا اخضرّت أبيح الممنوع وجاز المسير !

هكذا يفعل أمر القرآن ونهيه بالناس أما أن يكون القرآن تلاوات معزولة عن المجتمع هو يهدر فى واد والناس ينطلقون فى واد آخر فهذه مأساة أو جريمة كما يشير القرآن نفسه « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ »[1] .

والقرآن فى عصرنا معزول عن الحياة العامة ، وقد تكون له صلة بالعلوم الشرعية أو العلوم اللغوية أما أن تكون له صلة بعلوم الكون فلا . .! هذا كتاب يتحدث عن السماوات والأرض وما بينهما أفلا تكون له صلة بعلوم الطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات وطبقات الأرض ومعالم العمران ؟

أفلا تكون له صلة بعلوم الفلك والفضاء ؟ .

لقد كان آباؤنا أساتذة فى هذه الآفاق فما الذى أبعدنا عنها ؟

وعندما يكون التبريز فى هذه المعارف سنادا للإلحاد والبعد عن الله ، فهل ننصف أنفسنا وقرآننا بالعجز فى فنون الحياة ودراسة الكون ؟ إن الإيمان فى منطق القرآن مبنىٌّ على النظر والتفكير والاستنباط فما تكون قيمة إيمان معزول عن هذه المعانى ؟

إنى أطرق كاتما ضحكى وأسفى عندما يفتتح حفل بالقرآن ثم يهيم الناس على وجوههم فى كل واد لم يربطهم بالكتاب العزيز رباط ، ولم يتسلل إلى أفئدتهم شعاع .

* * *

(١) السجدة : ٢٢ .

هبوط عقلى

أسفت لمصرع الدكتور فرج فودة ، ووَدِدْتُ لو بقى لأستأنف معه حوارنا حول : هل الإسلام عقيدة وشريعة ، عبادات ومعاملات ؟ أم هو علاقة خاصة بين إنسان وربّه !!

ولست واهما أو ساذجا لأتصور أن الدكتور فرج سيقتنع بشىء مما أقول أو يقوله رفاقى إننا - والحق يقال - كنا نخاطب مَنْ وراءه ، ونكشف شبهات كثيرة فى الجو الآسى الذى يعيش فيه الناس .

أما رأيى فى الدكتور فرج فودة فهو صورة عربية للعقيد «جون جارانج» الزنجى الذى يحارب الإسلام فى السودان ، ويريد وضع دستور علمانى لشماله وجنوبه معا . . .

ولكن الدكتور يحارب بأساليب كثيرة منها القلم ، وهذا ما جعلنا نتعرض له ولأمثاله ، فنحن نتبع دينا يقوم على الحوار ويقول لخصومه « هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُم صَادِقِينَ »(1) .

ويقول فرج فودة إنه يحارب التطرف ! فهل هو من المعتدلين ؟

إن الإسلاميين المتطرفين ابتعدوا عن الحقيقة ٥٠ شبرا ناحية اليمين ، أما هو فقد ابتعد ٥٠ شبرا ناحية الشمال ، والمتطرف لا يقنع متطرفا مثله ! .

ثم هو رجل يلجأ كثيرا إلى المجون وإرسال نكتة بارعة أهم عنده من اكتشاف حقيقة علمية وهو ما جادل متطرفا إلا بالحقائق الدينية التى قررناها ، وبسطها علماء الدين الثقات فماذا بقى عنده من الفكر المستنير أو المنطق الذكىّ ؟

بقى ما قاله فى آخر مقال نشرته له مجلة أكتوبر حيث زعم أن التدين المفرق يقوم على هوس جنسى ، وأن المتدينين حاولوا تحريم حشو الباذنجان والفلفل لأن هذا الحشو يثير الغريزة ، ويذكر بمسالك جنسية !!!

أرأيت هذا الهبوط العقلى ؟

أسَمِعَ امرؤٌ مًّا طول حياته بهذا الإسفاف ؟ تلك هى الطبيعة العلمية لفرج فودة !!

---

(1) النمل : ٦٤ .

وقد ملأ مقاله بأفكار عن الدين والمتدينين لا تصدر إلا عن ملتاث الفطرة مريض القلب مثل أن الناس كانوا يشاهدون مباريات الكرة فيقول قائلهم : هذا لاعب فذ ! ويقول المتدين هذا لاعب فخذ ! ! لأن الفخذ عند المتطرفين عورة !! وهم لا يرون كشفها !!

أين وقع هذا الكلام ؟ فى ذهن فرج فودة وحده وهو فى هذا يقلد «فرويد» الذى يزعم أن الطفل عندما يرضع من ثدى أمه يترجم عن حركة جنسية !!

المأساة التى نواجهها نحن الدعاة هذا الخلط الهائل فى ميدان الإعلام ، كيف أقنع رجلا بأن الإسلام دولة وهو لا يؤمن بأنه دين ؟

إن المقتنع بالوحى يكفى أن أقول له : قال تعالى « إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ »[1] ليقتنع بأن القرآن نزل ليحكم . .

المشكلة أن يقول لك امرؤ أنا مسلم : ولكننى أبيح الخمر ، وأنا أعرف منك بالإسلام . .!!

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها ، وحتى سامها كل مفلس

ثم يجىء بعدئذ من يصف مستبيح الخمر بأنه المفكر الإسلامى الكبير . . .!! ما هذا الهذر ؟

* * *

---

(١) النساء : ١٠٥ .

الفهرس

مؤلفات فضيلة الشيخ

محمد الغزالى

1. همــوم داعيــة .
2. جــدد حيــاتك .
3. مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية .
4. سر تأخر العرب والمسلمين .
5. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين .
6. مع الله . . دراسة فى الدعوة والدعاة .
7. الإسلام والمناهج الاشتراكية .
8. من هنا نعلم .
9. الإسلام والأوضاع الاقتصادية .
10. نظرات فى القرآن .
11. الحق المرّ . . «ستة أجزاء» من ١١-١٦ .
17. الإسلام المفترى عليه .
18. معركة المصحف فى العالم الإسلامى .
19. خُلق المسلم .
20. الإسلام والاستبداد السياسى .
21. الاستعمار أحقاد وأطماع .
22. فى موكب الدعوة .
23. ظلام من الغرب .
24. التعصب والتسامح .
25. من معالم الحق .
26. حقيقة القومية العربية .
27. الإسلام والطاقات المعطلة .
28. كيف نتعامل مع القرآن؟
29. كنوز من السنة .
30. الفساد السياسى فى المجتمعات العربية والإسلامية .
31. كفاح دين .
32. جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج .
33. تأملات فى الدين والحياة .
34. الإسلام فى وجه الزحف الأحمر .
35. صيحة تحذير من دعاة التنصير .
36. مقالات (أربعة أجزاء) من ٣٦-٣٩ .
40. حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة .
41. الجانب العاطفى من الإسلام .
42. عقيدة المسلم .
43. كيف نفهم الإسلام؟
44. مائة سؤال عن الإسلام .